حتى لا يضيع التاريخ

ذكريات من الماضي القريب

أحمد زارم

حسن يوسف اللموشي

حتى لا يضيع التاريخ

ذكريات من الماضي القريب

١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

الاهداء

الى المخلص الصـــــامد الابى طــــول حيــاته
الى من أثار النفوس للجهاد فى داخــل الوطن
الى باعث حركة النضال السياسى فى الخــارج
الى باعث الامل فى نفوس المهاجرين فى جميع الاقطار
بعد ما كاد أن يخيم عليها اليأس من هول الصدمة
الى المغفور له بشير الســعداوى
اهــــدى كتــــابى

مقدمة

هذه ذكريات مواطن ظل فى الساحة أربعين عاما .. مرتفع الجبين .. أشم الانف .. قوى الارادة .. رغم عنف الحوادث .. وتوالى الاعاصير وتنوع الصراع.
عاصر « احمد زارم »احداثا جساما .. وشاهد تطورات خطيرة .. مرت بالوطن الليبى العزيز ..

وتأثر منذ نعومة اظافره .. ومدارجه الاولى بجيل المناضلين الشرفاء .. الذين حملوا السلاح فى ساحة الجهاد المقدس دفاعا عن الحرية وذودا عن كيان الشعب العربى المسلم ..

وتاثر احمد زارم فى ثقافته السياسية بحاملى الكلمة الشريفة الهادفة فى ميدان النضال السياسى ..

منذ عشرينات هذا القرن آمن بالحق فلم تلن له قناة ..
لم يستسلم للمغريات .
ولم يسقط فى وهج المطامع ..
لم يضعف .. لم يلن .. حتى كادت صلابته فى الحق تحسب عليه ..

حسنة من حسنات النضال .. عند تقييم المقومات .. وموازنة الموازنات .. ولكنها أيضا .. نافذة .. بل باب واسع من ابواب المصاعب .. والمتاعب ..

عرف كاتب هذه الذكريات فى حياته الطويلة العريضة .. والحياة ذات الابعاد العميقة .. عرف .. الجوع .. والعطش .. والمرض .. والالم ..والابعاد ..والسجن والنفى والتشريد .. والغربة .. والهجرة .. وشعور الخلان .. وتنكر الصحاب .. ومؤامرات الاستعمار .. بينما كان يتهافت على اسلاب الوطن شراذمة من الافاكين والدجالين الافاقين .. والجواسيس .. واذيال الفاشيست.. وعملاء الانكليز .. فيما بعد .. والانتهازيون من دلاديل العهد المنهار .. لكنه ..ظل .. صلب الارادة .. متوهج الايمان .. رحب الصدر صبورا .. الا فىحق الوطن وحقوق شعب ليبيا البطل .. عند ذاك لا عواطف .. لا ملاينة .. بل كلمة .. وموقف .. ورأى .. وارادة .. قد يدفع ثمن ذلك ضريبة باهظة غير يسيرة ..

موقف يؤدى مستلزماته .. ولم يكن وحده فى جيله بل هو نموذج وبقية من جيل العطاء وجيل الاداء .. والجسر الذى يربطبيناجيال مشرفة فىتاريخ النضال السياسى والجهاد الفعلى ..

هو .. بقية من المناضلين الذين عاصروا الوقائع المريرة .. وساهموا فى صنع المجابهة .. والرفض .. والغضب المقدس وتوعية الجماهير .

وطنى غيور .. لم يتكسب بقضية الوطن يوم كانت قضية الشعب سلعة يتاجر بها .. ويتكسب منها تجار السياسة وادعياء الوطنية .. وعملاء الدخيل الاجنبى

بل لم يعرف فى اشواطه حتى الراحة والاستترواح .. بل فى ايام غربته لم يطلب فى نضاله أجرا .. ولم يسعى لمغنم ومكسب ..

وفى هجرته يسهم فى تكوين الجبهات السياسية مع الاحرار الشرفاء .. يكتب الرسائل .. ويطبع المناشير ويجابه جبروت الاستعمار .. ويفند ادعاء الفاشيست وهم فى عنفوان طغيانهم ..

يحارب الامبراطوريات الاستعمارية بالكتابة وابواق الاستعمار يبدد صنائعهم ويفضح الاعيبهم .. وهو الفقير الاعزل الذى لا تسنده دولة .. ولا يدعمه حاكم .. ولا تسانده أحزاب ولا مؤسسات عالمية .. بل من ذات نفسه بل من ايمان شعبه .. وحق امته .. هو وزملاؤه الاحرار من جيل المواجهة فى المهجر .. وفى الداخل.

وساهم فى المؤتمرات الوطنية ايام الصراع السياسى .. وقابل شخصيات على مستوى المسئولية .. وأناسا دون مستوى المسئولية .. وحنكته الظروف .. واكسبته التجارب خبرة طويلة فى ميدان القضية الوطنية ..

هذا العصامى الذى نشأ فى قرية بدوية فى حضن جبل أشم .. وفى بيئة عربية مسلمة تعرف موازين الرجال بالصدق والايمان والتضحية والبذل ..

وتأبى الخضوع وعوامل الابتذال .. وتلمس صدق الرجل المناضل فى كل خطواته ومراحله .. فى ايام حمله للسلاح ضد الطليان وفى ايام هجرته لتونس .. وفى عديد مراسلاته التى تعتبر من وثائق هذه المراحل الهامة من تاريخ شعبنا البطل ..

هناك من يسير الى منتصف الطريق او الى ربعه .. ثم يسقط .. لانبهار الاضواء .. او لضعف فى نفوس البشر او لياس يستولى على الانسان المقاوم احيانا

لكن .. هذا .. من ذلك الرعيل الذى لم تبهره أضواء .. ولم تجذبه مطامع .. فلم يضعف .. ولم يتطرق اليه اليأس .. حتى فى أحلك الظروف واقسى الاحوال.

وظل صاحب هذه الذكريات يناضل على الدرب المتعب الطويل .. بالرصاص .. بالكلمة .. بالموقف .. بالكلمة مكتوبة .. ومنطوقة .
بالكلمة .. صامدة .. وصاعدة .. وصادقة .

بالكلمة .. حرفا .. ومعنى .. ومحتوى .

بالمواقف .. مجابهة .. وفكرة .. وهدفا .

بالمواقف .. داخلا وخارجا ..

بالموقف .. ضد الرجعية البالية المسترخية التى كانت تنصح بالاستسلام والرضوخ والاستكانة ..

ولكنه مواطن حر الرای .. صادق الوجدان لا يرضخ .. لا يستكين ..حركة دائبـة يؤلف .. ويسـهم فی جمع شـتات المهـاجرين كی يؤلف جمعية الدفـاع عن حقوق الشعب فی ليبيا العربية .

يعمل مع أخوانه الاحرار المناضلين ليلم شمل المهاجرين من العمال والفلاحـين والبسطاء .. والتجار الشرفاء .. وعمال المناجم فی قری تونس والجزائر ويراسل فی بلاد الشرق العربی قادة النضال السياسی آنذاك أمثال : شكيب ارسـلان ـ وسـليمان البارونی ـ وبشـير السـعداوی ـ وفـوزی النعاس ـ وعبـد العزيز الثعالبی ـ وعبد الحميد بن باديس وغيرهم ..

مجاهدون من الاحرار من بلاد مصر والشام وتونس والجزائر .. ومهاجرون من بلاده من حاملی السلاح والكلمة ..

وفی الحرب العالمية الثانية عندما كان الصراع ضد الفاشية والنازية كان يعمل بلا هوادة .. كی يجد طريقا ومنفذا لخـــدمة ليبيا العربية ولكن تبين له .. ان الانكليز وعملائهم كالسرطان ..

تنوعت اسماءالمستعمرين وعواصمهم وشعاراتهم .. ولكن‌فی جوهرالاستعمار وحقيقة تخطيطه لا فرق بين ما ترسمه عاصمة الصقيع او عاصمة الضباب .. أو عاصمة القمصان السود .. سواء .. بسواء .

وبسـهم (احمـد زارم) أيام المؤتمر الوطنی .. مع الزعيم المناضـل المجـاهد استاذنا بشير السعداوی ويكون سكرتيرا متفرغا للمؤتمر الشعبی لولب الحركة .. « دينامیكی » النشاط .. يعمل ليل نهار .. بلا اجر .. بلا مقابل .. تطوعا وتبرعا

وحياته النضالية كلها تطوعا .. وتبرعا .. عن طيب خاطر .. وعن عميـق ايمان .. لقد عرفته جماهير شعبنا المناضل .. فی الاجتماعات السرية والعلنية .. عرفته فی المظاهرات .. عرفته فی الندوات عرفته فی جريدة « شعلة الحرية »التی كانت منبرا للشعب .. ولسان حال قوی‌الشعب العاملة .. التی كانت تصد صنائع الانكليز .. ودلاديل الطليان .. وتدعو الی وحدة الشعب .. وحريته..وعروبته.. قلم صحفی هادف .. يغذی الجماهير بما يدعم وعيها .. ويلهب وجدانها ..وينير لها الطريق .. وظل كالطود شامخا .. صامدا .

يضـيف الی حصـيلة تجاربه جـديدا من التجـارب والی جولاته السياسيـة جولات أخری .

كانت مراحل‌فيها المطبات .. والعثرات .. والمساومات .. والمؤامرات .. ولكنه ظل‌فی جوهره .. فی اصالة معدنه هو .. هو .. أحمد زارم .. ابن القرية .. وبقية من مدرسة الصدق .. لا يعرف السياسة ترهات اللف والدوران ..

بل .. هی لديه فی نظره .. فی حسه .. الخط الواضح .. والهـــدف المنشود ..

لا يری السياسة ترفا ..

بل يراها .. واجبا .. وشرفا ..

وفى ليلة ليـــلاء ..

يتسلق الانكليز وعملائهم فى مدينة طرابلس سطح منزل الزعيم المجاهـــد المرحوم استاذنا ـ بشير السعداوى ، ويلقـــى القبض عليه .. وعلى زملائه .. ويساق بعضهم الى السجن ـ ومنهم كاتب هذه المقدمة ـ ويساق ـ احمد زارم الى السجن ثم الى تونس .. والسعداوى الى مصر .. ويظل احمد زارم فى تطويحته الثانية بعد تطويحته الاولى .. هو .. هو .. عزما وارادة وعنادا فى الحـق وقـد سجنه وتالب عليه الانكليز .. لانه كان علـــى اهداف المؤتمــر الوطنى .. ضـــد المعاهدات الاجنبية .. وضد النظام .. الفيدرالى ، وضــد تقسيم الشعب الـــى حكومات ودويلات ولم يخضع احمد زارم ولا زملاؤه ولو كان يريد ان يصبح وزيرا لكانه .. واصبحه ولو احب ان يمسى سفيرا .. لامساه ..

ذلك عهد كان يبحث عن التوزير .. والتسفير .. وهى طعمات .. وأطعمة .. والغام .. ولكنه ناضل خاوى اوفاض .. يرفض الـــوزارة والســـفارة والمصاريف السرية ..

وما اكثر مشاهدات احمد زارم وتجاربه .

* فترة الجهاد بالسلاح
* فترة النضال بالمهجر
* الادارة البريطانية
* تكوين التجمعات الشعبية
* مراسلاته .. ذكريات منوعة .. حصيلة اربعين عاما ..

لماذا تضيع فى زحام صاخب !
لماذا تهمل هذه الذكريات فى اودية الاهمال .

* اكتب يا زارم مذكراتك .. او ذكرياتك

* هى طويلة .. مسربلة ..

ـ لا بـــاس

ـ هى تحتاج الى تفرغ ومعاناة

فليس احمد زارم اديبا يبرقش .. ولا فنانا يزخرف .. ولا شاعرا يتحيـل جرس الكلمة .. بل هو مناضل ويكتب الحـــرف معاناة ومشاهدة .. هو مؤرخ فى ذكرياته يسجل بصدق حوادث ووقائع عاصرها .. وساهم فى صنعها .. هـو يقدم وثائق ساهم فى تجاربها .وسداها .. ولحمتها..الواقع.. الحقيقة ..كماهى .. بلا زخارف ولا بدائع الاساليب فى العرض والبرقشة .

اكتب يا زارم ذكرياتك

ـ وكم نخشى على تاريخ أو جوانب من تاريخ نضال شعبنا ان تضيع ..وتنسى .
ـ ما العن النسيان لنضال المجاهدين !

ـ ما أمر العقوق والجحود ..
ـ تاريخ الجهاد ثروة مبددة
امجاد مبعثرة ..

هناك حقائق .. ووقائـــع جديرة بالتقييم ثم بالتقسيم .. ثم بالدراســـة والتمحيص ولكن لن يكون ذلك الا اذا سجلتم أيها المعاصرون لتلك الوقائع والحقائق .

أكتب يا زارم ذكرياتك .. سجل انت فى مشارف السبعين .. اعطـاك الله الصحة ..

أكتب قبل ان تجرفك مرحلة الثمانين التى تحتاج الى ترجمان ..

اكتب يا زارم ..

وكانت فكرة عرضناها عليه ..

وجلس الرجل يكتب ذكرياته .. مشاهداته وهو قوى الذاكرة .. والحافظة ..واللاقطة .. وكتب حلقات وفصلات فى أسلوب عفوى .. واضـــح .. فيـــه بساطة .. ولكن ليس فيه سطحية ..بل بعمق الايمـــان .. وصدق الحقيقة .. وعفويـة الاسلوب ..

وقد يكون عنيفا احيانا .. ولكنه العنف الذى لا يتخطى الحقيقة .. ولا يجنى على الواقعية .

وكتب الرجل ذكرياته ونشرناها حلقات فى جريدة « الشعب » كادت ان تصل الى الخمسين حلقة ..

ولكن ما يكتب فى صحيفة ليس كما يكتب فى كتاب ...

ينسى الناس الصحيفة

وقد يحتفظون ويعنون بالكتاب

فليكن أول كتاب يؤلفه احمد زارم هذه الذكريات .. وهو شاهد العيـــان والمسهم فى كثير من الاشياء الجديرة بالاعتزاز ..

وكم ضاعت من ذكريات هى جزء هام من تاريخ شعبنا البطل ..

ذكريات : عثمان القيزانى..الذى كان صورة مشرفةمننضال صحفى سياسى

* ذكريات : فرحات الزاوى .. السياسى والمجاهد الذى حارب الطليان حتى صرعوه فى حادث غامض .

* ذكريات : عبد الله تمسك التى سجلها وضاعت فى بلاد الاتراك .

* ذكريات انور الذى شاهد كثيرا من المعارك .

* ذكريات الضابط المثقف « السنوسى بلقاسم » من مدينة مصراتة والـــذى ساهم مع سعدون واعتمدنا على شىء من ذكرياته فى كتابنا « سعدون »

* ذكريات سليمان البارونى التى حفظها لنا الامناء من اهل بيته وما زالـــت فى حاجة الى عناية علمية ودراسة منهجية ..

* ذكريات جمال الدين الميلادى
* ذكريات بشير السعداوى الذى املاها علينا حرفيـا ايام ان كنا فى بيته فى حى « قرقارش » بطرابلس الغرب .. ايام صراعه مع النكير
* ذكريات خالد القرقنى
* ذكريات محمد غالب الكيب المناضل المهاجر الذى كان مثقفا وانسانا يحب وطنـه وشعبه .
* ذكريات محمد على الحداد الذى مات فى اطراف اسيا مغمورا منسيا
* ذكريات على المتجول .. سكرتير « سعدون » الذى مات وهو عامل بسيط فى مصنع نسيج بريف مصر .. فى البحيرة ..

كل هذه ثروة تاريخية من جهاد شعبنا البطل غمر بعضها النسيان .. وتلاشى بعضها فى اوراق تذروها رياح الاهمال والضياع ..

* يا قوم .. حرام عليكم تلاغوا بمثل هذه الاشياء .. التى سجلها مجاهدون احرار .. بصدق وايمان .. ان مبعوثا سياسيا فى عصرنا يرقد فى فندق مكيـف .. ويشرب المثلج .. ويطفح المخمر .. ويركب طائـرة .. ويترفه .. ويتنزه .. ويسجل من توافه الامور .. ذكرياته .. ويتلهف عليها الناشرون .. ويتساقـط عليها القارئون .. وقد تكون مراجع .. ومصـادر .. من أجل الفراغ .. لكـن ليس لدينا فراغ !

فما بالك بذكريات عميقة ..؟

بعيدة الغـور ..

خطيـرة الدور ..

لمواطن عرف المشى على الاشواك .

وافترش الرمل بساطا .. وتوسد الصخر ..

وهذه الذكريات منوعة .

قد نشرها عفويا كما عصرتها ذاكرته

وهى قوية كما شاهدتها عيناه ويداه .. وكما املاها ضميره .. وهو حى .

وهذه الذكريات هى من وثائق الجهاد ذات اهمية ولا أبرىء هذه الصفحات من كل الاخطاء .. فلا يوجد بشر لا يخطأ ..

ولا ابرىء الكتاب من بعض المآخذ والمعايب .. فكتاب واحد فوق كل المآخـذ والمثالب .. هو كتاب السماء .. كتاب الله ..

اما ما كتبته الانامل فلا بد ان تكون فيه ملاحظات ونواقص ومسارب للمـآخذ أو المعاتبات .

ومهما يكن من أمر .. فهذه الذكريات هى خلاصة عمر .. وعصارة اجيال .. وتجربة مراحل .

احداث ومراحل لا يراها هذا المواطن باسلوب المترفين الكسالى .. بلا خواض مطامع .. ومصارع ازمات .. من جيل الجهاد .

وفى عبارة موجزة قد تلخص لك صفحات الرجل المؤلف :

ـ الرجل الذى لا ينحنى هو احمد زارم .

لم ينحنى لنفوذ الاستعمار وسلطة المستعمرين ولا لعوامل الاغراء .

تشرد وجـــاع ..

وتجوع الحرة ولا تاكل من ثدييها

ويجوع المناضل الحر ولا ياكل على حساب قضية بلده ..

وهذه الذكريات التى صاغها احمد زارم فى كتابه تعتبر من مصادر تـــاريخ النضال السياسى بشكل من الاشكال قد تدفع الى اشياء هامة .

* العناية بدراسة المراحل التى اشار اليها والنظر اليها بمنهاج فكرى وميزان علمى دقيق فهو بهذا قد اسهم باعطاء مفتاح وتقديم الضوء .

* ويدفع هذا الى البحث عن المقومات الغالية وابراز حقيقة كفاح الشعـــب ومقاومته لاساليب الفساد وصده للعملاء ورفضه للاستعمار ..

* وبروز هذه المذكرات قد يدفع كثيرا من معاصريه الى سرد وتقديم ما عندهم من حقائق .. وقد تكون على شكل تكملة أو تصحيح أو تعديل أو حتى بطريق التنافس الشريف فى ابراز الحقائق والدراسة العلمية .

وهناك سؤال يلح علينا .

لماذا ننقص من بضاعتنا !؟ ونقلل من قيمة رجالنا !؟

وناس آخرون .. بل فى كل بلاد العالم ..

اقل شانا من هذه التجارب والمشاهدات والمصارعات يقيمون حولها هـــالات واطارات ، ويقدمون حولها الصحاف والبهارات .. احد « الهلافيت » الصعاليك اتيح له ان يقابل الدتشى موسلينى .. مقابلة عابرة أو مقابلة فارغة .. وكان الدوتشـــى فى عنفوان طغيانه يقتل شعبنا ويشرد رجالنا ويصادر املاك الشعب .. ولم يستطع ان يقول له اف .. ولكنه كتب عن ذكريات هذه المقابلة وهذه المشاهدات لبـــلادنا ذكريات وجعل من ذكرياته سلاسل وحلقات ونشرها .. يا له من مشاهد ..

فما بالك برجل جابه الدوتشي وحـارب بالبو واعوان بالبـــو وصرف من قوت اولاده واثاث منزله .. ومن عرق جبينه ليكتب المناشير ويؤسس الجمعيـــات

السياسية ضد الاستعمار الغربى والنفوذ الاستعمارى الغربى والنفوذ الاستعمارى بل حمل السلاح فى معارك الجهاد .

اما كان الاولى ان يستحى امثال ذلك الصحفى « الهلفوت » عن ان ينشر حلقاته!

واما كان الاولى والاجدر ان يتحم ميدان النشر امثال هذا المجاهد المواطن «أحمد زارم » ويقدم لابناء هذا الجيل والاجيال اللاحقة عصارة تجاربه ومشاهداته !!

يجب ان يترك هؤلاء الاحرار رقع التواضع .. وستار الصمت يجب ان يقدم الشرفاء تجاربهم وما عندهم لانه فى الحقيقة لم يعد من ممتلكاتهم بل هى ذخيرة للشعب ومن تاريخ هذه الامة العربية المسلمة المجاهدة ..

من واجبهم ان يكتبوا .. بعد ان ادوا واجب الجهاد ..

ومن واجبنا ان ننصفهم وان نقرأ .. وأن نستوعب ما نقرأ ..

ومرة اخرى .. تحية لهذا المناضل الذى ظل كالشجرة ثابتة الجذور ولم يكن كاوراق خرعة تتساقط وتذروها الرياح .

وها هى ذكريات احمد زارم فى سطور وبين دفتى كتاب

يجد فيها القارىء صورة من نضال مراحل الشعب عربى مؤمن ..

وجدير كفاحه بكل تقدير ..

وجديرة فصوله بالتامل والدراسة وقد أضاف المؤلف الكاتب فصولا جديدة لم تنشر فى حلقاته كما قد اضاف بعض اللمسات والملاحظات ولعله فى طبعة أخرى يضيف أشياء من تاريخ تلك المرحلة .. فهناك وثائق عديدة ومراسلات عند بعض الاصدقاء الذين كان يراسلهم والله الموفق .

على مصطفى المصراتى
عضو مجلس الامة الاتحادى
طرابلس ـ ليبيا

توطئـــة

كان بودى ان يكون ما سأنشره فى يوم من الايام ، ان قدر لى ذلك ، مدعمـا بنصوص من المقررات الصادرة عن منظمتنا فى الهجرة ، والرسائل التى تحمل الينا اراء وأشارات من مختلف الجهات والشخصيات ، تلك المنظمة التى عملت فى سبيل الوطن بنشاط وتضحية واخلاص طوال عشرين عاما مضت فى الخارج تحت أسمـــاء مختلفة كل ما دعت الحاجةالى التغيير بسبب تطورات الظروف الدولية ومقاومـــة أعداء حركتنا .

وماأكثر مقاومة الاعداء الايطاليين لكل حركة وطنية ليبية فى الخارج ، اماتصرفات الاستعمار داخل الوطن فيعرفها اخواننا الذين بقوا فى الوطن ، اكثر مما نعرفها نحن فى الخــــارج .

فلقد بدأت حركة مقاومة الاستعمار الايطالى من طرف المهاجرين الليبيين فيالمغرب العربى ومقرها فى ((المملكة التونسية)) سنة ١٩٢٨ م وقد أسسها أربعة أشخاص هم : الشيخ محمد عباس المسراتى – والشيخ محمد عمار الشرادى الرحيبـــى – والشيخ محمود على الزنتانى – وهؤلاء من طلبة جامع الزيتونة عمره الله – وصاحب هذه الذكريات .

ولقد بدأت الحركة أولا باسم : ((اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية)) ثم ((جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة)) ثم جمعية التواد والتعاضد بين المهــاجرين المسلمين)) ثم ((جمعية الوحدة الليبية)) .

فبهذه الاسماء عملت المنظمة طوال عشرين سنة ضد الوجود الايطالى فى بلادنا ليبيا ان هذه الذكريات لو قدر لها أن دعمت بتلك الرسائل من الجمعياتالسياسية والشخصيات العلمية والسياسية وزعماء حركات التحرير فى العالم أمثال : شكيب ارسلان – وسليمان البارونى – وعونى عبد الهادى – وبشير السعداوى – وعبد الحميد بن باديس – وعبد العزيز الثعالبى – وفوزى النعاس – وعمر شنيب – ومحى الدين القليبى – وفخرى البارودى – واحسان الجابرى – وغيرهم كثيرين رحمهم الله جميعا وجزاهم بما هم أهل له من الرحمة والرضوان .

قلت ان هذه الذكريات لوشاء القدر اندعمت بتلك الرسائل الواردة من مختلف الجهات الليبية وغير الليبية مع مقرارات اللجنة ومحاضرها ومنشوراتهـــا فذلك ما يعطيها قوة أكثر واهمية أعظم وتأثيرا ابلغ وأعمق عند رواد الحقيقة .

ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... اقول بكل اسف وحسرة فلقد فقدت منى كل تلك الوثائق الامر الذى جعلنى أفكر كثيرا فى العدول عن النشر الا اننى بعد تفكير والحاح من بعض الاخوان الذين كانوا مهاجرين فى جهة المغرب العربى . فلقـــد اتصل بى الكثير منهم ، وقالوا أن جميع الحركات الليبية فى الخارج ظهرت للوجود وعرفها الناس ، حتى تلك التى ظهرت فى ((ساعة الصفر)) كنتيجة حتمية لضغط

الظروف وتحركات الاجانب . اما حركتنا فبالرغم من نشاطها المتواصل وضخامة التضحيات المادية والادبية بالنسبة لاوضاعنا وخطورة محيطنا فقد بقيت في عالم المجهول . وانت من مؤسسيها ومسيريها وأكثر الاخوان التصاقا بها فانت اذن اعلمهم بها وبتطوراتها . فالمسئولية تقع عليك وحدك في اضاعة هذا الجانب الهام من تاريخ الحركات الوطنية الليبية في المهجر .

وامام هذا الطلب الملح لم يسعني رغم قلة بضاعتي العلمية وعجزي عن القيام بمثل هذه الاعمال وضياع أهم مصادري . رغم ذلك كله لم يسعني الا ان اتوكل على الله راجيا منه تعالى الاعانة والتوفيق في جمع شتات ما أمكنني جمعه اجابة لذلك الطلب من طرف الاخوان . وعملا بالكلمة التي تقول : ((شيء خير من لا شيء)) غير أنه من الواجب على ان اشير الى اسباب ترددي فاقول : لقد كنت محتفظا بتلك الوثائق كما يجب ان يكون الاحتفاظ .

ولكن مما لا شك فيه ((أن القدر يغلب الحذر)) فلقد داهمتني ظروف جد مزعجة وحوادث هائلة متصبة كانت سببا في ضياع كل ما احتفظت به من الوثائق . وليس من قبيل المبالغة حينما أقول انها اثمن ما اكتسبته في هجرتي كلها وانها اعز ما اعتز به في حياتي من اتصالي مع اخواني في سبيل الوطن والقومية وأداء الواجب المفروض على كل مواطن نحو وطنه وقومه ما استطاع للعمل سبيلا

والسبب في الضياع هو انني لما كنت اعمل في ميدان الحركة الوطنية مع الاخوان في مقر هجرتنا بتونس قبل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ علم بي كثير من الايطاليين وتعرفوا على شخصيا في المنطقة التي كنت اسكن بها رغم انني اختفيت وراء اسماء مستعارة فيما أنشره ومع ذلك فقد عرف الايطاليون كل شيء عني . وان الذي عرفهم بذلك بعض اخواننا سامحهم الله .

ولقد كانت تصلني تهديداتهم . ولم يكن هذا التهديد صادرا عن جهاتهم الرسمية وحسب كالسفارة مثلا . بل كان ذلك التهديد ياتي حتى من السكان المتزعمين لجاليتهم المتعصبين لفاشيستيتهم اولئك المنتسبين لمنظمات لهم تدعى « دبولافورا »

وهذه المنظمات منتشرة في كامل البلاد التونسية أين ما وجد الايطاليون وهم كلهم عيون لحكومتهم وجنود لها متحمسون .

ولهذه الاسباب المتقدم ذكرها والتي تحمل في طياتها خطرا اكيدا لا شك فيه فعندما نزلت جيوش المحور بتونس سنة ١٩٤٣ م حلت معها الظروف التي يمكن للايطاليين فيها ان يتصرفوا تصرف الغالب . وهنا لم أر بدا من مغادرة المكان فاسرعت للاختفاء من بلد « الكرم » فخرجت متنكرا على عربة (كاراطون) يجرها حصان واحد في اتجاه الغرب نحو الحدود الجزائرية لاجئا فارا من زحف المحور .

ولقد وصلت فى حالة من التعب الشديد الى منطقة اسمها (الكريب) حيث كان يسكن احد مؤسسى جمعيتنا وأمين مالها وهو الاخ الوطنى الصادق الاستاذ « محمد محمد عباس السراتى » وبعد ايام من الراحة هناك ذهبنا الى مدينة (الكاف)

وحالما اختفيت من الكرم اخذ الايطاليون يبحثون عنى فبلغ ذلك جماعتي فجاء فريق منهم الى والدى رحمه الله واعلموه بما تراءى اليهم من الاخبار من ان الايطاليين يبحثون عني . وطلبوا منه بالحاح ان ينزل عند رأيهم بدون تأخير ولا تردد حيث انهم قرروا احراق جميع الاوراق والوثائق التي كنت محتفظا بها . اذ بلغهم ان الايطاليين سيقتحمون البيت حتما حينما يتأكدوا بانني قد افلت من ايديهم . وفى هذه الحالة سوف يلحق الضرر بكثير من الاخوان من أصحاب النشاط فى ميدان الحركة الوطنية ضد الايطاليين .

ولقد نزل الوالد رحمه الله عند طلب الجماعة ، وهو عمل من طرفهم كان فى الحقيقة والواقع بوازع من الخوف والشفقة على عائلتى وعلى كثير من المهاجرين الذين سوف يجدون أسماءهم في الرسائل والمحاضر والسجلات وغير ذلك . الا انهم بدلا من ان يخفوها بطريقة ما تبقى عليها وتبعد الخطر . احرقوها تماما .

وفي شهر مايو سنة ١٩٤٣ م حينما عدنا الى تونس وقد ارتحل عنها المحور منهزما وكانت وثائق جديدة كونتها تتعلق باتصالنا بقيادة الحلفاء من بينها اجوبة من قائد (القوات الامريكية التى نزلت اذ ذاك بالجزائر) ووثائق جديدة أخرى تتعلق بمشاركتنا في الواجهة مع الجيش الثامن الانجليزى فى سبيل تحرير بلادنا ثم مذكرات ووثائق تتعلق بمباحثاتى مع الوفد الامريكى فى لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية في دار السفارة الامريكية فى تونس قبل حضورها الى ليبيا وغير ذلك من الوثائق وقد استصحبتها معى فى عودتى الى الوطن فى اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٤٨ م

وفى خلال السنوات الاربع من ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ م حدثت لنا فى ليبيا مصادمات مع المستعمرين الجدد الذين كانوا وما زالوا حتى الى غاية ٣١ اغسطس من سنة ١٩٦٩ م يسيطرون على البلاد ، ويحرصون كل الحرص على اثبات وجودهم وتمكين نفوذهم وتمييع استقلال البلاد ، وقد اعانهم على عملهم ذاك وغيره فريق من ابناء البلاد ((وياللاسف المذيب للقلوب)) وهي طائفة معروفة لدى جميع الشعب ولذلك فانني اضرب صفحا عن ذكر الاسماء اليوم والى حين اخر .

ولما كان الانجليز قد ازعجتهم تلك اليقظة الشعبية العارمة والتظاهرات الملتهبة المتوالية والاستعدادات المخيفة التى عمت الشعب باجمعه ، الا اولئك العملاء من ابناء الوطن الذين اغراهم المستعمر المتسلط المخاتل . اغراهم بوظائف فى بلادهم ومن مال شعبهم الذى باعوه . فناصروه ومكنوه من الوطن فترة امتدت ثمانية عشرة عاما . مثلت خلالها مهازل على مسرح هذه البلاد . ومكنوه وأعانوه بل وألزموه حتى

على اخراجها من بلدنا بطريقة ظالة تعسفية رهيبة لا تمت العدل ولا للقـانون بشيء وبصورة سيأتى تفصيلها فى صلب المذكرات . فعل المستعمرون ذلك لكى يتخلصوا من موقفنا . ذلك الموقف القوى الجبار المستمد قوته من روح شعبنا الثائر المتحفز .

وبهذه المناسبة فقد صادرت السلطات المزدوجة من الانجليز وعملائه جميـع الوثائق المذكورة التى كونتها من جديد واستصحبتها معى من تونس والتى كونتهـا هنـا فى طرابلس وأخرجونا من البـلاد وأنا لا أملك حتى ورقة تدل عـلى هويتى ، ولهذه الاسباب مجتمعة جاءت ذكرياتى هذه غير مدعمة بالوثائق والمستندات . وقـد يؤدى فقدان هذه الاشياء فى تقديم وتأخير بعض تواريخ ما سأذكره . وعلى كل فالمهم هنا فى الامر هو اننى قد حافظت محافظة بالغة على صحـة الحوادث ، وأنا لا اذكر الا ما أنا على اتم الاعتقاد فى صحة وقوعها وضبط المداولات والاجوبة وصحتهـا . خصوصا وان الاخوان الذين عاشوا تلك الاحداث وشاركوا فيها لا يزال بعضهم على قيد الحياة وداخل الوطن .

والى هنا رايت ان اقف بهذه التوطئة التى لا بد منها لتوضـيح الاسـباب والمسببات التى جعلت ذكرياتى هذه تنشر اليوم ناقصة الوثائق . وكان من المرغوب فيـه أن تكون مدعمة بها ((زنكوغرافيا)) حتى يعرف القارىء من أول الامر الاسباب التى ادت الى هذا النقص ولذلك فاننى أكتفى بما تقدم وأبدا فى صلب الذكريات .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

احمد زارم الرحيبى



بدء الهجرة أو يوم مغادرة الوطن

ففي يوم أشعث غابر عابس جاهم يوم تصادمت فيه الرياح العاتية العنيفة الهوجاء على وجه الارض حتى ارتفع الغبار في الأفق حاجبا شعاع الشمس • وأقتم الجو منذرا أيانا بمستقبل غامض وحياة مجهولة جاهمة • وأيام عسيرة • فكان منظرا فظيعا رهيبا يبعث في نفوسنا المتململة الكسيرة من شدة تراكم الهواجس الغريبة وتكاثف المخاوف القاتلة الرهيبة مايزيدها ألما على آلامها وحزنا على حزنها •

ففي ذلك اليوم الذي لاتزال ملامحه بادية في مخيلتي كل ماتذكرته • ذلك اليوم الذي توارى فيه الحظ منهزما • وبرزت فيه طلائع النحس متقمصة تلك الوجوه الشريرة والقلوب القاسية المتوحشة من جيوش الاستعمار الايطالي البغيض •

ففي ذلك اليوم المشئوم حتمت علينا الاقدار الالهية التي لا مرد لحكمها ترك مواطن الابطال وديار الكرم ومرابع الاقارب والاصدقاء ومرابض المجاهدين وتربة الأجداد وأملاك الآباء ولقد تركنا كل ذلك مجبورين غير مختارين •

تركنا كل ذلك الا الكرامة كي لاتداس والانفة كي لاترغم • تركنا ذلك وفي النفوس حسرة وفي الافئدة آلام • والقلوب تخفق متضرعة الى الله العلي القدير شاكية من شدة الظلم والطغيان الذي يسلطه الانسان على أخيه الانسان • ذلك الظلم الذي كان سببا في مآس فجيعة وأحداث هائلة مريعة ذهبت ضحيتها آلاف من الانفس البريئة تتطاير أرواحها الى الأفق الأعلى شاكية الى خالقها ظلم ظالميها •

والآن فلنترك حوادث الطريق وما فيها من أتعاب وأوصاب وارهاق ومناظر تفتت الاكباد وتذيب الجماد : سلاسل من أجسام بشرية متناثرة هنا وهناك وأجسام كاملة التكوين لم تتناثر بشيء بعد • وأخرى لايزال فيها رمق من حياة قعد بها الجهد مستندة على كثبان من الرمل ولاشك انها كانت تلك هي مرحلتها الاخيرة من الحياة • وغير ذلك من المناظر الرهيبة •

أجل فلنترك تفاصيل حوادث الطريق ونتجاوزها الى الحديث عن حركتنا بعد وصولنا الى الاراضي التونسية • وغني عن البيان اننا لم نعرف تلك الاراضي من قبل • وقد أخذنا في التنقل من جهة لأخرى بحثا عن مكان تتوفر فيه طرق المعيشة وأسباب الاستقرار حتى انتهى بنا المطاف الى منطقة « حلق الواد » من ضواحي تونس • وهناك كان محل الاقامة •

كيف فكرت فى خـدمة الوطن

وبعد الاستقرار فى منطقة « حلق الوادى » فكرت مليا فيما يجب على نحو وطنى . وما يجب على نحو نفسى . وانا ذلك الشخص الغريب المحتاج . هل أعمل لنفسى فقط أم أعمل لوطنى وعائلتى علما بأن وطنى فى أشد الحاجة الى أى عمل من أبنائه مهما كان ضئيلا . ولقد تجاذبتنى هذه النوازع واستمر هذا التفكير واحتدم الصراع بين الضمير الطيب الشفاف وبين النفس الامارة .

ولقد دام هذا الصراع وامتد زهاء عام كامل . واخيرا تغلب الخير على الشر وفاز الضمير على النفس فتصورت فى أعماق نفسى بأننى مسئول أمام الله والتاريخ بعد ما أصبحت فى محيط لا سيطرة لعدو بلادى فيه . بينما وطنى يسيطر عليه ويتحكم فيه عدو لايرقب فى مواطن منا الا ولا ذمة .

عدو ماكر يعمل على اذلال شعبنا والتنكيل به وامتلاك أراضيه ومحق قوميته وازالة عقيدته وطلينة معالمه ، فلا بد والحالة هذه من عمل سياسى فى الخارج لاحياء روح الكفاح والاستعداد للثأر بين صفوف المهاجرين لاعادة الجهاد واستئناف النضال فى مستقبل الايام حتى لايجد اليأس طريقا الى نفوسنا .

ولقد أملى على ذلك الصراع العنيف بين النفس والضمير بأن الانسان مهما تمتع بالراحة ومهما اكتسب من الثروة فهو اذا لم يكن له شعب ينتمى اليه . ووطن يفتخر به . وعمل لفائدتهما يسجله له التاريخ بمداد من النزاهة والاخلاص فهو بلاشك انسان تافه يعيش ذليلا حقيرا كالواو فى عمرو بين الجماهير . وبالجملة يحيا حياة تنقصها كل المعنويات وفوق هذا كله فان نسيان ذلك الشعب الذى أنا منه . وتناسى ذلك الوطن الذى تعلمت فيه والربوع الذى ترعرعت بها وتغذيت من خيراتها واستنشقت نسيمها . وهاتيك التربة التى توارث فيها سلسلة طويلة من أجدادى لايعلم عددها الا الله . فان نسيان ذلك كله والركون الى الراحة ولذة الحياة البهيمية فهى أقصى درجات العقوق .

وهكذا بهذه الفلسفة الوطنية تفاعلت الافكار فى نفسى وتبلورت حتى لقد أصبحت عقيدة راسخة لاأستطيع التحول عنها ولا الهروب منها . ولقد زادتها تفاعلا ورسوخا فى النفس تلك الاخبار التى نطالعها فى الصحف عن الحركات الوطنية التحررية والاهتزازات الشعبية والنهضات القومية التى أخذت تتململ فى الشرق وفى الغرب . وفوق هذا وذاك فانا فى بلد تتوالى فيه الاجتماعات الحزبية والمحاضرات الوطنية وتقى وتتطور دائما الى الامام فى مقاومة المستعمر الدخيل من يوم لآخر . فلهذه الاسباب والعوامل كلها مجتمعة اندفعت فى ميدان العمل بقدر امكانياتى المادية والثقافية والتعليمية مضحيا بكل مااكتسبته من مال ووقت . واننى حينما أقول هذا لاأريد عليه جزاء ولا شكورا . ان أجرى الا على الله . كما وانها ليست منة على أحد من العالمين اذ ان المنة لله وحده ، ولكننى أقول هذا للتاريخ . تاريخ هذه البلاد . وللموعظة والقدوة فى آن واحد لمن سيأتى من بعدنا من الاجيال . والله ولى التوفيق .

لمــاذا اختفيت وراء أسماء مستعارة ؟

كدليل على بيان الاسباب التى جعلتنى اختفى وراء أسماء مستعارة فيما أنشره : أولا : لايهام الاعــداء بأن المقاومين مجموعة وليس فردا واحدا ، ثانيا : نفــوذ ايطاليا المتغلغل فىالبلاد التونسية فى ذلك العهد ثالثا : مجاملة فرنسا لايطاليا بصورة واضحة جلية • رابعا حوادث ارتكبتها ايطاليا فى تونس توضح مالها من النفوذ الخطير واليد الطائلة بسبب الامتيازات القنصلية وضخامة عدد جاليتها حتى لقد كادت أن تغطى على الفرنسيين أصحاب الحكم فى تونس اذ ذاك • وانا هنا أذكر حادثتين على سبيل المثال وليس الحصر •

الحـــــادثة الاولى :

كل الاخوان الليبيين المهاجرين بتلك الربوع • والذين منهــم يعملون فى ميدان القضية الوطنية بصورة خاصــة يتذكرون جيدا ذلك الفريق من اخواننا الذين كانوا مجندين عند ايطاليا وأصدرت أوامرها بارسالهم الى الحبشة وفى طريقهــم من جنوب البلاد « فزان » الى العاصـــمة « طرابلس » لركوب البحــر • وفى (برق النصــف) الواقع بين (غدامس • ونالوت) ثاروا على ضابطهم الملازم (بيوندى) الايطالى المتعجرف • وقتلوه بسبب اهانة فظيعــة لحقتهم من ذلك الضـــابط الاســتعمارى المتعصب المتعجرف •

ولقد فر فريق منهم من وجه السلطة الايطاليـــة ودخلوا الاراضى التونســية بعدما سمحت لهم فرنسا فى البلدين وسلمت لهم أوراقا تسمح لهم بالاقامة والعمــل وبعد مدة طالبت ايطاليا بتسليمهم اليها والحت فى الطلب • وعندما نمى الينا ذلك اجتمعت الجمعية وبحثت فى الموضوع ونتيجة لهذا الاجتماع كلف صاحب هذه المذكرات: « سكرتير الجمعية » للاتصال بالجهات ذات الاختصاص • ذهبت الى «الكتابة العامة» والكتابة العامة فى تونس على عهد الحماية الفرنسية هى بمثابة وزارة الداخلية تماما • وطلبت منها ان تتداخل فى الامر كى لايقع تســليم اللاجئين بحجة أن هذا التسليم اذا وقع سوف يضر بحركتنا ضررا فادحا • ويشوه سمعة فرنسا • ونحن فى انتظار حوادث آتية لاشك فيها • وماذا كان الجواب ؟ الجواب ان ايطاليا ألحت فى الطلب وشـــددت ونحن فى ظروف سياسية دقيقة فلانريد معاكسة ايطاليا ومن هنا لانستطيع ان نفعل شيئا فى الامر • وهكذا فقــد كانت لايطاليا اذ ذاك منزلة ملحوظة عند فرنسا اما لرغبـــة أو لرهبة أو لهذه وتلك • وهكذا فقــد جمعت فرنسا أولئك الاخــوان من مختلف الجهات بعدما تفرقوا فى المدن والآفاق وجاءت باخرة ايطاليـــة الى ميناء تونس ونزل منها أعوان الامن الايطاليون • وتسلموا من رجال الامن الفرنسيين أولئك الاخوان مكبلين بالسلاسل وأقلعت بهم الباخرة الى طرابلس حيث نفذ حكم الاعدام فى اثنين منهم أحدهما رحيبى

هو الشهيد خليفة سعيد النايب الغالى والثانى شعنبى هو الشهيد محمد صالح ••• وقد أعدما فى نفس المكان الذى قتل فيه الضابط الايطالى المذكور بعدما جمعت مئات من المواطنين وحملتهم لنفس المكان ليشاهدوا اعدام أخويهما ارهابا للشعب ونكاية • وعلى أثر خيبة سعينا لدى السلطات الفرنسية فى انقاذ اخواننا • أسرعت الى كتابة كلمة فى الموضوع تحت عنوان : « كيف يعامل العرب فى بلاد العرب » وأرسلتها الى مجلة (الرابطة العربية) التى كانت تصدر بمصر لصاحبها الاستاذ «أمين سعد» ولقد نشرت هذه الكلمة فى العدد ٦١ بتاريخ ١٣٥٦/٥/٢٧ هـ الموافق ١٩٣٧/٨/٤ م وعلى أثر نشر هذه الكلمة وقعت تدخلات واحتجاجات ومساع من طرف شخصيات ليبية وغير ليبية وهيئات عربية • أتذكر من بينها عصبة العمل القومى فى سوريا • ولكن ايطاليا التى يغلب عليها التعصب الدينى • والمتأخرة اخلاقيا بالنسبة لبلدان أوروبا لم تهتم بذلك ونفذت الحكم •

وبعد هذا فالذى تجب ملاحظته هو ان الايطاليين أقاموا بناية بالاسمنت المسلح على هيئة « القيطون : خيمة » تخليدا لذكرى ضابطهم المستعمر المعتدى فى نفس المكان الذى قتل فيه وفى أرض ليبيا • ولا يزال هذا البناء قائما حتى اليوم حسبما بلغنى • أما شهيدا الوطن فقد ذهبا نسيا منسيا رغم مرور عشرين عاما على الاستقلال •

وحادثة أخرى

كانت توجد بتونس جمعية ايطالية تدعى « انتى فاشستة » تعمل فى مناهضة النظام الفاشى القائم فى ايطاليا • وقد كان عملها بطريقة سريه وعندما تحرجت الحالة الدولية وأخذت بوادر الابتعاد بين ايطاليا وفرنسا تظهر فى أفق السياسة الدولية • رفعت هذه الجمعية عن نفسها ستار السرية واتخذت لنفسها مركزا بتونس العاصمة •

وفى يوم من أيام سنة ١٩٣١ جاءنى رئيسها الى بيتى بالكرم يصحبه رجل ايطالى طويل القامة خصب الجسم فى حوالى الستين من العمر تقريبا تبدو عليه علائم التعب • فقدمه لى رئيس الجمعية بوصفه شيخ مدينة « • •• » فى ايطاليا وقد وصل الى تونس أخيرا فارا من ظلم الفاشيست وبعد ذلك فاتحنى رئيس الجمعية بخصوص العمل وإياهم متعاونين ضد الفاشيست لاننا مظلومون على السواء على حد تعبيره •

وبعد مداولات فى الموضوع سلمت له شروطا تتعلق بمستقبل بلادنا فيما اذا آل الحكم فى ايطاليا اليهم بأى سبب من الاسباب • كما سلمت له مقالا يحوم حول الموضوع نفسه مكتوبا بالعربية طلبت اليهم أن ينشروه فى جريدتهم التى كانوا يصدرونها بتونس باللغة الايطالية • ويبدو ان الشروط لم تكن مقبولة لديهم • اذ لم يجيبوا عليها • أما المقال فقد نشر مشوها حيث جاء فيه كلام لم يصدر عنى • فقد

قالوا اننا قد اتفقنا على العمل معا الامر الذى اهتزت له الدوائر الفرنسية فى تونس فاستدعتنى جهة عليا وسئلت عن صحة مانشر فنفيت الخبر • وأعدت الى رئيس الجهة مادار بينى وبين رئيس الجمعية الايطالية والى هنا فقد انقطع اتصالنا بهذه الجمعية • قلنا آنفا ان هذه الجمعية كانت تعمل فى الخفاء وحينما أحست بتغير الظروف برزت تعمل جهرا • ولقد كان لعملها تاثيره على ايطاليا الامر الذى حدا بحكومة ايطاليا أن تعمد الى ارسال باخرة حربية فى صورة باخرة تدريب مدرسية قدمت فى زيارة الى تونس ونزل ركابها يتجولون فى المدينة « ومما لاشك فيه ان فى جاليتهم من يهديهم الى أى مكان يريدون » فدخلوا الى مركز الجمعية وقد صادف أن وجدوا سكرتيرها بالمكتب فأطلقوا عليه النار من مسدس فخر صريعا لحينه ظنا منهم انه رئيس اولجمعية وقد رجعت الباخرة برجالها سالمين ولم ينلهم أى عقاب فيما نعلم ذكرت هاتين الحادثتين كدليل على ما لايطاليا من النفوذ الواسع واليد المطلقة فى تونس الى قبيل اعلان الحرب من طرفها على الحلفاء – فللاسباب المتقدم ذكرها والحادثتان اللتان ذكرتهما على سبيل المثال – وموقف السلطات الفرنسية تجاه ايطاليا • • واحتياطا من ذلك كله • واجتنابا لما قد يؤدى الى قيام ايطاليا بالضغط على فرنسا لاخراجنا من هذه البلاد المجاورة لبلادنا كما وقع لاخواننا فى الشرق ونحن يفيدنا القرب من بلادنا فلهذه الاسباب المذكورة وغيرها اختفيت وراء عدة أسماء مستعارة فيما أنشره •



كيف بدأت الحركة الوطنية

بصـــورة فردية

ففى سنة ١٩٢٦ م وبعد الاستقرار فى المنطقة بدأت الحركة الوطنية بالنشر على الصحف التونسية • ولقد كنت اترصد لكل قادم أعرفه من مواطنينا الذين كانوا يفدون الى تونس فى مصالحهم الخاصة • وافتح معهم محادثات لالتقاط الاخبار الصالحة للنشر وكل ماظفرت بخبر مهما كان صغيرا الا واتخذته اساسا للتشنيع بتصرفات الاستعمار الايطالى فى بلادنا مستترا وراء تلك الاسماء المستعارة •

وأنا حينما أفعل ذلك التستر أفعله لضرورة حتمتهـا ظرف البلاد التونسـية وموقف فرنسا المتأرجح ووضع ايطاليا القوى فى تونس كما اوضحت آنفا • ريثما يتغير الجو وتتبدل الظروف التى كانت تملى على فرنسا مجاملة ايطاليا فمن أجل ذلك فقد كنت أسير فى عملى بقدر وحذر شديدين الى ان تجلو تلك الغيوم التى تخيم على السياسة الفرنسية وتتضح لنا الرؤيا فتبدوا لنا معالم الطريق التى نود سلوكها عندما يتضح لاتجاه المقبل للسياسة الايطالية والتى سيقع تقييم الموقف الفرنسى تجاهنا على اساسه • اما بعمل واضح وصريح والدفاع ضد عدونا لتحرير بلادنا واما مجابهة ظروف جد خطيرة بالنسبة لنا ومجهولة النتائج ايضا •

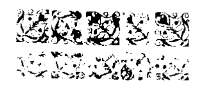
والجدير بالذكر هو انني برغم اعتبارى لتلك الظروف ومسايرتها والحذر منها وبالرغم مما يتراءى فى الجو السياسى الفرنسى من الميول والمجاملة لايطاليا فقد كنت مطمئنا للمستقبل • لاعتقادى ان تلك الظروف سوف لاتدوم طويلا • وسوف ينسفها موسولينى بالكمة عندما يقف فى شرفة قصر البندقية ومنها يبعث كلمتـه النهائيـة المنتظرة • ذلك لاننى فهمت من خلال اتصالاتى بان فرنسا تفعل ذلك طمعا فى جذب ايطاليا الى صف الحلفاء وفى نفس الوقت الى حد يقرب من اليقين ان ايطاليا منحـازة الى المانيا حتما • عرفت ذلك على ضوء الماضى الذى ترك أثرا سيئا فى نفس زعيم ايطاليا (موسولينى) ولقد زادنى ايمانا وتأكيدا مانسمعه ونشاهده واضحا جليا من تذمر الجالية الايطالية بتونس بصورة عامة وما يتفوه به المتزعمون لها بصورة خاصـة • وفى تاريخ لاأتذكره جاءت فرقة تمثيلية ايطالية وقد مثلت رواية ايطالية فى مسرح يقع فى شارع « الحبيب بورقيبة الآن • وقد كنت من الحاضرين لمشاهدة هـذه التمثيلية • فوقف شخص ايطالى لاأعرفه وألقى كلمة جاء فيها مانصه حسبماكتبته صحافة تونس « فوق خراب قرطاجنـة التى لاتزال آثار الرومان بارزة فيهـا ربما بزغت شمس جديدة » •

كما يؤخذ من خطابات دكتاتور ايطاليا الفاشية ومبلغ اعجابه بنفسه واقتناعه

بضخامة قوته واعتماده على شعبه واعتزازه بحليفه القوى الجبار . وأساسا فان موسولينى حانق ساخط على حلفاء بلاده فى حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨م لاعتقاده ان ايطاليا قد غبنت وأهينت وظلمت حيث لم يكن لها من القيمة التقديرية والاعتبار فى تصرفات حلفائها وفى اقتسام الغنائم المادية والمعنوية والمستعمرات الناتجة عن انهزام « المانيا وتركيا والنمسا . » ما لحلفائها

بناء على ذلك كله فقد كنت معتقدا ان ايطاليا لن تكون فى صف الحلفاء فى الحرب المقبلة . ورغم ذلك فقد استمررت فى عملى متنكرا متعدد الاسماء لمدة عامين تقريبا دون أن يعرف ذلك أحد . ولزيادة الاحتياط فقد ابتعدت عن دور الصحف فى تلك الظروف غير الواضحة وقد كانت اتصالاتى بأصحاب الصحف محدودة على أشخاص معينين فى محلات عمومية وفى أوقات الفراغ .

ومن قبيل النوادر اذكر اننى فى يوم من ايام شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩م كنت جالسا فى احدى مقاهى تونس ومن باب الصدف دخل أحد الاخوان المهاجرين فجلس معى وأخذنا فى الحديث حى وصل بنا الكلام الى الوطن وهنا سألنى هذا الاخ بقوله : ان شخصا أو أشخاصا يكتبون فى الجرائد عن طرابلس منذ مدة طويلة وقد سألت كثيرا فلم أصل الى معرفة أى منهم فهل تعرف أحدا ..؟ فقلت أنا مثلك أود معرفة من يكتب عن طرابلس ، ولكننى لم أجد من يعرف ذلك . فأخذ الرجل يظهر استغرابه ثم قال : من واجبنا أن نعرف ذلك . أما انا والحق أقول فقد ساورتنى الشكوك وخفت أن يكون مكلفا من جهة ما لاكتشاف هذا المجهول .



الاتصـــال بالمرحوم الســعداوى

وتأسيس الجمعيـــة



المرحوم بشير الســعداوى

وفى أحد شهور ســنة ١٩٢٨م أرسل الزعيم المجاهد المخلص المغفور له بشير بك السعداوى الذى أخرجته بريطانيا من مصر سنة ١٩٢٤ م مع زملائه من مواطنيــه أولى الثقافة وأصحاب القلم والمبادىء الوطنية أخرجتهــم من مصر ارضاء لايطاليــا وبطلب منها • وذلك بسبب امتناعه عن التعهد بعدم الاهتمام بوطنه وعدم مناهضة الاستعمار الايطالى فتحول الى سوريا واستقر بدمشق • ومن دمشق وفى التاريخ أعلاه أرســل

رسالة نشرتها جريدة (الصواب) الاسبوعية التونسية لصاحبها المرحوم الشيخ محمد الجعايبي رحمه الله • وهي رسالة نداء موجهة الى المهاجرين بالقطر التونسي يذكرهم ويستنهض هممهم ويطلب اليهم التكتل وتنظيم الصفوف وتكوين الجمعيات لتوحيد الجهود والعمل على احياء روح الكفاح لانقاذ بلادهم • وبالجملة فهي اثارة لشعور المهاجرين كي لاينسوا بلادهم التي تركوها ترزح تحت كلاكل أفضع وأقذر استعمار أوروبي متعصب دينيا متأخر حضاريا فقير ماديا بالنسبة لدول أوروبا •

نشرت الجريدة المذكورة رسالة السعداوي مذيلة بعنوانه • وأقول الحق انني حينما وقع نظري على الرسالة غمرني السرور وهزني الفرح ، ذلك لاننا عندما بلغنا خبر التضييق على اخواننا الاحرار المخلصين واخراجهم من مصر ارضاء لايطاليا قد أصابنا الكثير من القلق • وخالجتنا أفكار مخيفة على مستقبلنا بسبب تضامن الاستعمار وتعاونه على ظلمنا بملاحقتنا حتى خارج بلادنا لارغامنا على قبول الذل والاستسلام له • فمن اجل صمود اخواننا واعلانهم الاستعداد الصادق للعمل ضد ذلك العدو الظالم قد كان سروري عظيما جدا • فالرسالة المذكورة قد وسعت لنا ميدان العمل وقوت في نفوسنا الامل •

ولا غرو فأنا مبتدىء في العمل وفي جو غامض ومستقبل مجهول وظروف شديدة اتلمس الطريق وأفتش عن المنسجع والرفيق ، فبينما أنا كذلك اذ بشعاع من نور مضيء ينبعث من (جلق) الشماء كما تنبعث الشمس من وراء السحب الكثيفه فتضيء الكون وتبعث فيه قدرا من الحرارة الصالحة لحياة الانسان ، المعينة على مقاومة الحشرات الطفيلية الضارة • وكذلك كان ذلك الشعاع المعنوي المنطلق من (دمشق) مرقد صلاح الدين قاهر الرومان من قبل • وملجأ المجاهد الليبي عدو الاستعمار من بعده انطلق ذلك الصوت من ضفاف بردى أعلنه المجاهد الليبي المخلص فرددت صداه تونس الخضراء منطلق الفاتح (أسد ابن الفرات) بلسان المهاجرين الليبيين ان حيى على العمل أجل فلقد بعث ذلك الصوت في نفوس الليبيين نورا أضاء لهم تلك الظروف المظلمة فارتفع الايمان بالعمل الى مستوى حرك المشاعر وألهب النفوس بعدما أصيبت بفترة من الذهول أدت الى فتور مخيف نتيجة لهول الصدمة • فتحركوا للعمل يحدوهم الامل في المستقبل استعدادا لظروف آتية لاشك فيها • وقد يكون فيها خيرا لوطننا • وبكل غبطة أسرعت بالكتابة للمرحوم السعداوي • ولم تطل مدة الانتظار حتى تلقيت جوابه يحوي تفاصيل وتوصيات وارشادات جمة •

ومنذ ذلك الحين أخذت الرسائل تتبادل بيننا ولا يزال عملي في سبيل الوطن الى ذلك الوقت عملا فرديا • ومقتصرا على النشر • وفي احدى رسائل السعداوي رحمه الله ـ من نفس السنة أي ١٩٢٨ م يقول لي فيها : انه يوجد أخ لنا بجامع الزيتونة

اسمه محمد عباس أرجو أن تتصل به ومن ذلك اليوم أخذت فى البحث عن ابن عباس بين طلبة هذا الجامع • وما كنت أدرى ان الاخ عباس قد اطلع على رسالة السعداوى المنشورة على جريدة (الصواب) هو الآخر وكتب له وتلقى الرد وفيه نفس الاشارة التى توجهه الى الاتصال بأحمد زارم • وهكذا فقد كان المرحوم السعداوى همزة الوصل بينى وبين ابن عباس فعرفنا بعضنا بالاسم بواسطته جزاه الله بما هو أهل له من الرحمة والرضوان وسكنى أعالى الجنان •

وفى أحد الايام جاءنى الشيخ محمد عمار الشرادى وقال لى ان شخصا من جامع الزيتونه اسمه (محمد عباس) يسأل عنك ويود مقابلتك فقلت له انا بدورى افتش عنه • وقد تم اللقاء بينى وبين الاخ عباس ضالتى المنشودة بواسطة الشيخ محمد عمار الشرادى ومن حسن الحظ وبشائر المستقبل ان وجدت فى ابن عباس رجلا نادر المثال قليل النظير فهو على مستوى ملحوظ فى التدين فى قوله وفى عمله ومعرفة للدين نظيفة من الشوائب الدخيلة وعلى أعمق مايكون من الاخلاص الوطنى وعلى مستوى عال من الشهامة العربية والوفاء كريم النفس واليد صادق الاقوال عظيم الاهتمام كثير النشاط قوى الجدل فى الحركة الوطنية • وبالجملة • فقد حلق هذا الرجل فوق الجميع بأعماله وصفاته ونكران الذات بين مجموعتنا اطلاقا •

أقول هذا عن تجربة طويلة امتدت عشرين عاما هذه كلمة أقولها بالمناسبة فى الاخ محمد عباس وهى حق على ودين فى ذمتى فمن الواجب أن أؤديه للحقيقة وللتاريخ « والله على ماأقول وكيل » وفى اعتقادى اننى حينما أقول هذا فى رجل عرفته طويلا فسبرت غوره وعجمت عوده فعجبت به • فان قولى هذا لاينقص من اعمال الآخرين فكل منهم عمل بقدر ماسمحت له به أوضاعه الخاصة • وكذلك بعض الاخوان الذين لم أذكرهم • وليس معنى ذلك انه لايوجد غير المذكورين كلا فالاخوان كثيرون •

وبعد الاتصال والتعارف مع ابن عباس والتعاهد على العمل مهما كلفنا الامر أخذنا فى الاتصال مع بعض الاخوان • وأول من اتصلنا به هو « الاخ : الحاج محمد المجدوب التاجورى » فعرفت فيه رجلا وطنيا مخلصا متحمسا ومتدينا الى حد التزمت ومن جهة أخرى كان معجبا بنفسه قؤولا فى غيره ، ولكنه فارقنا بعد مدة وجيزة ولم أره منذ ذلك الوقت ١٩٢٨م ولم أسمع عنه شيئا ولا فى أى بلد من بلاد الله ، وفى سنة ١٩٧١ م التقيت به صدفة فى طرابلس ، ومنه علمت بانه قد اصبح من سكان «سبها» وفى سنة ١٩٢٨م جاءتنا رسالة من المرحوم السعداوى يعلمنا فيها بأنهم قد شكلوا هيئة باسم (اللجنة التنفيذية الجاليات الطرابلسية البرقاوية)

وعلى أثر ذلك اجتمعنا أربعة أشخاص هم : (محمد عباس ــ محمد عمار ــ محمود على ــ أحمد زارم) وشكلنا من اربعتنا هيئة بدون رئيس وأسندت سكرتاريتها لصاحب

هذه المذكرات . وجريا وراء الاتحاد والتكتل والارتباط معا لاعطاء عملنا قوة واتساعا مع اخواننا فى الشرق فقد قررنا ان لاتكون هيئتنا مستقلة ، ولذلك أطلقنا عليها نفس الاسم ولم نزد عليه الا عبارة واحدة هى (فرع تونس) ثم كتبنا الى جماعة الشام بذلك وتم الاتفاق بيننا . وفى سـنة ١٩٣٤ م انضم الينا الاخوان : محمد شكرى كويدير بنغازى ـ عبد القادر الورفلى ورفلة ـ المبروك عمر بالريشة غريان . أحمد تريفيس زليتن ـ رمضان حسن طالب سوق الجمعة ـ محمد غالب الكيب صبراته ـ عمر مالك غدامس ـ سالم النعمى تاجوراء ـ محمد فياض غدامس ـ مفتاح الدقينى ساحل لحامد . مفتاح عليليب زليتن ـ رمضان شادى . ورشفانه ـ احمد الفرجانى ترهونة ابراهيم السويحلى زليتن . ومحمد على الشعثانى ككله . ولقد كان الشهيد المرحوم (محمد شكرى) رجلا لين العريكة هادىء الطبع مسالما لكل الاخـوان يساير الجميع ولا يقطـع أمرا الا بالتشاور والموافقة ليس له رأى مستقل ولهذه الصفات اتخذناه رئيسا للجمعيـه فى سنة ١٩٣٤م . ولقد سارت الجمعية فى أعمالها دون أن نتخذ لها مقرا تبعا للظروف وقد كانت اجتماعاتنا متنقلة فى بيوتنا هنا وهناك هروبا من عيون المتتبعين .

وهناك مجموعة أخرى من الاخوان التحقت بالجمعية فى منتصف سنة ١٩٣٩م حينما تكهرب الجو وتحقق الخطر واتضح الموقف وبدأت الحرب فى أوروبا ومن بين الذين انضموا : محمد ابن الحاج حسن مشاشية ـ سالم بن عبد النبى زنتان ـ احمد الحاج خليفة بن مبارك نالوت ـ محمد حلمى الخمس ـ محمود العش طرابلس ـ محمد على العرضاوى الرحيبات ـ يونس عبد النبى بلخير ورفله ـ نور الدين شميلة زليتن ـ محمد احمد عريقيب زليتن ـ على محمد ابو ستة سوق الجمعة ـ حسن الفيتورى ريح النواحى ـ مفتاح عريقيب زليتن ـ الشيخ مفتاح الفيتورى زليتن والطاهر القمودى ـ مسراته ـ الحاج اسماعيل بن اسماعيل مسراته ـ عبد الهادى الزروق ورفلة ـ الحاج مفتاح الزنتانى الزنتان ـ الطاهر البدى أولاد أبى سيف . الشيخ محمد القطاس زليتن ـ سالم ابراهيم الدوه الرحيبـات . محمد ابن خليفة بن عامر العزيزية ـ الهادى الحرك الخمس : نواحى ـ عبدالله السركسى مسراته . مسعود محمد كعرود الرحيبات ـ وكثير غيرهم . هذا واننى لأرجو من الجميع عـدم المؤاخذة من الذين يتخلف ذكرهم هنا ذلك ان المدة طويلة والاخوان كثرة راجيا منهم أن يحملوا ذلك على حسن النية . والله من وراء القصد .

نحـــن وفرنســـا

ففى سنة ١٩٢٩ م كنت اشتغل سائق سيارة فى احدى المحلات التجارية الكبرى لبيع الآلات الزراعية بتونس ، وهى دار انجليزية ومديرها المباشر يهودى تونسى • وفى يوم من أيام شهر نوفمبر من هذه السنة وردت الينا مناشير طبعت فى سوريا من قبل اللجنة التنفيذية لتوزيعها وقد كانت هذه المناشير مثيرة جدا. ولقد قام كل منا بتوزيع الكمية التى سلمت اليه سواء ذلك مباشرة او بواسطة البريد للاماكن البعيدة ولقد قمت بتوزيع ماخصص لى على الصحف وأئمة المساجد والهيئات والاحزاب وغير ذلك فى مختلف اقطار شمال افريقيا ، ولقد طلبت من أئمة الجوامع أن تقرأ هذه المناشير على المصلين أثر صلاة الجمعة •

ولقد استجاب الجميع لهذا الطلب فأحدثت هذه المناشير جوا متوترا فى البلاد التونسية أدى الى وقوع مظاهرات فى مختلف أنحاء البلاد • وكان أشدها فى تونس العاصمة حيث قتل فى المظاهرة اثنين من الايطاليين حسبما بلغنى فى ذلك الوقت من بعض المصادر فاهتزت لذلك الدوائر الفرنسية فى تونس وأخذت فى اجراء تحريات عن مصدر هذه المناشير ومروجيها • وبعد هذه الحوادث بيومين وردتنى رسالة من أحد الاخوان يدعى « عبد القادر الورفلى » يقيم فى بلدة تاجروين من عمل الكاف : تونس ، وهو رجل مهنته تعليم القرآن الكريم وجاء بالرسالة شخص خاص للاستعجال •

يقول السيد عبد القادر فى رسالته — ان قراءة المناشير أحدث حركة توتر نفسى شديدة فى «تاجروين» ولقد توصلت المباحث الى أن مروج المناشير هو السيد عبدالقادر، وقد أخذوه للتحقيق وطلبوا منه ان يخبرهم عن المصدر ، وقال فى رسالته انه يمضى ساعتين كل يوم فى مركز البوليس للتحقيق وقد تضايق كثيرا لذلك فقد طلب منى الجواب بسرعة مع الحامل ، وفى الرسالة أدركت ان الرجل اصبح فى قلق شديد ، ومن واجبى أن لا أتركه ، فاشرت عليه بأن يقول لهم الحقيقة •

وفى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٩م بينما كنت فى جولة عمل بسيارة الشركة وعند عودتى وجدت فى مكتب الشركة بطاقة استدعاء من الكوميسار المركزى « او كوميسار فندق الفول» كما يسمونه فى تونس ومن غد ذلك اليوم ذهبت الى (الكوميسار) المذكور وبقيت فى الانتظار حوالى ساعة ثم أدخلت الى الكوميسار نفسه ، وبعد حصة من السكوت المطبق أخذ فى التحقيق معى الى منتصف النهار ، ثم عدت بعد الظهر حتى نهاية ساعة العمل ، ولقد استمرت الحالة على ذلك لمدة ثلاثة أيام متوالية حتى لقد كدت أن أفقد عملى الذى أتعيش منه ، ولكنى فهمت من اليوم الاول ان الامر شكلى ، لان استقبالى كان طيبا والتحقيق معى كان فى لطافة واحترام •

وفى شهر ديسمبر الموالى تخليت عن هذا العمل كسائق سيارة فى هذه الدار نظرا الى أن هذا العمل يبدأ وينتهى مع ظهور الشمس واختفائها ولا توجد فى ذلك الوقت حماية قانونية نافذة المفعول فى تونس ، وفى نفس هذا العام التحقت بورشة

لبيع وتصليح السيارات • وقد علمت بهذه الورشة لمدة عام ونصف العام • ثم انتقلت منها الى شركة الترامواى « خلاص » ولقد كان الاجر اليومى فى هذه الشركة بالنسبة « للخلاصين » (١٢) فرنكا وهو أجر كبير فى ذلك الوقت بقيت فيها لمدة عام ثم تخليت عنها وباشرت عملا حرا فى تونس العاصمة ، ثم فتحت متجرا فى منزلى «بالكرم» وفى شهر يناير سنة ١٩٣١م حينما كان الاستاذ محمد عباس يواصل دراسته بجامع الزيتونة وكان يسكن فى بيت تقع «بنهج النساء» منطقة باب المنارة : تونس ففى هذا التاريخ وردت الينا رسالة عن طريق البريد من طرف (اللجنة التنفيذية) فى سوريا على عنوان بيته وفى طيها رسالة موجهة للاستاذ (محى الدين القليبى) الزعيم التونسى •

والمرحوم محى الدين هو خليفة الزعيم التونسى الراحل المرحوم « عبد العزيز الثعالبى وهو اى محى الدين من أقطاب الحركة الوطنية فى تونس ومن أخلص العاملين فيها وله فكرة أوسع من ان تشده الى تونس •• بل هو مسلم عربى تستووى فى نظره أقطار العروبة والاسلام وله شخصية بارزة محبوبة وأخلاق اسلامية عالية ونزاهة قل نظيرها وهو من الكتاب المعروفين فى العالم العربى ومن المشاركين فى خدمة القضية العربية العامة •

أما بالنسبة للحركة الوطنية التونسية فيرجع له الكثير من الفضل فى ايقاظ الشعب التونسى واعداده للعمل وتهيئة أفكاره للمقاومة والتضحية بعد الزعيم الثعالبى والذين زاملوه من رجال تونس وشكلوا الحزب الحر الدستورى التونسى • وبه دخلت الحركة الوطنية ميدان الكفاح •• الامر الذى سهل الحركة للذين قادوا الحركة فيما بعد للوصول الى النتيجة التى هى الاستقلال دون عناء كبير أو زمن طويل بالنسبة للماضى ولضخامة القضية وأهميتها وعناد الاستعمار • اذ وجدوا شعبا يفهم مايقال له وينفذ مايؤمر به ويدرك لماذا يعمل وكيف ينفذ •• أقول هذا على معرفة لاننى عشت هذه القضية ثلاثين عاما وشاركت فى بعض حوادثها •

فلما وردت لنا رسالة تتعلق بحركتنا وفى طيها رسالة للاستاذ محى الدين القليبى ، وبدون وجود رقابة رسمية على مراقبة المراسلات ولا حتى ظروف مبررة فقد فتحت السلطات الفرنسية رسالتنا ووجدت بها الرسالة الموجهة الى الاستاذ القليبى ، وهو من هو بالنسبة لفرنسا خاصة والاستعمار عامة •

وعلى غير علم منا جاء رجال الامن الفرنسيين يصحبهم « كوميسار » الى منزل الاستاذ عباس الآنف الذكر ومن باب الصدف لم يجدوا أحدا منا الا شابا تونسيا صغيرا يدرس فى جامع الزيتونة تحت رعاية الاخ محمد عباس وهو ابن أحد أصدقائه فهددوه وضربوه ضربا موجعا طالبين منه أن يخبرهم بأسماء الذين يترددون على البيت وتحديد أوقات ترددهم وخصوصا من التونسيين ، ثم أوصوه أن يبلغنا بالحضور جميعا بنفس المحل فى يوم ووقت حددوهما له ، ولقد كان ذلك وتواجدنا فى اليوم والوقت المحددين الا انه لم يأت أحد من طرف الامن العام •

وهكذا فقد سارت اللجنـة في عملها موفقة رغم امكانياتها الضـئيلة وسيرها المرتبط بالمجهود الفردي فلقد كانت تقوم على امكانيات افراد لم يتجاوزوا عدد أصابع اليد الواحدة الى غاية آخر سنة ١٩٣٩م وذلك لان الاكثرية من اخواننا في ذلك الوقت كانوا في حالة هي أقرب الى اليأس منها الى الامل في النتيجة المرجـوة من حركتنا ، وذلك بسبب سيطرة ايطاليا على البلاد وضعفنا نحن في الخارج كما يصور لهم تفكيرهم الذي استولى عليه الشح والتقاعس وربما حتى اليأس ذلك اننا دعونا الى اجتماع يقع في بيت الاخ الشيخ رمضان حسن طالب « بالمدرسة القاسمية » بتونس للتشاور في الاتفاق على قيمة اشتراك يتعهد بدفعه كل من يريد مساعدة الحركة من الاخوان ولقد تم الاجتماع ليلا وفي المحل المذكور ، وقـد حضره عدد من الاخوان اتذكر منهم — : الشيخ رمضان حسن طالب — والشيخ المبروك عمر ابوريشة الفرياني والاستاذ محمود الرخصي وكاتب هذه الذكريات وبعد المداولة في الموضوع تكلم كل منا بما يراه وجاء دور الاستاذ الرخصي وهو من المتعلمين والمثقفين ومن المتدينين جاء دوره في الـكلام ، فقال هكذا باللهجة وبالحرف : (أنا مانعطيش افلوسي ياكلوهم الرجال ويضحكوا على) ولقد كانت هذه الجملة عبارة عن قنبلة انفجرت وسط ذلك الاجتماع فشتت المجتمعون وفشل المشروع المجتمع من أجله وعلى هذا المنوال قس مالم يقل

وعلى كل فلقد كان لاعمال هذه اللجنة تاثير سيىء على سـمعة ايطاليا وصـدمة مخيبة لآمالها وكبحا قويا لدعايتها في الشمال الافريقي عامة بسبب مفعول تلك المناشير التي توزعها والمقالات والاخبار التي تنشرها في هذه المنطقة التي كانت مطامع ايطاليا الاستعمارية فيها واضحة جلية خصوصا في البلاد التونسية بالذات وبتاثير من نشاط لجنتنا فقد أصبحت نشرات ايطاليا ودعاياتها ومسـاعيها فاشـلة وغير ذات تاثير ، وبصورة خاصة في البلاد التونسية ذلك لان الشعب التونسي شعب قوي الاحسـاس بالاخوة العربية عميق الشعور بالعاطفة الاسلامية .

وبهذه المناسبة أرى ان الواجب يحتم على أن لاأمر مرور انسحاب عـلى ذكر بلد عشت به أربعا وثلاثين عاما دون ان اسجل هنا انطباعاتي وشعوري نحوه ولذلك فانني أقول للحقيقة والتاريخ وأسجل شكري واعترافي للشعب للتونسي العربي المسـلم : بأننا قد وجدنا فيه موطنا كريما ووجدنا في علمائه وصحافته وشخـصياته ورجال الحركة الوطنية فيه «قبل انقسامها على نفسها» وجدنا من الجميع كل مساعدة معنوية وعطف أخوي وتقدير أدبي في حركتنا الوطنية ، وأنا اليوم أسجل شهادتي وأنا خارج تلك البلاد بأن الشعب التونسي كشعب ينطوي على روح عربية ويتحلى بعاطفة اسلامية وشعور أخوي الامر الذي يجعله في طليعة شعوبنا العربية الناهضة ، والتي يحق للامة العربية ان تعتز بها . والتي بحكم معرفتي لتونس كبلاد والتونسيين كشعب عشرات السنين أكن لهما كل خير ومحبة وذكرى طيبة لاتمحوها الهفوات ولاتغطيها المنعطفات ولا مرور الايام ولا كر الاعوام وانني أدعو الله مخلصا للشـعب التونسي بالمسـتقبل الاجمل والعزة والحياة الرغدة الافضل .

مساعي ايطاليا لضرب حركتنا

قلنا ان حركتنا في الشرق وفي الغرب قد اثرت تاثيرا قويا على سمعة ايطاليا وافسدت دعايتها ولقد ظهر هذا التاثيرواضحا في تصرفاتها الحمقاء ومساعيهاالفاشلة لشل حركتنا بطرق غير شريفة ، فلقد عملت ايطاليا الى استدراج ذوى الحاجة وضعيفي الايمان من اخواننا المهاجرين في الشرق ولقـد أضاع فريق منهم الى سماسرة ايطاليا في سوريا وكتبوا مذكرة أمهروها بتواقيعهم واختامهم التقليدية يقولون فيها مامعناه « انهم من صميم الجالية الليبية ولكنهم لايؤيدون هذه اللجنة التى تدعى النيابة عنهم ولا يعترفون بها اساسا ٠٠ الخ»

ولقد نشرت هذه المذكرة في الصحافة السورية «بالزنكوغراف» من طرف السفارة الايطالية بدمشق الامر الذي اضطر اللجنة الى عقد اجتمـاع بحثت فيه هـذه البادرة السيئة وعواقبها فقررت ابدال اسم: «اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية» باسم : (جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة) وذلك في سنه ١٩٣٣م فيما اتذكر ٠ وفي نفس الوقت تنبوا الينا بتفاصيل الموضوع ٠ وخوفا من مثل تلك الاعمال في محيطنا ومحافظة منا على دوام الارتباط والتكتل وانسجام العمل مع اخواننا لفائدة سير القضية فقد بدئنا نحن بدورنا مثل مافعلوا وهكذا وبهذا فقد سـقط بيد ايطاليا وخاب الذين عاضدوها ٠

وبهذه المناسبة استطرد القول فاقول : ولعلى من أولئك الضائعين مع عدو البلاد منهم من لايزال على قيد الحياة وان معظمهم قد يكون اليوم من الذين يقفون في الصف الاول ويحتلون اماكن الصدارة في المناسبات وينعمو بثمرة الاستقلال ويدعون انهم من صانعيه بدون خوف من الله ولا حياء من عباد الله ٠

وشأن أولئك شأن هؤلاء الذين قادوا الجيوش المغيرة والمرتزقة لاحتلال وطنهم وتسليمه لقمة سائغة للاستعمار الايطالي بعـدما حارت ايطانيا في التغلب عليـه بكل مالديها من قوة وعدد ، ولولا أولئك الضالعون لم تستطيع احتلال ليبيا بواسطة ابنائها ٠ حتى لو امدت الحرب الى ان تدخل عليها الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م علما بانه كان بين نهاية الحرب في ليبيا واندلاع الحرب العالمية الثانية ثماني سـنوات ٠ هذا بصرف النظر عن الاضطرابات التى تخللت هذه السنوات من آونة لاخرى والاعتداءات على أعوان حكومة ايطاليا في مختلف انحاء البلاد الليبية ٠

وكذلك الذين تجسسوا لفائدة عدو بلادهم بجد واجتهاد والذين كانوا يصيحون وسط الجماهير بكل صفاقة وقلة حيا قائلين : (الزعيم في قلوبنا) وهم يعنون بذلك (موسوليني) طالبين بذلك رضاه وهو لاينظر اليهم الا كما ينظر للحيوانات العاملة في

مزارع أبناء جلدته • أو أقل • وأولئك الذين بلغ بهم التذلل والاستخذاء حتى أخذوا يطوفون على المواطنين ليجبروهم على استقبال (الدكتاتور الفاشيستى) مهددينهم بقولهم « ان لم تفعلوا لأحرقن عليكم دكاكينكم » وأولئك الذين شكلوا وفدا بأوامر المستعمرين لتسفيه وفد المجاهدين والايقاع به طلبا لرضاء الاعداء فلو كان أولئك وهؤلاء جميعهم الذين فقدوا الشعور بالواجب الوطنى وتهاونوا بالضمير وداسوا على الكرامة • لو كانوا من الاميين ومن سواد الشعب لالتمسنا لهم عذرا من مستواهم فى المجتمع وجهلهم بالنتائج المقبلة لاعمالهم المخزية ومواقفهم المنحرفة • أما وهم من رجال العلم ومن طبقات الشعب الراقية ومن وجهائه فالامر جد عظيم •

ولكن هكذا فقد سولت لهم انفسهم الامارة بالسوء أن يتبعوا خطوات الشيطان ويستبدلوا حياة العزة والكرامة بحياة الذل والاستخذاء لكى يصبحوا عبيدا أذلاء عسى أن يحظوا بنظرة من «موسولينى» خاطفة أو ابتسامة من بالبو واضرابه عابرة حتى انهم بموافقتهم تلك قد أفلسوا الشعب العربى فى ليبيا من النتيجة الطبيعية لحرب تحريرية تواصلت احدى وعشرين سنة من الكفاح المسلح و٥٨ سنة من الحربين الساخنة والسياسية أريقت فى خلالها دماء طاهرة زاكية وتبددت ثروات ضخمة على اختلاف أنواعها وشردت عائلات كريمة عزيزة ومواطنون مخلصون واهين شعبا كاملا بصورة لن تنسى •

ومع كل ماحصل من النتائج المشئومة بسبب مواقفهم تلك فانهم لم يتعظوا بذلك الماضى الاسود الذى اقترفوه والخطأ الفظيع الذى ارتكبوه • بل ظلوا سادرين فى ظلالهم يعمهون اذ قد عادوا سيرتهم تلك حتى فى أيام الادارة البريطانية وهم يعلمون بأنها لا حق لها فى البلاد • ولكنهم عملوا على تمكينها مع الامريكان والفرنسيين مكنوهم من تكبيل الشعب بمعاهدات هى الاستعمار بعينه • بل هى أدهى وأمر وأنكى وأشر لانه استعمار مشروعا بمقتضى تلك المعاهدات التى جعلت استقلال البلاد اسما بدون مسمى ، ولولا لطف الله بهذا الشعب المجاهد الابى لقاست البلاد من تلك المعاهدات من الاتعاب والاهوال مالا يقاس عليه كل مامضى •

تحدثنا عن تلك المذكرة الصادرة عن بعض الاخوان فى الشرق وقد جرنا الحديث الى الاستطراد «والحديث شجون» جرنا الى الاسترسال فى ذكر أشياء تضمنت أكثرها صفحات التاريخ فيما قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها وطويت فى أكفان التاريخ وما كنا نريد لها نشرا فى مذكراتنا هذه لو انها كانت موعظة لاصحابها ولكن •••

نبأ استشـــهاد عمر المختار



البطـل الشهيد عمر المختــار

ذكرت آنفا تلك الحوادث الاليمة التى ساقنى لها الاستطراد . والآن أعـود الى الكلام عن سير حركتنا وتطوراتها فى المهجر فاقول : لمـا كنت أعمل كسائق سـيارة كان فى نفـس العمـل بعـض الايطاليين وكان من بينهـم شـخص اسـمه « كسباريتو » فأتخذته صديقا من بين الاخرين ذلك لاننى توسمت فيه الهـدوء

وعدم الثرثرة وقد كنت أتودد اليه لانه كان يملك آلة استقبال ((راديو)) وكانت هذه الادلة نادرة الوجود اذ ذاك عند أمثالنا وقد استمرت صداقتنا حتى بعد أن تخليت عن العمل ، كنت أتصل به وأزوره فى محله كثيرا وأكثر ذلك من أجل (الراديو) وطيبة الرجل أيضا ، فقد كان يخبرنى بكل مايسمعه فى الاذاعة من أخبار وما يسمعه من معارفة من الجالية الايطالية وأنافى حاجة الى هذا . وهذا الرجل لا يعرف عنى شيئا الا كعامل .

ففى يوم ١٧ فيما أتذكر من شهر سبتمر ١٩٣١ م التقيت بصديقى الايطالى هذا وأخبرنى أن هناك شخصا قاطع طريق يدعى مختار قبض عليه فأسررتها فى نفسى ولم أشعره بشىء وفى المساء ذهبت الى الاخوان بمنزل الاخ محمد عباس « بنهج النساء » حيث كنا نلتقى ليلا لنتبادل مايجد لدينا من المشروعات الفكرية والأخبار العالمية وأخبار وطننا ، وأخبرت الاخوان بما سمعته من الحدث المزعج فكانت صدمة شديدة هزت مشاعرهم هزا عنيفا .

ومن غد ذلك اليوم نشرت الصحف ذلك الخبر الذى كان له وقع أليم على نفوسنا وفى يوم ٢٠ من نفس الشهر اجتمعت الجمعية وقد قرر المجتمعون طبع مئات من صور البطل الشهيد وقد وزعت على جميع الصحف والأحزاب والشخصيات فى المغرب العربى وفى كثير من أوروبا ، وقد كانت كل صورة مصحوبة برسالة تشرح بطولة ومواقف وعدالة هذا الشهيد الذى سقط ضحية فى سبيل الكرامة والحرية وصيانة الوطن ، ولقد كان لهذا الحدث وقعه فى النفوس فلقد أحدث جوا قاتما امام السياسة الايطالية فى اقطار المغرب العربى .

وفى أحد شهور سنة ١٩٣٢ م نعت الينا أخبار الاراضى المقدسة وفاة المسلم الصادق والقائد المخلص المغفور له « السيد أحمد الشريف السنوسى » — ولقد قامت الجمعية بما يفرضه الواجب فى هذا الشأن نحو عظيم من عظماء المسلمين وقائد من قادة العروبة المخلصين ، فاقامت على روحه الطاهرة صلاة الغائب . ولقد حضرت فى هذه المناسبة مجموعة من الاخوان التونسيين وفريق كبير من المهاجرين . وألقيت كلمات التنديد بتصرفات الاستعمار الايطالى فى ليبيا فكانت لها اثار واضحة الامر الذى اقلق السفارة الايطالية بتونس .

وعندما أغارت ايطاليا على الحبشة سنة ١٩٣٦ م انتشرت أنباء روجتها وكالات الاخبار ونشرتها معظم صحف العالم وتحدثت هذه الاخبار بأن الثورة قد بدأت من الجغبوب ، وقد كان من تاثير هذه الاخبار أن وصلتنا رسائل عديدة من مختلف الاخوان المهاجرين يستوضحون عن صحة هذه الاخبار . ولا زلت أذكر عبارات من رسالة جاءت من الشاب المتحمس الشيخ ((سالم النعمى)) وهو اذ ذاك

طالب بجامع الزيتونة تقول : (.. ما هو المبرر لبقائنـــا فى تونس وقد بـــدأت الثورة فى بلادنا ان الاخبـار عنها قد تواترت وتكـررت أليـس من الواجب علينـــا أن نلتحق بها قبل فوات الوقت .) ..

وقد أجبت الشيخ سالم على رسالتـه بعد أن شكرته على الروح الوطنيـة والشعور بالواجب الوطنى بما يلى : .. أما مسالة الثورة ففى اعتقادى ان الاخبار الرائجة عنها ليست الاحرب اعصاب القصد منهاالتأثيرعلى ايطاليا يطلقها المعارضون لها فى غاراتها على الحبشة ولذلك يجب أن نتريث حتى تتضـح الامـور .. وعـلى فرض صحة وقوعها فان الواجب أن نبدا ثورتنا من هنا أى من الحدود الغربية الليبية أولا وسوف نجد من اخواننا التونسيين كل المساعدات .. ثانيا ان تعدد اماكـــن الثورة يرهب العدو اكثر من وجودها فى مكان واحد .

وعلى الرغم من اعتقادى الموضح فسوف نكتب لاخواننا فى الشرق وننتظـــر أخبارهم وموقفهـم منها لأنهم أقرب الى الحبشـــة والى مكان الثـــورة . ولقـد كتبنا للمرحومين بشير السعداوى ـ واحمد الشنتيوى . وبعد أيام تلقينا الجواب منهما، ولقد جاء فى جواب السعداوى من دمشق مايلى :

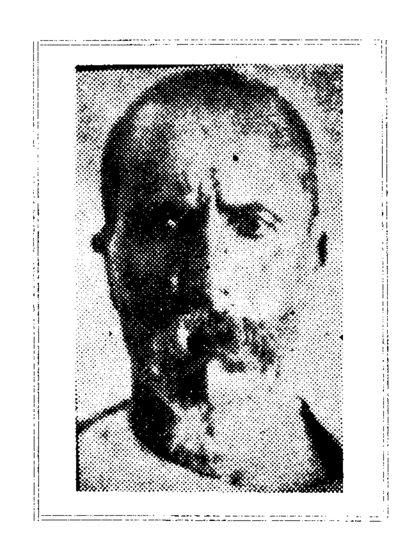
.. نحن من أيام ماضية على اتصال بامبراطور الحبشة بطرق رسمية فىالموضوع ومنتظرين جوابه ، وسوف نعلمكم بما يتم فى الامر باذن الله .

أما جواب احمد الشنتيوى من مصر يقول فيه :

.. لا وجود للثورة التى تسئلون عنها والجغبوب فى ربع الدنيـــا الخالى « على حد تعبيره بالضبط » كيف تكون فيها الثورة ..

وفى سنة ١٩٣٧ م ازداد نشاط جمعيتناوكثرت معلوماتها عن تحركاتايطاليا واستعداداتها العسكرية وتصرفاتها فى ليبيـا وقد أصبحت الاخبار تصـلنا بدقة وسرعة لكثرة الاخوان الليبيين الذين اخذوا يتواجدون فى تونس بكثرة لاسباب مختلفة ومن أكبرها حرب الحبشة فى العام السابق وما بعده وقد كنا تعرفنا بالاخ الحاج محمد الكريشى فى سنة ١٩٣٦ م وهو من سكان العاصمة طرابلس ومـن الطبقة المتنورة المدركة ذات الروح الوطنية المتململة ولقد أفادنا هذا الرجل بأخبار دقيقة وأكيدة ، وكما أن الحاج عبد السلام أبو سهمين من زواره هو الاخر أفـادنا وهذا ابتدا من اول الاحتلال الانجليزى ولم يكن من قبلها ، اما من الجبل : مـن الرحيبات فقد كان الشيخ خليفة عداله رحمه الله يوصلنا برسائله منذ سنة ١٩٣٢م وقد كان يرسلها مع قوافل التجار الى بنقردان وهناك توضع فى البريد ، وقد كان الشيخ خليفة عدالة هذا محل شبهة من طرف الحكومة الايطالية تتجه اليه الشكوك لانه كان من اعيان المجاهدين الذين لم يرضخوا لايطاليا وانتقل من بلد لاخر وجاب الصحارى واخر المطاف عند انتهاء المقاومة صمم على الهجرة مع فريق من اخوانه

الرحيبات واتجه من فزان الى الجزائر الا ان الفرنسيين أوقفوهم وسلموهم للقوات الايطالية التي أعادتهم الى البلاد وأبقت عليهم ومن ثمة كان محل شبهة دائمة ، وعند ابتداء حرب الحبشة فيما أتذكر جاء الى تونس قصدا وقد مكث معي مدة قصيرة ثم عـاد الى الوطن وذلك بطريقة سرية اي بدون جواز سفر وقد أبلغ عنه وهذا ما (زاد الطين بله) ولذلك فحالما عزمت ايطاليا على اعلان الحرب على الحلفاء الفت عليه القبض وأودعته السجن وبقي به حتى انهزامها فاطلق سراحه الانجليز ولم يلبث الا مدة قصيرة حتى تداعت صحته ومرض مرضا شديدا من تأثير السجن فانتقل الى رحمة الله تعالى رحمه الله .



الشيخ خليفة عداله بن محمد (الفتح) النايب
صورة مستخرجة من السجن

ونظرا الى كثرة الاخبار وصحتها وتوالي نشرها فقد اهتزت السفارة الايطالية بتونس . ولقد زاد من تأثير الاخبار موقف الصحافة التونسية التي كانت تتلقف ما نرسله اليها وتنشره بعناوين مثيرة وتعليقات لاذعة وبطريقة فيها اثارة لشعور التونسيين . وفي هـذا الظرف بالذات وصلتني رسالة من الرحيبات جاء فيهـا ان الحكومة الايطالية تجري تحريات دقيقة عنك وقد سألت في القبيلة قائلة ماذا فعلت ايطاليا مع هذا الشخص ؟ وما هي أسباب عداوته لايطاليا ؟ . وبلغني أن الاخوان الذين سألتهم قد أنكروا معرفتي وقالوا انه ذهب صغيرا ولم نعرف عنـه شيئا ، وهم معذورون في ذلك .

وفى سنة ١٩٣٨ أخذت الحالة الدولية تزداد تأزما واصبح خطر الحرب يتحقق يوما فيوما ويتضح للمطلعين والمتتبعين لأفق السياسة الدولية وأصبح صوت « موسولينى » يلعلع وسط مدينة تونس فينبعث من وراء كل باب من أبواب مساكن الجالية الايطالية وكثرت اجتماعات الدول وتعددت الزيارات بين أقطابها . ففى هذا الجو المتلبد المنذر بأنفجار الموقف توالت خطابات (موسولينى) بلهجة تزعزع آلات الاستقبال (الراديو) معلنا مطامع ايطاليا فى تونس والبحر المتوسط

والأدرياتيكى وو .. وخوفا من أن يكون لذلك الجو المحموم بالخطب النارية والتهديدات الحربية تأثير على اخواننا فقد طبعنا منشورا بعنوان « نداء الى الجاليات الطرابلسية البرقوية بتونس وأقطار المغرب العربى » وقد كان منشورنا قويا تهديديا على نسق تلك الخطب وقد وزع المنشور فى جميع الجهات غربا وشرقا بينما الدول أخذت فى التكتل والاستعداد للمجابهة المنتظرة .



مساعى فرنسا سريا لمعرفة دخليتنـــا

ففى هذه الظروف الدقيقة الخطرة والحالة الجاهمة الغامضـــة أخذ مـــكتب الشئون الاهلية (BUREAU DES AFFAIR INDIGEANS) فى تونس يرسل الى باعونة وبطريقة سرية وفى أشكال تنكرية وهؤلاء الرسل كانوا كلهم من العرب ، ولقد اتضح لى فيما بعد أن السلطات العسكرية الفرنسية قد عمدت الى طريقة الرســل التنكرية تهدف من وراء ذلك الى الاطـلاع بطريقــة سرية عـلى دخيلة أفـكارنا حتى تتأكد من حقيقة موقفنا ونوايانا أو فيما اذا كانت لنا اتصـالات بغير فرنسا ، ولقـد كانت تلك الرسل فى صور مختلفة وألوان متباينة من أسود وأبيض ، وحضر وبدو ، ولما كانت الرسل كلها تسعى لموضوع واحد فاننى أكتفى بـذكر ما دار بينى وبين أحدها لان أحاديثهم كانت متحدة المعنى مع اختلاف فى التعبير .

ففى يوم ٦ من فبراير سنة ١٩٣٨ م بينما كنت فى منزلى بالكرم اذا برجل فى آخر الكهولة على ما يبدوا ويتضح من لهجته وزيه أنه من سكان الجنـــوب التونسى جاء به رجل من سكان الكرم فحيانى ورددت التحية بأحسن منها ثم انصرف الذى جاء به وشأنه فدعوته الى الجلوس ، وبعد تناول الغداء وفى فترة تنــاول الشاى سألته اذا كانت له حاجة ؟ فقال أنه رجل طرابلسى ، فبادرته من أى قبيلة ؟ قال : من وازن . ووازن هذه بلدة صغيرة تقع فى الحدود الفاصلة بين ليبيا وتونس الى الغرب من نالوت .

ولقـد تبادر الى فى نفس الوقت انه تونسى وقـــد انتسب الى تلـك البلـدة لانها لا تختلف فى الزى ولا فى اللهجة مع جارتها (ذهبية) التونسية وعلى كل فقد أسررت ذلك فى نفسى ورحبت به وبدأ الحديث .

قال الرجل : انه مرسل من طرف مجموعة من اخوانه الطرابلسيين الذين هم معـه بدافع من هذه الظروف التى تنذر بالحرب للاتصـال بالسيد أحمد زارم لكى يرشدهم الى الموقف الذى ينبغى لهم أن يقفوه فى أى جانب حتى يكونوا مع اخوانهم .
فقلت له : ان موقفنا واضح لا يستحق الشرح .
فقال : وكيف ذلك ؟
فقلت : أننا ضد أعدائنا الذين يحتلوا بلادنا وأخرجونا منها مهمـا كانت الظروف والنتائج .

فقال : نعم هذا كلام صحيح ولكن أين السلاح ؟
قلت : السلاح لم يحن وقته بعد فقال : الامر كما تفضلت ولـكن لابد لنا من دولة نعتمد عليها فهل اتفقتم مع اى جهة حتى نطمئن وتمدنا بما يلزم عند الحاجة ؟
فقلت : عندما يحين الوقت سوف تأتى الدولة نفسها لتسلم لنا ما يلزم وعليـه

فالننتظر الوقت حتى يحين ، وعندها سنطلبكم جميعا للحضور وتعرفون حينئذ كل شيء . ولقد حاولت تلك الرسل جميعها بطرق مختلفة وعبارات متباينة وأحاديث ملتوية حاولوا أن يعرفوا ما كلفوا باكتشافه ولكن جوابى كان واحدا للجميع . وبعد مواجهة هذه الرسل التى امتد تواردها مدة طويلة . ابتداء الاتصال المباشر بينى وبين ضباط مكتب الشئون الاهلية ومقر هذا المكتب كان اذ ذاك « بنهج الجزيرة بتونس » .

ولقد تكررت هذه الاجتماعات بينى وبين ضباط كثيرين وكلهم من الفرنسيين أتذكر منهم : لو فيفر – ولفدان – وميكار – وأجى – وبورى – وكل ما قابلت واحدا من الضباط أكتب للاستاذ عباس بما دار بيننا واذا حدث ما يوجب حضوره أطلبه فيحضر بسرعة وهذا الضابط الاخير (بورى) ردىء الاخلاق ضيق الصدر متعجرف واضح التعصب فقد حصلت مناسبة اجتمع فيها بالاخوان : محمد عباس – المبروك الغريانى – ورمضان حسن طالب – ومعهم آخرون نسيت من هم وبسبب تصرفاته الفاسدة حصلت مشادة كادت أن تؤدى بنا فى مأزق حرج فى تلك الظروف لولا ألطاف الله تعالى .

ويوجد ضباط آخرون اجتمعت بهم ولكننى نسيت أسماءهم ومنهم من لم أتحصل على اسمه وجلهم اذا قابل مرة لا يعود مرة أخرى ، ولقد كانت الاجتماعات تقع خارج المكاتب لمدة طويلة فتقع تارة فى « بلفيدير » وأخرى « بقمرت » ومرة « بحمام الأنف » وفى أماكن أخرى كثيرة ، ولقد كنا فى خلالها على غاية من الحذر خوفا من عيون ايطاليا كما أنهم أى الفرنسيون يخشون جدا من عناصر الحركة الوطنية التونسية .

أتذكر أننا فى أحدى اللقاءات فى شهر مايو من سنة ١٩٣٨ م أرسل لى مكتب الشئون الاهلية للاجتماع والتفاهم فى بعض الامور وقد حدد لى المكان والزمان ، وكان المكان حديقة « بلفيدير » والزمان الساعة الرابعة بعد الظهر وحديقة « بلبيدير » هذه منتزه عمومى يقع فى أرض مرتفعة الى الشمال أو الشمال الشرقى من تونس العاصمة ومتصل بمبانى الاحياء الحديثة وهى منطقة واسعة جدا تكسوها غابات الاشجار الباسقة مختلفة الالوان متشابكة الاغصان تتخللها طرق ملتوية بها مقاعد متناثرة منتشرة على حافة الطرقات تتدلى عليها أغصان الاشجار فتبسط عليها ضلا وارفا يقى الجالس حرارة الشمس ، ويكثر فى هذه الحديقة المتنزهون من مختلف الاجناس .

حضرت فى الوقت والمكان المحددين وهناك التقيت بضابطين اثنين لم أعرفهما من قبل وهما برتبة « كابتن » ولم أتمكن من معرفة اسميهما عندما قدم كل منهما نفسه لى ذلك لانهما تكلما بلهجة فرنسية عميقة دغمت حروفها فى بعضها ، وبعد التحية وجولة قصيرة وسط تلك الاشجار الباسقة انتحينا ناحية فى زاوية يقل فيها المرور نوعا ما ، وجلسنا على مقعد طويل ثلاثتنا تحت شجرة كبيرة ذات أفنان متدلية .

وبينما نحن نتبادل الكلام فيما اجتمعنا من أجله ، اذ مر أمامنا شاب عربى طويل القامة معتدل الجسم جميل المنظر أنيق الملبس فى حوالى الثلاثين سنة من عمره او أكثر قليلا وقد نظر الينا نظرة يبدو عليها شيء من الاهتمام ومحاولة التعرف من دون أن يتوقف فى سيره ، وبعد أن تجاوزنا قليلا سألنى أحد الضابطين قائلا هل تعرفه ؟ قلت أجل معرفة سطحية وليس بالاسم وهو من سكان (المرسى) فامتعض الضابطان وامتقع لونهما ونظر احداهما للاخر وقال له بالفرنسية

كفى لقد اكتشف أمرنا Çay EST ON NOUS SOM MES MARQÉ

والجدير بالذكر أن ايطاليا لم تكن بغافلة عن مثل هذه الحركات وغيرها والحالة الدولية بالغة حدا من التوتر والخطورة وأن نواياها أخذت فى الاتضاح شيئا فشيئا للاندفاع نحو المحور وجالينها فى تونس بكثرة لا يخلو منها مكان لا فى البوادى ولا فى الحواضر ، كما أن لها فى البلاد من العملاء عددا غير قليل من الايطاليين وغير الايطاليين يعملون لحسابها فى كل الميادين وهى تبذل فى هذا السبيل الاموال بسخاء .

وعلى ذكر العملاء أقول أن جميع المهاجرين بهذه الجهات لا يوجد بينهم هذا النوع من ذوى الضمائر الخربة والوجدان السقيم سوى ثلاثة أشخاص فيما نعلم أحدهما من (ازدو : زلتين) والثانى من ككله والثالث من (غدامس) فالاول كان متصلا بنا دائما ويظهر نفسه أنه من خيرة أفراد الجمعية وهو يلتقط كل ما يدور فى الجمعية وينقله الى السفارة الايطالية ، ولقد بلغنا ذلك من مصدر مؤكد لا ريب فيه فتحفظنا من جانبه ولم نشأ أن نزعجه أو ينتشر الخبر .

وفى يوم من الايام وصلتنى رسالة وفى طيهاحوالة بريدية بمبلغ عشرين فرنكا من هذا الشخص ذاته كمساعدة للجمعية ولما كان الامر يتعلق بشخص موقفه كما أسلفنا وكل الاخوان على علم بأمره طلبت اجتماع هيئة الادارة ثم عرضت عليها الموضوع لترى رأيها فى الامر فأجمع الأخوان على أعادة المبلغ لصاحبه ، ولما اقترح بعض الاخوان قبولها تفاديا للاشاعات ، أذكر أن الأخ الشيخ محمد فياض قد أصر بشدة وهدد بالاستقالة اذا قبلت ، وبناء على اجماع الاخوان فقد أعدت الحوالة البريدية التى تحمل المبلغ الى صاحبها كما تلقيتها مرفقة برسالة شكر وعذر ، وبمجرد وصولها اليه أمطرنى بعدد من الرسائل الواحدة تلو الاخرى وكلها مشحونة بالسباب والشتائم والتحقير وكل ما أملته عليه حماقته الانفعالية ، ولكننى لم أجبه ولو بكلمة واحدة لا كتابيا ولا شفويا ، الامر الذى جعله يزداد غضبا ولما انهزم المحور من تونس سنة ١٩٤٣ م أحس الرجل بالخطر واضطربت نفسه ظانا أننا من الحماقة بمنزلته واننا سننتقم ، وبما أن موقفه نحوى كما أشرت آنفا فقد التجأ الى الاخ محمد عباس واعترف له بأتصاله بالسفارة الايطالية وتجسسه على الجمعية فعلا وطلب منه أن يكون ببال منه فطمئنه الاخ عباس .

أما الثانى فهو رجل مهنته ((مصوراتى)) انتسب الى الجمعية مـــدة واختلط بأفرادها فعرفهم وعرفوه وبعد مدة كلفته جهة ايطالية ((ولم تتضح لنا هذه الجهة بالتحديد)) كلفته بنسف مقر الجمعية فى حالة اجتماع أعضائهـــا ، وفى يوم من الأيام وفى محاولة لتنفيذ الجريمـة فى حالة اجتماع موســع قد اكتشف أمره أحـد أفراد الجمعية والقى عليه القبض وهو متلبس بالمتفجرات وتســـلمته الســـلطات الفرنسية للتحقيق معه ولا أدرى ما فعل الله به بعد ذلك أما الثالث فقد كان يعمل فى مدرسة ايطالية بحلق الوادى كمباشر وكان يحب ايطاليـا ويعتز بالانتمـاء اليها ويدافع عنها جهرا وينقل للايطاليين ما يسمعه ولكنه رغم هذا أخف شرا من سابقيه وهكذا من هؤلاء الثلاثة وغيرهم مما لا نعرفه ووسائلها الاخرى علمت بحركاتنا فوقع عليها ذلك وقعا ســيئا مع ماكنا ننشره من المعلومات الصـــحيحة ، ومن أجـل ذلك فقـد جن جنونها وأخـذت سفارتها بتونس تفكر كيف تســدد ضربتها لهـذه الحركة التى وقفت فى وجه دعايتها وشلت مفعولها وأخيرا اهتدت الى طريقة سخيفـــة ورهيبة فى آن واحد ٠



مؤامـــرة ايطـــالية

على حين غفلة وبدون سابق اتصال جاءنى شاب ليبى مرسل من طرف السفارة الايطالية وهو شاب درس فى المدرسة الايطالية بنفس المنطقة وهذا الشاب مكلف من طرف شخص ايطالى يدعى (روسو) وروسو هذا برتبة قنصل بالســــفارة الايطالية بتونس ، جاءنى هذا الشاب ليقول لى أن السفارة الايطالية تطلب حضورك لديها لتنظر فيما أنتم تطالبون به وهى مستعدة لتسوية المشكل نظرا للحـالة الدولية الخطيرة التى لا تتحمل التشويش ولقد تلقيت هذا الخبر بسرور عظيم .

أولا أستنتجت منها قوة حركتنا وتأثيرها حتى أتت بالنتيجة .

ثانيا : ليس بالقليل ان نحصل على حقوق لم يحصـل عليها الذين سبقونا رغم جهودهم المضنية وتضحياتهم الضخمة .

لذا سررت بالخبر وقبلت الدعوة وحددت السفارة وقت الاجتماع ومـــكانه وقد كان مكان الاجتماع هو السفارة الايطالية ، وما كان يدور بخلدى أنهـــا مخاتلة لمؤامرة دنيئة ، وقبل الوقت المحــــدد ركبت الترام من الـكرم ولما وقفت داخله جلت بنظرى فى جوانبه واذا برجل من عظمـاء التونسيين ومن سـكان (المـرسى) فيمـا أظن يلوح الى بيده أن أقدم حذوى فجئتـه . وصـــل بنا القطار الى تونس ونزلنـا منه ليأخذ كل منا وجهته ولمـا أردت توديعه قال لى أنا أرسلت رجلا يفتش عنك فهذه أذن صدفة حسنة هيا معى ، فقلت له أنا على موعد أكيد لا يمـكننى التخلف عنه وعند الانتهاء سأقدم اليك ، فسألنى ما هو موعدك ؟ فترددت فى الجواب . ولكنه ألح على حتى أحرجنى وأضطررت أن أفشى له السر فنظر الى نظرة غير عادية وقال (أيجى معاى) وأترك الموعد الان ، وهنا أخذتنى دهشة كيف أترك الموعد فى مهمة رسمية ، وسألته بلهفة ماذا فى الامر ..؟ فقال لى تعالى معى وعندما نصـــل المكتب سوف أخبرك بما ليس لك به علم .

ذهبت معه وأنا فى حالة من القلق ترك موعد رسمى ، وكلام غامض من رجـــل سياسى يعــرف كل مايدور فى البـلاد ، أمران محيران ، وصـلنا الى مكتبه وبعـــد الجلوس قليلا قال لى : ان استدعاءك هذا مؤامرة مدبرة فى الخفاء للقبض عليك داخل السفارة وعندها لا يستطيع اخوانك ولا احنا انقاذك حتى مع علمنا بوجودك هناك ألا تدرى أن السفارة قطعة من أرض ايطاليا ، ومع ذلك فاننا كما تعرف نحن مغلوبون على أمرنا وأنتم مشردون فأى مقدرة لنا ، أو هل تظن أن الفرنسيين يهمهم أمرك حقا ، وهم يفتشون عن رضـاء ايطاليا بأى ثمـن ولقد اندهشت لهـــذا الخبر وأستغربته فى نفسى ، فقلت : بدون مؤاخذة بالله عليك ما أنبأك بهذا ؟ فقـــال : أنبأنى مصدر أكيد وعليم من داخل السفارة نفسها ، ولا تسألنى عن المصدر بالذات فلقد وصلنا أمس ما دار بشأنك قلت ولكن الشاب المرسل الى هو مواطنى ولى فيه ثقة ولا شك عندى فى اخلاصه . فقال : الشاب مكلف من خارج الســفارة ولا علم له بما دار داخلها ويمكن ان يكون الشاب على حسن نية .

وهكذا فقد أنقذنى من هذه الورطة المرحوم الاستاذ ((محمد محى الدين القليبى))

رحمه الله وجزاه عنى خير الجزاء ، ومن هنا أخذت أفكر فى العذر الذى ينبغى لى أن أتذرع به فيما اذا سئلت عن التخلف عن الموعد بعد أن وافقت عليه ، ومن الغد جاءنى الشاب وقال ان السفارة استغربت تخلفك عن الموعد بعد أن وافقت عليه . فقلت له : أنا متأسف جدا عن هذا التخلف الذى فرضته ظروف قاهرة وانني دائما على استعداد غير أنني أرجو أن يكون الاجتماع فى محل عمومى .

ذهب الشاب بهذا الكلام ولما أعاده لمرسله ، قال له : كنا نود أن نقول لاحمد زارم أن الحكومة الايطالية مستعدة لنقله الى طرابلس بأهله على حسابها وهناك يعطى وظيفة محترمة ونعتبره من أعيان البلاد .

جاء الشاب وأعاد لى الكلام ، فقلت له قل لمرسليك كنت أظن أن السفارة الايطالية تعتبرنى رجلا وطنيا يعنى مايقول . ولست من الذين يصطادون فى الماء العكر ، وانها تدرك أن مطالبنا وطنية عامة وليست مادية ولا هى شخصية خاصة وكنت أظن أنها تعلم أيضا أننا هيئة سياسية ذات نظام ومبادىء ، وأحمد زارم وحده لايعنى شيئا فى الموضوع ، فاذا هى تنزل بنا الى هذا المستوى السخيف وتوجه لنا مثل هذا الكلام ، ولذلك قل لهم أنا لست فى حاجة الى وظيفة ولا أنا مستعد للعودة ، وانما الامر الذى لا يقبل المساومة هو أن بلادى فى حاجة الى حقوق ، فاذا فهمت ايطاليا ذلك وعمدت الى تحقيقه وتنفيذه بجد واخلاص فسوف يعود جميع الذين فى الخارج ويتعاونون مع ايطاليا كدولة صديقة عادلة وستكون صاحبة الأولوية فى المصالح .

ولما بلغهم هذا الكلام يظهر انهم استشاطوا غيظا ، اذ قالوا للشاب : قل لأحمد زارم انه يتذكر جيدا اننا قد استطعنا ان نقضى على ايطاليا من معارضينا الى الابد داخل مكتبه وفى قلب العاصمة التونسية « يعنوا بهذا سكرتير جمعية الا أننى فانشيست الذى اغتاله وسبق أن ذكرنا حادثته انفا » أيظن أننا نعجز عن اسكات عربى مثله ، قل له حيث انه لم يرض بما عرضناه عليه من اكرام وتقدير وسوف يكون سائرا فى أحدى أزقة المدينة فتأتيه ضربة قاضية لا يعرف مصدرها .

وجاء الشاب يسعى وتبدو عليه علائم الاضطراب ، فقلت له هل من جديد؟ فقال نعم ولكن « نبح السلوقى أغلاض »

قلت : ليس هناك أكثر من الموت .

قال الشاب : هو ذاك ، قلت قل لهم المسلم يعتقد أنه لا موت الا بالاجل ، ولذا أفوض أمرى الى الله .

أبدال اتصالاتنا من العسكريين الى المدنيين

أوضحنا فى الصفحات الماضية طريقة بدء اتصالاتنا بالسلطات الفرنسية على طريق مكتب العسكريين من ضباط مكتب الشئون الاهلية ولقد دامت هذه الطريقة مدة غير قصيرة ، ثم أبدلت هذه السلطات طريقة الاتصال معها على طريق شخصين مدنيين أحدهما عربى تونسى ، والثانى أوروبى فرنسي ، فالعربى هو السيد (البشير الكيلانى) من بلدة ((القصر)) ((بقفصة)) وكان موظفا بالصندوق العقارى التونسى بتونس العاصمة ، ومستواه الثقافى شهادة التحصين فى العلوم من جامع الزيتونة أما الفرنسية فشهادة اتمام الدراسة الابتدائية .

ومن الحقيقة التى يجب ذكرها والتى يجب أن نعترف بها ونسجلها للتاريخ هو أن السيد البشير الكيلانى جزاه الله بالرضا والرضوان كان معنا على غاية من الاخلاص والنشاط فى جميع الاعمال التى تتعلق بالاتصالات مع السلطات الفرنسية كأنه ليبى من المخلصين الصادقين وهو رجل ذكى سريع الخاطر قوى الحجة رحمه الله .

أما الثانى فهو كما قلنا فرنسى صميم مستشرق اسمه ((برشي)) وهو فى حوالى الخامسة والخمسين من العمر تقريبا موظف كبير فى الكتابة العامة للحكومة التونسية ، علما بان الكتابة العامة فى تونس على عهد الحماية الفرنسية هى وزارة الداخلية بالضبط ((وبرشي)) رجل فطن قليل الكلام عميق التفكير هادىء الطبع فى غاية الاتزان لا يبدو عليه التعصب الاستعمارى ولا غطرسة كبار الموظفين الفرنسيين وهو على جانب كبير من الثقافتين العربية والفرنسية ولقد سمعته يوما يلقى محاضرة فى الاذاعة التونسية تعليقا على مقامات الحريرى باللغة العربية الامر الذى يدل على مستواه فى العربية ، ولقد استمر اتصالنا عن طريق هذين الرجلين مدة طويلة ، وقد كنا واياهم على تفاهم وانسجام .

وفى هذه الاثناء وصلتنى رسالة من الاخ الاستاذ محمد عباس يفيدنى فيها بأنه قد أرسل مذكرة مطولة الى ((المقيم العام)) الفرنسى بتونس أكد له فيها موقف الجمعية وطالب فيها منه بأن يشير الى الجهات المختصة بأن تسهل لنا القيام بجولة على أماكن المهاجرين . وقد كان لهذه المذكرة وقعها ومفعولها ولقد أرسل لى الاخ محمد عباس صورة من هذه المذكرة يقول أحفظها للتاريخ ولكن ...

وفى سبتمبر من سنة ١٩٣٩ م اقتحمت الجيوش الالمانية الهتلرية الاراضى البولونية ، وفى نفس الشهر أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على المانيا ، وبذلك فقد أخذت الحالة تزداد خطرا ، ويوم ثورتنا يزداد أقترابا ، ولو أن « موسولينى » لم يعلن الحرب بعد ولكن موقفه أصبح فى حكم المحارب للحلفاء ، ولكن برغم ذلك فان فرنسا لم تيأس من استمالة (موسولينى) الى جانب الحلفاء نظرا الى ما لايطاليا وفرنسا من الروابط المذهبية والعرقية والجوار وغير ذلك من المصالح الاخرى لذلك مافتئت تجامل ايطاليا وتخطب ودها وتعدها وموسولينى يزداد غطرسة وابتعادا ، وفى هذه الاثناء والحرب فى أوروبا اصبحت على أشدها ودكتاتور ايطاليا يوالى خطاباته النارية باستمرار وصوته يسمع كل ما اقتربت من

منزل ايطالى ففى هذه الظروف التى رأيناها مواتية لنا والتى هيئتها لنـــا تصرفات زعيم أيطاليا بخطاباته التى تلهب شعور الجالية الايطالية من جهة وتدك صرح الامال المتمكنة فى نفوس الفرنسيين من جهة أخرى وتدعيما للمذكرة التى أرسل بها الاخ محمد عباس المشار اليها انفا فقد قمت من جهتى بحملة صحفية ضد ايطـاليـا لعـقد أيام مركـزا على التشـهير بصـوت موسـولينى الذى أصبح يجلجل فى منازل الايطاليين دون هوادة تسمعه المارة فى شوارع المدينة وتنمر الجالية الايطالية بصورة واضـــــــحة .

ولقد عززت هذه الحملة والمذكرة بتصريح كتابى سلمته الى شركة « الشرق العربى للاخبار » التى كان مقرها اذ ذاك فى مبنى « الكوليزى » بتونس ، وقـــد نشرت الشركة هـذا الخبر فى صـــورة خبر ملتقط ، وقد كان هـذا بعلم ومشـاركة المرحوم « البشير الـكيلانى » ومن الغد نشرت الصحف هذا الخبر نقـلا عن الوكالة المـــذكورة .

النص الحرفى لمـا نشرته الوكالة »

« علمت شركة الشرق العـربى للاخبار من مصـــادر أكيـدة ان المهـــاجرين الطرابلسيين يوالون اجتماعاتهم واتصالاتهم استعدادالعقد مؤتمر فىالقريب العاجل لتحديد موقفهم ورسم خططهم على ضوء الظروف الراهنة . »

وعلى أثر نشر هذا الخبر تحركت الدوائر الفرنسية فى تونس واسـتدعت المرحوم البشير الكيلانى بصفته المنتدب من طرفها للاتصال بنا ، وسألته عن صحة الخبر فأكد لها ذلـك فطلبت منـه الاتصال العاجل بالجمعيـة ويطلب منهـا تأجيـل الاجتماع ، فقال انه لاحظ هـذا للاعضـاء حينما اطلع على الخبر ، ولـكنهم امتنعـوا قائلين أنهم لا يتركون الظروف تداهمهم على غير أستعداد والوقت غير قابل للتأخير ثم سألوه أين سيقع الاجتماع فقال لهم بمنزل ((أحمد زارم)) بالكرم — فطلب منـه أن يتصل « بأحمد زارم » بأقصى السرعة ويطلب منه بأسم الكتابة العامة للحكومـة التونسية تأجيل الاجتماع الى موعد حددوه ، وعلى أساس هذه الحركات ولاجـل تحديد الموعد كتبت للأخ محمد عباس الرسالة التالية :

حمدا وصلاة وسلاما

حضرة الاخ الكريم الفاضل الشيخ محمد عباس حفظه الله .

تحية وتكريما وبعد — نتيجة للمذكـــرة التى قدمتمـــوها من هنـــاك وما أعقبها من الحملة الصحفية وما أذاعته الوكالة فان الجهات الفرنسية قد استجابت الى ما نطالب به من الموافقة عـلى قيامنا بجولة على مضـارب المهاجرين يعقبها اجتمـاع مؤتمر الجمعية الذى ستكون له أهمية خاصة ولقد تلقينا لحد الآن الموافقـة وتأكيـد الحضـــور من السادة : الشـيخ سالم عبـد النبى — محمد الحاج حسن المشـاى — — محمد غالب الكيب — محمد خليفة بن عامر — حميدة على المطماطى — الحاج اسماعيل ابن اسماعيل — محمد عقريب — على بوستة حسن — رضا ربح الفيتورى — الجابرى الصويعى الخيتومى — الطاهر البدى — محمد عويدات المشاى — محمود العش — أحمد

الحاج خليفة بن مبارك الناكوتي ـ مفتاح احمد عريقيب هذا مع الاخوان الموجـــودين بتونس أمثال محمود علي الزنتاني ـ المبروك عمر بالريشة الغرياني ـ رمضـــان حسن طالب ـ محمد شكري ـ عمر مالك ـ رمضان شادي ـ مفتاح أغليليب ـ محمد فياض أحمد تريفيس وغيرهم ٠

يجب أن يكون هؤلاء جميعا على بينة من مسئولياتهم تجاه وطنهم لكي يأخذوا في الأهبة للظروف المقبلة والتي تكاد تكون الان في حكم الواقع وحتى يتمكنوا مـــن مجابهة الاحداث المقبلة المتداخلة ، وغني عن البيان أن الميدان ليس لنا فيه صديق بالمعنى الصحيح كما أنني لست في حاجة لان أقول لمثلك أن الدول ترتبط بالمصالح والظروف في اتجاهاتها ، وهي لا تتورع في ابتلاع الصديق والحليف والنـــصير اذا كانت مصالحها تقضي بذلك ، وهذا مايجب أن يفهمه كل واحد منا حتى لاتغـرنا المظاهر ، وذلك ما يجب أيضا أن نخطط له من الان ما دمنا مجتمعين ، ونرجـــو من الله الاعانة والتوفيق فهو نعم المولى ونعم النصير ٠

الكاتب العام للجمعية

أحمـــــد زارم

وبعد كل ما تقدم شعرنا بوضوح بانه مـــن جملة نتائج مذكرة الاخ محمد عباس وما تبعها أن فرنسا قد أرتاحت لموقفنا بصورة ملموسة ، وعلى أساس من هذا الجـــو تقدمنا الى الجهات المختصة بمذكرة طلبنا فيها استقدام اربعة من زعمائنا القدامى لقيادة الثورة نظرا لما لهم من التجارب الماضية في هـــذا الميـــدان والســـمعة داخل الوطن وخارجه والزعماء المطلوبون هم : سليمان الباروني ـ البشير السعداوي ـ عون محمد سوف ـ أحمد الشتيوي رحمهم الله جميعا ، بعد اجتماعات متواليـــة بيننا وبين الجهات الفرنسية طلبت منا صورة من قانون جمعيتنا ، فاهتبلنـــا هذه الفرصة وأرفقنا صورة القانون بمذكرة توضح أهدافنا من هذه المشاركة والطـــرق التي يجب أتباعها عند أعلان الثورة :

نص المذكرة بعد حذف المقدمة :

١ ـ استقلال بلادنا بحدودها الطبيعية والمعروفة لدينا من حدود مصر شرقا الى حدود تونس غربا باعتبـــارنا مشاركين فعليا وعمليا في الحرب بجانب الحلفـــاء

٢ ـ عدم ادخال الشباب الليبي في الجيش الفرنسي حتى الذين ولدوا في خارج ليبيا لكي تكون الثورة قوية قادرة على أداء مهمتها ٠

٣ ـ عدم اختلاط محاربي الثورة بالفرنسيين في حـــالة الزحف أولا ، لان التكتيك الثوري يختلف على التكتيك العسكري النظامي ، وثانيا ليطمئن اخواننـــا في الوطن لحركتنا ونجد منهم الاعانة ٠

٤ ـ جعل قيادة الثورة في عهدة ليبيين تعينهم الجمعية لانهم اعرف بـــطرق بلادهم وأماكن المياه فيها ونواجع البدو ونزعات قبائلها وشعور رجالاتها وطـــرق استمالتهم ٠

٥ ـ تزويد الثورة بما تطلبه من متطلبات الحرب كل ما طلبت ذلك دون تقصير ولا تأخير سواء أكان ذلك تموينا أم عتادا أم أطباء وغير ذلك ، وكل ما يطلب من الثورة أو يعطى لها يكون عن طريق ادارة الجمعية وبطلب من قيادة الثورة .

٦ ـ عدم معاملة الليبيين من طرف الحلفاء أينما كانوا كما يعامل الرعايا الايطاليون فى حالة اعلان ايطاليا الحرب على الحلفاء .

٧ ـ العناية الكاملة بعائلات الذين يلتحقون بالثورة ورعايتهم والاهتمام بهم فى كل الحالات الناتجة عن الحرب الى أن يعودوا لاوطانهم الاصلية أو حيثما أرادوا

٨ ـ تبذل الدولة الفرنسية مع حلفائها وغيرهم جميع مجهوداتها ومقدراتها الدبلوماسية فى جميع الاجتماعات والمؤتمرات والمقابلات أبان الحرب وبعدها لتحقيق ما تضمنته هذه المذكرة وأن هذا كله يتعلق بشرف فرنسا العسكرى والسياسى .

وان هذه المذكرة قد سلمت للجهات الفرنسية المختصة كما أرسلنا منها صورا الى سوريا وبغداد وبعد أيام وصلنى جواب من المرحوم البارونى ، يحمل الينا شكره ورضاه عن عملنا ، كما جاء فى جوابه هذه الجملة التالية التى أعجبت بها ورسخت فى ذاكرتى منذ ذلك الوقت وهى :

ففى هذه الايام نسمع أخبار الحرب من راديو ـ روما ـ ولندن ـ وباريز ـ فتتوتر الاعصاب والله يقدر لوطننا الخير ، هذا واننى أنصحكم أيها الاخوان أن تعتمدوا على أنفسكم ولا تتوقفوا على استشارة اخوانكم فى الشرق . فاعملوا بما توحيه اليكم ضمائركم وما تمليه عليكم مصلحة وطنكم . فان ظروفا ستحل سوف ينقطع فيها الاتصال حتما ... الخ .



جولة أستطلاعية على أماكن المهاجرين

على أثر اذاعة الشركة الاخبارية الانفة الذكر بايام وافقتنا فرنسا على القيام بجولة على أماكن المهاجرين فى البلاد التونسية للوقوف على أوضاعهم ومدى استعداداتهم واحصاء الصالحين منهم لحمل السلاح ولو على سبيل التقدير ، وتشكيل وحدات فى كل مكان لتكون همزة الوصل بين جهاتهم ومركز الجمعية . ولرعاية مصالحهم فى الظروف الاستثنائية وكلف للقيام بهذه الجولة السيدان : محمد أحمد عريقيب ـ واحمد زارم خليفة ، ولقد بدات الرحلة في هذه الجولة يوم ٧ ديسمبر من سنة ١٩٣٩ م من تونس العاصمة فى اتجاه مدينة « سوسة » التونسية ولم يمتد بقاؤنا فيها أكثر من يوم واحد ذلك لانها لايوجد بها أحد من الطرابلسيين ومنها واصلنا السفر الى مدينة صفاقص بواسطة القطار • وبمجرد وصولنا المدينة اتصلنا بعاملها السيد العزيز الجلولى « والعامل فى تونس كالمحافظ فى لبيبا » •

وبعد مقابلة العامل والتحادث معه قصدنا منزل العالم الصالح العامل بعلمه « الشيخ محمد السلاع » تولاه الله بالرحمة والرضوان • والشيخ من المهاجرين وقد استقر فى « صفاقس » فى احدى ضواحيها بعائلته فى منزل كبير متسع من أحسن مساكن تلك المنطقة الحديثة ، وهو يحظى بتقدير واحترام عظيمين من السكان ، ولقد سر بقدومنا ، وتناولنا الغداء عنده ، وبعد الانتهاء وفي فترة الشاهى وجه زميلى السيد محمد عريقيب كلامه الى الشيخ السلاع قائلا له : يا شيخ محمد الحكومة الفرنسية تسأل عنك وقد حملتنا أن نبلغك تحياتها « هكذا بضمير الجمع » وأوصتنا بأن نبلغك بأنها على استعداد لتلبية جميع طلباتك التى تطلبها وقضاء أى حاجة ترغبها .

وأجاب الشيخ السلاع بقوله : أنا فى نعمة من الله وراحة تامة وليس لى أى طلب ولا حاجة أرغبها وكل ما أرجوه هو البقاء فى مكانى محترما وكفى ، والجدير بالذكر فى هذا الموقف هو ان السيد محمد عريقيب ابلغ الوصية باسمنا كما هو واضح « حملتنا » والواقع أننى لم أسمع بهذه الوصية وليس لى بها أى علم مطلقا لا من الفرنسيين ولا من زميلى عريقيب الا عندما أعادها للشيخ السلاع أمامى فى منزل هذا الاخير •

والشىء الذى يجب أن أذكره فى هذا الموقف هو أن هذا الامر قد أحدث فى نفسى تأثيرا سيئا خوفا من أن يتلاعب بنا الاستعمار ، أو قد يكون أحد حذرهم منى الامر الذى جعلهم يحترسون منى ، وهممت على أن أحتج على ذلك وأعود أدراجى ، غير أننى فكرت فى الامر ورأيت أن الظروف غيرسامحة والموقف يقضى على بالسكوت مؤقتا ومواصلة العمل •

وحينما انتهينا من محادثتنا مع الشيخ السلاع ودعناه وعدنا الى صفاقص

وبدأنا فى الاتصال بجميع الاخوان وهم فى صفاقس كثيرون وأذكر من بين من اجتمعنا بهم السادة : الدكتور صالح الغرياني - ومحمد بن حميده - والفيتورى البودى رحمهم الله - وسعيد بن الحاج حامد الرحيبى ومحمود العش رحمه الله والشيخ محمد بن اسماعيل وغيرهم ، ولقد أتممنا تنظيماتنا وتبادلنا الآراء فيما نحن نسعى اليه .

وغادرنا صفاقس متجهين نحو قابس ، ولم يكن بقابس من الليبيين الا ثلاثة عائلات هى : عائلتا المرحومين عبد الله الدرباسى - ومحمد حلمى الجحاوى الخمسى رحمهما الله - وعائلة على فكينى ، وهذا الاخير لم نجده فى قابس وبالسؤال عنه قيل لنا انه متغيب عن البلاد ، أما والده الحاج محمد فكينى رحمه الله كان يسكن بعيدا عن قابس فى بلد ((اقبلى)) والمواصلات اليها غير متوفرة اذ ذاك ، قصدنا منزل المرحوم الاستاذ محمد حلمى ومن الغد اتصلنا بالمراقب المدنى ، وهى وظيفة فوق مستوى العامل ، وهذا المراقب شاب فرنسى لم أتحصل على اسمه كان موقفه معنا لينا بشوش الوجه لطيف المحادثة وبعد الانتهاء منه وفى طريق عودتنا التقينا بشيخ كبير فى حوالى السبعين من العمر هو المرحوم (سالم مسعود الهنشير من قبيلة « الندوة » بالرحيبات كان قادما من طرابلس فى طريقه الى تونس لزيارة أبناء أخيه اجتاز الحدود بدون جواز سفر .

التقينا بهذا الشيخ فاستوقفته حصة للسلام عليه وسؤاله عن الاهل والاقارب والبلاد وهذا الشيخ لم يكن ممن يعرفوا السياسة ولا يدرك ما نحن بصدده ولا يعرف الاوضاع الحكومية من الناحية التى نريدها نحن ، ومن غد ذلك اليوم ركبنا القطار من قابس متوجهين الى « قفصه» ولا يوجد من الليبيين بقفصه الا « الطاهر بن وفا » تاجر بها بتنا تلك الليلة عند رجل تونسى اسمه ((بن دولة)) وهو من أصحاب الاعمال الحرة ، ومن الغد ركبنا السيارة العمومية الى صهيب أو (أمضيله) هكذا هذا المكان له اسمان ، وصهيب هذه منجم « للفسفاط » قريب من قفصة وبه عدد كبير من المهاجرين ومن بينهم ((الشيخ محمد الغطاس)) من زليتن ، ولهذا الرجل قصة من أغرب القصص وقد سمعتها منه مباشرة وسجلتها فى وقتها ، والذى اسفت له هو اننى لم أسأله عن الطريقة التى قبض بها عليه الايطاليون ، ولا عن المكان الذى أعدم فيه رفاقه وأفلت هو من براثن الموت بقدرة قادر ، وأنا وان كنت لا أصدق هذه القصة ولا أكذبها ولكن لغرابتها أود أن أسجلها كما سمعتها وللقراء أن يصدقوا أو يكذبوا .

القصة كما سمعتها من صاحبها

يقول الشيخ الغطاس كنت من بين جماعة قبضت عليهم ايطاليا وأصدرت حكمها على هذه الجماعة بالاعدام وأودعتهم السجن فى انتظار الاوامر بالتنفيذ . وفى ليلة ظلماء أخرجونا الى قرب شاطىء البحر وأوقفونا صفا واحدا ونحن مقيدين

بسلسلة في أيدينا ، وبعد أن مر بنا الضابط ذهابا وايابا وأحصى عددنا تأخر الى الوراء حيث الجنود ، وأعطى الامر باطلاق الرصاص علينا ، ومع ارتفاع صوت الضابط بالامر أرتفع صوتى فى آن واحد وصحت بأعلى صوتى « يا سيدى عبد السلام » ونفضت يدى فسقطت السلسلة وفى خفة وحالة لاشعورية اندفعت نحو البحر ودخلت الماء حتى وصلنى الى الذقن وقد صادفتنى صخرة كبيرة فى البحر فاختفيت وراءها وعندما تقدم الضابط ((أو كلهم لا ادرى)) ليتاكدوا من موت ضحاياهم ووجدوا العدد ناقصا واحدا أخذوا يعدون يمينا وشمالا وكثرت رطانتهم ، واخيرا أخذوا يطلقون الرصاص فى كل أنجاه ، وبعد أن يئسوا جعلوا تلك المجموعة فى هوة كانوا قد أعدوها من قبل واهالوا عليهم التراب ثم وقفوا قليلا يتحسسون ثم انصرفوا .

اما أنا فقد مكثت مدة حتى خلا الجو من كل حركة فتحركت من مكانى وأخذت أعدوا وأتعثر وسط المياه مسافة واسنانى تصطك من الخوف والبرد ، ثم خرجت الى البر وسرت فى حذر وخوف شديدين حتى وصلت منزلى واختفيت به يومين وليلة حتى فارقنى الرعب وذهب عنى التعب ، أخذت ما أحتاج اليه وما امكننى نقله وتسللت ليلا ملتحقا بالمجاهدين ، وعندما اشرفت على الوصول تنفست الصعداء ، وحمدت الله على نجاتى من الموت ، وأصبحت فى اطمئنان ، ولكن ما كدت أصل حتى سقط بيدى وصدمنى واقع أمر وادهى من الاول ، حيث القى على القبض ووجهت لى تهمة الجوسسة لفائدة العدو بحجة ان افلاتى من الاعدام دون المجموعة كلها لم يكن مجرد صدفة ، بل اعتبروه ثمنا لقيامى بالجوسسة ، وهكذا فقد يئست من الحياة مرة أخرى ، ولكن ألطاف من الله تعالى وبقية من عمرى فى دفتر القدر سخرت جماعة (الفواتير) كانوا من ضمن المجاهدين توسطوا فى أمرى وتحملوا مسئولية ما قد يصدر عنى مستقبلا وبذلك فقد نجوت من الموت مرة أخرى وهكذا أراد الله ان اعيش الى اليوم لاقاسى ما كتبه الله على من آلام الغربة وشضف العيش والحمد لله على كل حال .

هذه هى القصة الغريبة التى سمعتها من صاحبها وسجلتها منه مباشرة وبالذات ، ولعل فى « زليتن » من لايزال حيا من رجال ذلك العهد ويعلم شيئا عن هذه القصة العجيبة فيؤكدها ويوضح ما اغمض منها ان كان ...

بعد انتهاء هذه القصة اعود الذكر تفاصيل جولتنا وانتقالنا من مكان لآخر ومقابلات الاخوان ، وجدنا فى « المضيلة » ، أو صهيب » اسمين لمكان واحد كما ذكرنا آنفا ، وجدنا عددا غير قليل من المهاجرين من بينهم صاحب هذه القصة — والمرحوم على بوستة الذى كان من رماة المدفعية فى الجيش الوطنى أيام الجهاد — وحسن رضا ربح الفيتورى ، الذى كان صف ضابط فى الجيش الوطنى رحمه الله — وعبد الهادى الزركون متزعم مهاجرى ورفلة بعد استشهادزعيمها الشهير عبد النبى بلخير رحمه الله ، وعلى العموم يوجد فى هذا المكان من مختلف القبائل وقد بقينا (بصهيب) من يوم٢٣/١٢/٣٩ الى١/١/١٩٤٠م وقدنظمنا الجاليةوتمالاتفاق على كل الاهداف ، ثم غادرنا المكان عائدين الى قفصة ومنها الى المتلوى ، والمتلوى

منجم أيضا يستخرج منه الفوسفات ولكنه أكبر وأقدم منجم فى تلك الجهة من بين أربع مناجم كلها من نوع واحد ، وكان من بين المستقبلين ، الحاج اسماعيل بن اسماعيل من كبار تجار المكان ـ والشيخ مفتاح الفيتورى ـ ومحمد بن عيسى ـ والشيخ صالح الجعفرى والطاهر القمودى ، ومحمد الطبال وغيرهم من الاخوان .
أنهينا أعمالنا فى المتلوى فى مدة ثلاثة أيام ، ومنها ركبنا القطار الى منجم الرديف وقد وصلنا فى نفس اليوم والملاحظ ان الطريق بين المتلوى والرديف بها سبعة أنفاق يمر منها القطار تحت الارض فلا يكاد يخرج من نفق حتى يدخل آخر ، ذلك لان الارض بين المتلوى والرديف ذات جبال عالية وأودية عميقة الا انها جرداء لا نبات فيها ولا زرع حيث انها منطقة قليلة الامطار .

استغرق وقتنا فى الرديف الى يوم ٨ يناير وفيه اتصلنا بالكثير من الاخوان بينهم وجهاء وأعيان وقادة المجاهدين ومن بين الذين وجدناهم هناك من المهاجرين: المرحوم الشيخ محمد ابن الحاج حسن كبير قبائل المشاشية وأحد زعماء الجهاد وبطل معركة « بوغره » ـ والشيخ محمد عويدات من أثرياء قبائل المشاشية وزعيم احدى قبائلهم ـ والشيخ الطاهر البدى متزعم قبائل أولاد أبى سيف فى المهجر ومجموعة كبيرة من تجار المهاجرين من مختلف قبائل طرابلس وفى خلال ثلاثة أيام أنهينا مهمتنا وأخذنا القطار الى منجم « أم العرايس » ولم نمكث بها الا يوما واحدا ومنها أخذنا القطار الى ، تابديت ـ فتالبت ـ فماجل ابن عباس ـ ففريانة فالقصرين فسبيطلة ، التى وصلناها فى الساعة الثالثة صباحا ، قصدنا محل تجارة السيد « محمد حنيدر » تركنا به حقائبنا ثم اتصلنا بالسيد مفتاح عريقيب الزليتنى وكان معظم الموجودين فى سبيطلة من اخواننا الصيعان ومن غد ذلك اليوم أخذنا القطار فى طريق عودتنا الى تونس فوصلناها الساعة الخامسة بعدالظهر من يوم ١٩٤٠\١/١٤م انتهت الجولة .

وبعد عودتنا بأربعة أيام فى ١٩٤٠\١/١٨ قدمت تقريرا للجهة المرتبطين بها فى أعما لنا تلك يتعلق بالجولة بين ربوع المهاجرين لتكون السلطة الفرنسية على علم ومعرفة بتشكيلاتنا الاحتياطية ورؤسائها ولم أذكر فى هذا التقرير ((عمدا)) ذلك الشيخ الذى تقدم وان ذكرت باننا قد التقينا به فى قابس وهو قادم من طرابلس وهو ((سالم بن مسعود الهنشير الرحيبى)) .

الــدعــوة لاجتمــاع المؤتمر

بعد الانتهاء من الجولة التى تقدمت تفاصيلها وبعد عودتنا الى تونس العاصمة بمدة لا أستطيع تحديدها بدأنا فى الاستعداد لاجتماع المؤتمر الذى طالبنا كثيرا بعقده ، فاخذنا فى كتابة رسائل الدعوة لحضور الاخوان فى الوقت المقرر ، وفيما يلى صورة (زنكوغرافية) للرسالة التى أرسلت الى المرحوم محمد بن الحاج حسن، وكان رابضا باتباعه فى منطقة (قفصة) وهذه هى الرسالة الوحيدة التى تمكنت من العثور عليها ، « اذ تكرم بها أحد الاخوان الذين يجرون كثيرا وراء وثائق التاريخ هو الاخ حسن خشيم فشكرا له) من بين تلك الرسائل التى تعد بالعشرات ، اللهم الا مسودة كثر فيها الشطب والتعديل وهى مسودة للرسالة التى أرسلت الى الاخ (محمد عباس) وسأنقل نصها بعد رسالة محمد بن حسن رحمه الله ٠

جمعية
الدفاع عن طرابلس وبرقة
بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الزعيم المحترم [illegible] سيدي محمد بن الحاج حسن ، تحية واحتراما
بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة وبناء على ما [illegible]
علينا الحالة الداخلية [illegible] قررت جمعيتي الدعوة لحضوركم بالعاصمة التونسية صباح
يوم ١٧ الجاري للمفاهمة فيما يخص قضيتنا والاتفاق على جميع امورنا .
وعليه فالجمعية ترجوكم باسم الوطن الحبيب وسكانه المقهورين ان تلبوا
الدعوة وان تحضروا في الوقت المعين [illegible] بسرعة والفضل عائد اليكم
ودمتم موفقين محترمين [illegible] الكاتب العام للجمعية [illegible] خليفة [illegible] الرئيس
[illegible]

١٩ جمادى الاولى [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدى محمد بن الحاج حسن تحية واحتراما ، بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة وبناء على ما تحتمه علينا المصلحة الوطنية ترى جمعيتكم لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية صباح يوم ١٧ الجارى للتفاهم فيما يخص قضيتنا والاتفاق على جميع أمورنا ، وعليه فالجمعية تناشدكم باسم الوطن المحتضر وسكانه المقهورين أن تلبوا الدعوة وأن تحضروا فى الوقت المعين أعلاه بسرعة والفضل عائد اليكم ، ودمتم موفقين محترمين .

الكاتب العام للجمعية الرئيس

١٩ جمادى الاول ٣٥٨ هـ ١٩٣٩\٧/٧ م

رسالة للاخ محمد عباس

الاخ الاستاذ محمد عباس المحترم سلاما واحتراما . وبعـد :

كنت قد كتبت اليك رسالة من مدة ما ضية أى قبل القيام بالجولة ، والآن وقد عدنا منها ، وهذا مادعانى أنأكتب اليك هذه ، رجاء قدومك للقيام بالتحضيرات اللازمة للاجتماع ، والتى من بينها ايجاد محل لائق ومتسع لسكنى الذين سيفدون من مختلف الجهات البعيدة ، والذين من بينهم من لم تسبق له معرفة المدينة ، أمثال الشيخ محمد بن الحاج حسن ـ والشيخ سالم بن عبد النبى ـ ومن يأتى معهـم من جماعات الجنوب .

هذا وقد تحدد موعد الاجتماع يوم ٢٠ الجارى هذا ما لدى الان كتبته اليـك وأنا فى انتظار قدومك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من أخيك المخلص : أحمد زارم

مـلاحظة :

بعد كتابة ماتقـدم فى هذه الرسالة وقبل ايداعها فى البريد جاءنى الاخ الشيخ رمضان حسن طالب وطلب منى أن أكتب اليك ما يلى : انه يطلب حضورك قبـل الموعد المحدد بأيام للاجتماع لانه لديه معـك مفاهمة خاصـــة لم يوضحهالى ، وليس من حقى أن ألح عليه بأن يوضحها لى ما دمت أعتقد جازما أن النوايا طيبة والضـمائر سـليمة والهـدف واحـد .

جمعية
الدفاع عن طرابلس وبرقة
تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

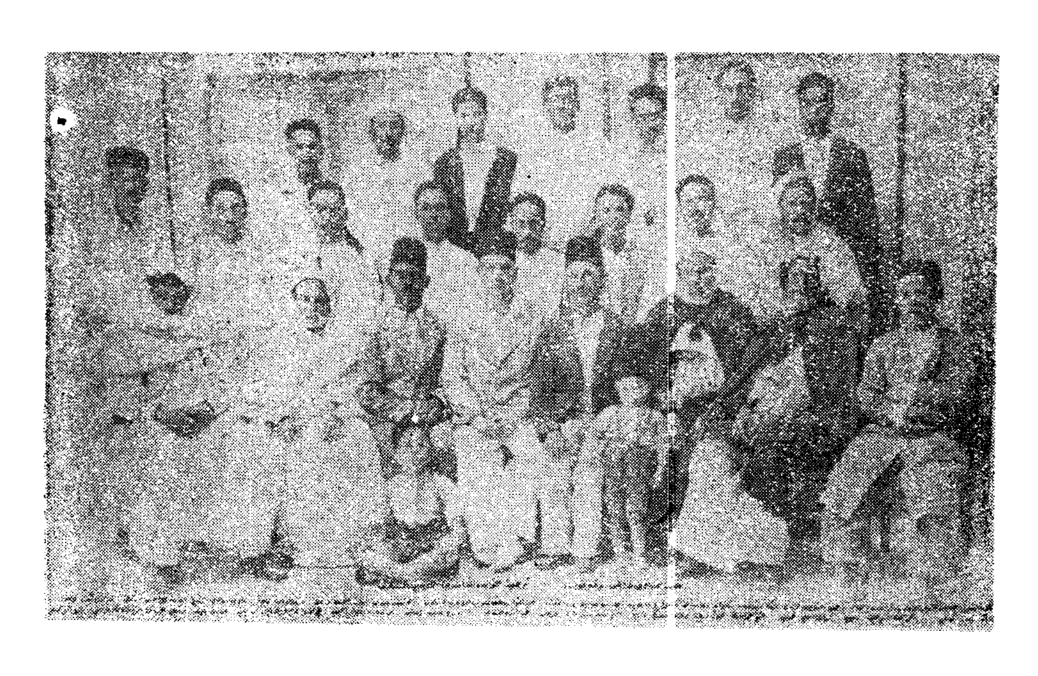
حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدنا سالم بن عبد النبي تحية واحتراماً ،

بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة ونظراً على ما تحتمه علينا المصلحة الوطنية ترى جمعيتكم لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية صباح يوم ١٧ الجاري للتفاهم فيما يخص قضيتنا والاتفاق على جميع أمورها وعليه فالجمعية تناشدكم باسم الوطن المحتضر وسكانه المقهورين أن تلبوا الدعوة وأن تحضروا في الوقت المعين أعلاه بسرعة والفصل عائد إليكم ودمتم محترمين موفقين

كاتب الجمعية احمد زارم خليفة الزهيبي

الرئيس

١٩ جمادى أ ٣٥٨ه ٧ / ٧ / ٩٣٩



وصل السيد محمد عباس الى تونس وأخذنا في التحضيرات ، وتم كل شيء على أكمل وجه وانعقد المؤتمر فى شهر مارس من سنة ١٩٤٠ م (بنهج الصباغين) بتونس ، وقد كان جدول أعماله يحتوى على النقاط الاتية :

١ ــ قراءة تقرير بعض أعمال الجمعية وتطوراتها .

٢ ــ انتخاب أمين مـال للجمعية .

٣ ــ النظر فى هيئة الجمعية لاقرارها أو تعديلها او تجديدها كليـا .

٤ ــ أشياء غير منظورة قد تحدث أو اقتراحات تقدم من المؤتمرين .

٥ ــ النظر فى الخطوات التى ينبغى اتخاذها بالنسبة للمستقبل الغامض .

انعقد الاجتماع فى الساعة العـاشرة من صـباح يوم ... مارس ١٩٤٠ م وبمناسبة هذا الاجتماع أبدلت السـلطات الفرنسية المرحوم ((البشير الـكيلانى)) ((والاستاذ . برشى)) بشخصين اخرين همـا : المرحوم : ((محمد اسـكندر)) . والاستاذ ((سالومو)) والسيد محمد اسكندر كان فى وظيفة عامـل وأحيل عـلى التقاعد وكان عمره اذ ذاك يناهز الخامسة والستين تقريبا ، وهو رجل هادىءالطبع لين العريكة متزن التفكير قليل الكلام لا يظهر عليه الميل لنـا او علينـا ، اما الثانى فهو الاسـتاذ « سالومو » رجـل مستشرق عـلى جانب من الثقافة العـربية فى حوالى الخامسة والخمسين من عمره ، وهو يشغل رئاسة (مجلس التعقيب) فى العدلية التونسية قليل الكلام كثير الملاحظـات يبدو على ملامحه الذكاء ، كما أنـه يحمل فى نفسه المكر ، ولكنه لا يعرف عليه ذلك الا بالتجربة ،

قلنا اجتمع المؤتمر ــ وقد افتتح عمله بتلاوة ايات بينات من الذكر الحكيـم تتفق والموقف ، ثم نهض « كاتب عام الجمعية » ورئيس الاجتماع وقدم أعضـاء الجمعية واحدا واحدا للمؤتمرين ، وبعد ذلك قرىء التقرير الذى تضمن أعمـال الجمعية منذ نشأتها وتطوراتها واتصالاتها ، ولقد استغرق هذا بمناقشاته وسؤلاته وغير ذلك كامل اليوم ، ثم رفعت الجلسة لتستأنف فى اليوم التالى ، عادت الجلسة للانعقاد فى اليوم الموالى وفى نفس الساعة ، وطلب للمؤتمرين انتخاب أمين مـال للجمعية ، ولقد اتجهت أنظـار المؤتمرين نحو الاخ محمد عبـاس الا أنه حـاول الهروب والتخلص ، ولكن المؤتمر بالاجماع أصر عليه وألح وألزمه بالقبول ، فقبـل ثم نظر المؤتمر فى تحركات الجمعية والخطوات التى انتهزتها وبالانتهاء من هـذا الموضوع انتهى الوقت ، ورفع الاجتماع ليعود فى اليوم الثالث .

استؤنف الاجتماع فى اليوم الثالث ، وفيه طرح موضوع النظر فى هيئـة الجمعية فتناقش المؤتمر حصة من الوقت ، وفى غمرة المناقشات ، طلب المـرحوم ((الشيخ محمد ابن الحاج حسن)) أن ينصتوا اليه فاتجهت الانظـار نحوه وعـم السكوت ، وتكلم الشيخ محمد قائلا . أنا اقول لكم رأيى فى الجمعية : ان الرجـال الذين اسسوا هذه الجمعية وساروا بها هذه المدة الطويلة حتى أوصلوها الى هـذا

المستوى من تلقاء أنفسهم وبدافع من شعورهم وبحافز من وطنيتهم دونما اعـانة منا مادية او أدبية فهم فى نظرى أولى الجميـع وأجدرهم بمواصلة تسـييرها ونحـن معهم ورهن اشارتهم فيما يخص مصلحة وطننا ، أما اذا نحن أبدلناهم بآخرين من الذين لم يفكروا فى هذا العمل فنكون اذا من الغالطين ، بل من الخاسرين بارتكابنـا تغييرات لا مبرر لها قد تؤدى بحركتنا الى الفشل واستغلال الغير لا قدر الله ، لذلك فاننا لا نريد بهم بديلا ، فليواصلوا والله معهم ونحن من ورآئهم نؤيدهم ومن الله الاعـــانة والتوفيق .

هذا رأيى والناس يسمعون ، ثم التفت الى الشيخ (سالم بن عبد النبى) وكان بجنبه وقال له ما قولك ياشيخ سالم .. ؟ فاجابه هذا بقوله : هذا هو رأى الـذى كنت أود أن أقوله ثم توجه الشيخ محمد للمجتمعين وقال ما رأيكم أيها السـادة ، وهنا أعلن الجميع موافقتهم عن فهم واقتناع ، لمـا لهذين القطبين من أصالة الرأى وسابق الخبرة وعظيم المواقف فى أيام الجهاد داخل الوطن فى نظر المهاجرين .



أيدى الاستعمار تلعب فى الظلام

وبعد الانتهاء وفى آخر الاجتماع ودون سابق علم تقدم المرحوم الاخ محمد شكرى كويدير رئيس الجمعية من سنوات ، تقدم للاجتماع فى اصرار وتصميم بتخليه عن الرئاسة وأستقالته من الجمعية نهائيا ، ولقد سادت الاجتماع لحظة من السكوت بسبب المفاجأة الغير منتظرة والغير مسببه والتى لم يدرك المجتمعون دواعيها ، ولقد حاول المؤتمر بمختلف الطرق ارجاعه عن عزمه أو معرفة الاسباب التى جعلته يتخلى عن الرئاسة والابتعاد تماما عن العمل بأى صفة ، حتى يعمل المؤتمرون على تذليلها ، كما وقعت اتصالات جانبية عديدة للكشف عن السبب ، ولكننا لم نصل معه الى النتيجة المطلوبة ، وهكذا فقد كان موقفه غامضا محيرا .

ففى هذا الجو الغامض وعلى أساس من موقف المرحوم محمد شكرى وأسبابه تقدم اثنان من الاخوان وهما حديثا عهد بالجمعية كل منهما يطلب رئاستها . ولكل منهما قوة خفية تدفعه وتؤيده فى الظلام تقدم الاول وهو السيد ((....)) وأبرز مذكرة يطلب الموافقة عليها والعمل بها فيما اذا أسندت اله الرئاسة ، ولقد جاء بهذه المذكرة جاهزة ، وكانت متضمنة ماأثار جدلا حادا بل وعنيفا بين المجتمعين الى حد جعل المرحوم الاستاذ ((محمد غالب الكيب العلاقى)) يطلب بلهفة والحاح من سكرتير الجمعية الذى هو رئيس الاجتماع بأن يستعمل نفوذه ويوقف الجلسة نظرا لتوتر الجو

وعلى اثر ذلك طوى صاحب المذكرة مذكرته وانكمش ، وهنا خلا الجو للثانى وهو السيد « .... » وهذا رجل شبه أمى ولكنه على جانب من الدهاء والتلاعب والاستغلال

تقدم هذا الرجل الثانى طالبا الرئاسة ولكنه لم يجد قبولا ، فانتظر حتى ساعة متأخرة من الليل وطاف على أولئك الذين جاؤا من الجهات النائية بما فيهم الشيخان : ابن الحسن - وابن عبد النبى ، قائلا لهم ان الجو متأزم وغدا قد يحدث ما لا تحمد عقباه بين المجتمعين ، وأنا أود انقاذ الموقف ، وعليه أطلب منكم أقرارى على القيام بأعمال رئاسة الجمعية حتى يقع أجتماع آخر فينتخب رئيس للجمعية فوافقوه على ذلك ، وفى صباح اليوم الموالى أعلمونا بما تم من موافقتهم فقلنا كيف تفعلوا ذلك فى غير اجتماع ..؟ فقالوا لقد طلب منا ذلك « وأعطيناه الكلمة » على حد قولهم ولقد قبلنا ماوقع آسفين الى حين وهكذا فقد بقى هذا الاخ قائما بأعمال رئاسة الجمعية بصورة مؤقتة ودونما انتخاب ولا محضر .

وعلى أثر انتهاء جلسات المؤتمر رفعنا تقريرا عن أعماله ومنجزاته وذهبت به لتسليمه الى الاستاذ « سالومو » ثم لزيارته أيضا لانه حل محل سابقه ، وبعد أن حييته ومحادثة شفوية تتعلق بالجولة سألنى الاستاذ « سالومو » فى موضوع تقرير الجولة - سألنى لماذا لم تذكر فى تقريرك ذلك الشخص الذى التقيتما به فى قابس .. ؟ قلت بتجاهل أى شخص هذا فقد التقينا بكثير من الناس فقال ذلك الذى سلمتما عليه بعد خروجكما من المراقب وهو قادم من طرابلس .

وهنا تداركت الموقف وعلمت أنه على علم دقيق بالامر ، فقلت نعم صحيح ولكن هذا شيخ مسن ومن البادية لايفهم شيئا مما يفيدنا ، فقال يجب ذكر كل شيء يصادفكما في طريقكما فقلت اسمح لي يا أستاذ « سالومو » أننا ذهبنا في عمل معين ومحدود وفيما يتصل به احطت بكل شيء وهو أهم ما نفكر فيه في هذا الوقت أما هذا الشيخ وأمثاله فهناك أرصاد الحدود ومراكز البوليس والجمارك يمر بهم هو وغيره وهذا هو عملهم ، أما نحن فموضوعنا شيء آخر ، ومع ذلك فأنا لا أريد أن أتطفل على عمل ليس في اختصاصنا ولا هو في برنامج عملنا .

أنهينا موضوع ذلك التقرير ، وتغير الحديث ، فقال لي لقد أصبح قريبا من المؤكد بأن ايطاليا ستكون في جانب المحور وضد الحلفاء ومن باب الاستعداد فاننا نريد أخذ بعض الشباب من الطرابلسيين لتدريبهم على الهبوط من الطائرات بالمظلات ، فقلت لا مانع من ذلك بل اننا نرحب به غير أنه يجب أن يكون عن طريق الجمعية فوافق على ذلك .

وبعد الانتهاء من هذا الموضوع وجه لي الاستاذ « سالومو » كلامه قائلا : أود أن أبدى لك أمرا وأرجو أن تفهمه جيدا ، قلت نفضل ، فقال : اننا الآن في حالة حرب وقد ارتبطت مصالحنا ببعضها في هذه الحرب ، فاذا ضاعت مصلحتنا ضاعت مصلحتكم معها أتعرف هذا .. ؟ فقلت نعم هذا صحيح فقال : اذن نريد منك أن تكون يقظا فنحن نعول عليك أكثر من غيرك ، وأنت عربي مسلم كأهل البلاد ولذلك تستطيع أن تختلط بهم ويطمئنوا اليك ففي امكانك أن تخبرنا عن العناصر « الدستورية » أى عناصر الحركة الوطنية التونسية » المتحركة وعن اجتماعاتهم وأماكنهم وكن مطمئنا فاننا سنحتفظ بسرك دائما كما تريد ، كما اننا لا نضر أحدا منهم وانما نوقفهم في أماكن معينة ونوفر لهم أسباب الراحة تحت الرقابة حتى تنتهى الحرب فنطلق سراحهم افهمت .. ؟

وما كدت أسمع منه هذا الكلام حتى أحسست باضطراب نفسي شديد الوقع وشعرت أننا في صدد الدخول في صراع محرج وخطير ، ذلك أن عملا كهذا لا يقبله ضميرى ولا يتحمله وجدانى وهو منافى للمصلحة العربية والكرامة الشخصية ولا يتفق حتى مع مستوى حركتنا الوطنية ، والظروف خطيرة والمعارضة فيها جريمة ومن هنا فقد أصبح الموقف جد حرجا ، ولكن الله جلت قدرته قد أنقذنى من الغرق فبعث في روعى شيئا من الشجاعة الادبية فالهمنى كلمات كانت مقبولة كما قذف في روع محدثى شيئا من التفهم وحب الانصاف .

فقلت تسمح لي ياأستاذ « سالمو » أن أجيبك بصراحه .. ؟ فقال نعم الصراحة كل الصراحة ، وهنا قلت : اعتقد بأننا نتذكر دائما ولم ننس في يوم من الايام فضل فرنسا علينا عندما التجأنا اليها فقبلتنا وأمنتنا بعدما اجتزنا الحدود التونسية وفتحت في وجوهنا ميادين العمل لكى نعيش ونستقر وهو مانقدره لها دائما ونشكرها عليه كل ماعادت بنا الذاكرة الى تلك الايام الخوالى .

وما دمنا نقدر هذا الجميل لفرنسا فلا شك انه في الوقت نفسه لاينبغى لنا

بأى حال من الاحوال أن ننسى فضل اخواننا التونسيين الذين هم استقبلونا بعطف اخوى وفتحوا لنا أبواب منازلهم وقاسمونا أقواتهم وشاركونا آلامنا ورثوا لحالنا وذلك هو كل ما يستطيعون ، وفوق هذا وذاك فانهم اخواننا مثل ما تفضلتم حضرتكم ، أفهل من المروءة أم من الانسانية أن نقابل ذلك كله بأن نصبح نقمة عليهم فى عقر دارهم ..؟ لذلك كله أرجوك بصفتك الشخصية أن تكون فى جانبنا فى هذا الموضوع ، وأن تدافع عنا جهدك لكى تعفونا من هذا المأزق واعتمادنا عليك بصورة خاصة ، ومع كل ماتقدم فان لكم من الاخوان التونسيين انفسهم ما يغنيكم عنا فى هذا الامر ، وهم أدرى بحركاتهم وأعرف بعناصرهموهذا رجاء نطلبه منكم .

ولقد كان الاستاذ ((سالومو)) ينصت الى بعناية واهتمام حينما كنت أتكلم ولما أتممت كلامى حول نظره الى المنضده أمامه مطرقا قليلا ثم رفع رأسه وقال لى كلامك صحيح وأنت على حق ، ولكنها الظروف تقضي بهذا وأكثر ، وعلى كل فكن مطمئنا سأعمل على تحقيق طلبك هذا ما أمكننى عمله ، وما كدت أسمع كلامه هذا حتى أكبرت فى الرجل أدراكه واتزانه ، اذ اننى ما كنت انتظر منه هذا الجواب ، بل توقعت منه انزعاجا وغلظة وغضبا وتهديدا كما هى عادة الموظفين من المعمرين الفرنسيين بتونس تجاه من يعارضهم خصوصا ونحن فى ظروف دقيقة والمعارضة فيها تشكل خطرا محدقا على صاحبها .

وفى يوم من أيام سنة ١٩٤٠ م استدعانى الاستاذ ((سالومو)) وعند حضورى بمكتبه بدأ فى حديث غير ذى موضوع ومن هنا عرفت أن هذا الحديث ليس الا مقدمة لحديث أهم وأخطر ، وفعلا فقد تخلص بعد قليل الى السؤال التالى : هل الطريقة السنوسية منتشرة فى طرابلس ..؟ ، فقلت نعم انها منتشرة بكثرة فقال لى أنا أعنى بسؤالى هذا : (جهتنا هذى من هنا القريبة أعنى طرابلس فقط من غير برقة) وما كاد هذا السؤال يخرج من فم الاستاذ « سالومو » وتتلقفه مسامعى حتى وقع اضطراب شديد فى أعماقى ، وأحسست باننى قد ظفرت براس الخيط الذى سوف يكشف لنا سر تصميم الاخ محمد شكرى كويدير على الاستقالة من الجمعية رغم الالحاح من الجميع .

وبالرغم من شعورى تجاه هذا السؤال فقد سيطرت على احساسى وتجاهلت الامر ، وصممت عمدا على أن أتوغل فى المبالغة فى قوة وانتشار الطريقةالسنوسية وتمكن نفوذها فى الجهة التى أشار اليها الأستاذ « سالومـو » أعنى أقليم طرابلس آملا أن يكون لهذه المبالغة تأثيرها على أفكارهم الظالمة وأهدافهم الرهيبة فأجبته بهدوء وبساطة كأننى لم أفهم شيئا مما يرمى اليه ، فقلت نعم أنا أيضا أعنى طرابلس فان الزوايا السنوسية منتشرة فى كل مكان ولهذه الزوايا مشائخ وأتباع يكونون الاغلبية الساحقة .

ولما سمع كلامى هذا ، امتقع وجهه وقال كيف تقول هذا وبين الطرابلسيين والسنوسيين عداوات ومنازعات من زمن الحرب الايطالية والضغائن لا تزال كامنة فى الصدور ..؟

قلت : هـذا صـحيح وقع فى المـاضى ، وقـد وقع ذلـك حتى بين القبـائل الطرابلسية نفسها ، ووقع بين قبائل برقة أيضـا ، ولكن هذه المنازعات كانت جلهـا أو كلها لاسباب شخصية وأسراوية وقبليةأثارتهاوغذتها ايطاليا بمساعيها ودسائسها وهناك منازعات نتيجة أجتهادات خاطئة .

الا ان رجال البـلاد والشعب كله تنبهوا جميعا لتلك الغلطات الفادحـة التى أضرت بالبلاد ضررا فادحا ، وان كان هـذا الانتباه جاء متأخرا بالنسـبة لحركتنـا الماضية فى ميدان البلاد الداخلى .

وعـلى كل فقد ذهب ذلك كله وذهبت حتى اثاره ايضـا مـع ذهاب تلك الأيام الغابرة ، وطويت تلك الحوادث حبث ضمتها طوايا أكفان التاريخ ، ولم يبق لهـا أى أثر الا الموعظة ، وقد زادنا نسـيانا ووموعظـة ظلم ايطاليا وتصرفاتها التعصـبية ومعاملاتها البربرية لشعبنا ، وها انكم ترونا اليوم هنا نعمل جميعا وهذا اسـم جمعيتنا دليل حى ملموس وهذا رئيسها السيد محمد شكرى فهو من بنغـازى ، وكذلك اخواننا فى الشرق ، فالجمعية فى سوريا رئيسها طرابلسى وسـكرتيرها عمر شنيب من بنغازى ، ثمأخرجترسالة شخصية منجيبى كنتقد تلقيتها من الاخ عمر شنيب يحثنا فيها على التمسك بادريس ومبايعته وناولته الرسـالة وقلت له هـذا دليل ناطق على وحدتنا (فاخذ منى الرسالة وبعد قراءتها احتفظ بها ولم يعدهـا الى) وكذلك فى مصر وغيرها من البلاد التى يوجد بها من اخواننا .

ورغم هذا كله يبدو ان الاسـتاذ سالومو لم يقتنع بكلامى هذا فقد شعرت أن لهجته يشوبها شىء من الامتعاض حينما قال لى : اسمع اذا كان الاتفاق غير ممكن بين الطرفين فى المستقبل وهذا ما اعتقده نظرا للسوابق التاريخية فليكن العمـل منفردا من الان ، كما ألح على كثيرا فى طرح الموضوع على أعضاء الجمعية لبحثه على ضوء الماضى ، فقلت : سوف أفعل ذلك ، وعندما عزمت على الانصراف استوقفنى قائلا : أود أن ألاحظ لك شـيئا ، وهو ان الكلام الذى أبديته لك هو رأى شـخصى صادر عنى ، وليس من الحكومة الفرنسية ، لذلك رأيت أن أنبهك لكى تعتبره كذلك ولقد حضر فى هذا الاجتماع (الكبتان : اجى)

ومن الغد أعدت هذا الحديث الى الاخوان ولقـد فهم الجميع مافهمتـه ، وبدا لنا أن هناك اتفاقا سريا بين الحلفاء ، ((ولكن أنا أريد وأنت تريد والله يفعل مايريد)) فلم يكن فى حسابهم انهيار فرنسا ذلك الحدث الذى غير مجرى التاريخ وحل كل ما سبقه من الارتباطات والاتفاقات ، وهذا ما أراده الله ـ ((ومصائب قوم عند قوم فوائد)) الامر الذى جعل فرنسا فى نظر حلفائها غير ذات موضـوع رغم وجـود الجنرال (ديجول) بينهم ، ولـكن كان وجوده بينهـم فى الواقع « كفحـل بلا ابل » وبسبب هذا التبرم الغير الشريف فى سياسة الحلفاء نحو حليفتهم التى كبأ بهـا الجواد من أجلهم وأجلها تغيرت السياسة الفرنسية الى ما هى عليه اليوم .

وبعد يومين من هذه المقابلة وصلتنى رسالة من الاستاذ ((محمد غالب الكيب العلافى)) وقد كان يسكن فى بلد « اقليبية » وتبعد عن تونس العاصـمة أكثر من ١٠٠ كيلو متر ، والاستاذ غالب رجل عسكرى دراسة وتطبيقا ، وهذا نص رسالته:

رسالة من المرحــوم محمد غالب الكيب



محمد غالب فى شبابه رحمه الله



محمد غالب فى شيخوخته رحمه الله

جناب الوطنى الفاضل سيدى أحمد زارم . السلام عليكم وبعد :

فقد ظهرت فى هذه الايام نشاط وحركات عسكرية كبرى فى القطر التونسى، فما من يوم الا وترى فيه جيوشا تجهز وترسل لتأخذ مكانها فى الواجهة استعدادا للطوارىء ، ونحن وسط هذه الاستعدادات والحركات النشيطة كالاجانب الذين لايهمهم أمر هذه الحركات لحرب متوقعة والمسألة تهمنا مباشرة حيث انها اذا وقعت انما ستقع فى بلادنا وضد عدونا فانها فرصة مناسبة لاظهار نشاطنا بأخذ مكاننا فى الواجهة ليعلم عدونا اننا لم نمت ولم يقض علينا ، بل نحن أحياء ودائما مستعدين وحاضرين للفتك به ولا نترك فرصة تمر دون أن ننتهزها ضده فهل أنتم على اتصال مع الحكومة ...؟ وهل قررتم معها شيئا فى خصوص تعبئة الطرابلسيين وأخذ مكانهم اللائق بهم فى الواجهة واستعدادهم للغارة على عدوهم أم أنتم سكوت ..؟

والسـلام

٢٩ أوت سنة ١٩٣٩ م أخوكم محمد غالب

ولما كانت أتصالاتنا بالاستاذ محمد غالب مستديمة وان كان هو يسكن في بلد تبعد عن تونس بأكثر من مائة كيلو متر فنحن دائما نعلمه بما يجد عن طريق البريد ، ومن هنا فهو يعلم كل تحركاتنا ولذلك ظننت أنه يريد من وراء سؤاله في رسالته هذه معرفة تخطيط يتعلق بالمستقبل كنا قد تكلمنا فى شأنه بغير صراحة في يوم ما بحضوره وهذا التخطيط على جانب من الخطورة ولذا فقد وقع تحريره وتحديد نقاطه وبقى سرا مكتوما الى أن تحل ساعة العمل وحينئذ نسلم صورة لكل فرد من الافراد المعدودين الذين وقع أختيارهم وضبطت أسماءهم فى قائمة حفظت مع التخطيط ، وذلك احتياطا من ان يتسرب خبره الى الفرنسيين ، لانه تخطيط يحدد طرق مواقفنا وتصرفاتنا تجاه الفرنسيين بمجرد احتلال النفط الاولى من وطننا وذلك للمحافظة على وحدة البلاد ، وحتى لانترك لهم فرصة لبث التفرقة والفتن وزرع الشكوك والشقاق بين المواطنين ليستغلها الاستعمار فيما بعد للسيطرة على البلاد

وعلى اثر تسلمى هذه الرسالة وفهمى منها ما تقدم ، وبما أننا كنا ننتظر فرصة اجتماع قادم يحضر فيه الاستاذ غالب الى تونس فنسلمه التخطيط كى يدرسه ويعطى رأيه فيه بوصفه رجلا عسكريا دراسة وتطبيقا ، فقد رايت أن أرسل له صورة منه ، وفعلا فقد أرسلت له صورة بالبريد وطلبت منه دراستها مليا واعادتها لى مع ملاحظاته عليها ، وبمجرد وصولها اليه جاءنى الى بيتى (بالكرم) وهو فى حالة من الانفعال الشديد ، وقد كانت مفاجأة غير منتظرة ، وبعد السلام جلس قليلا فسألته اذا كان قد بلغه التخطيط ، فقال نعم وصل أرنى الاصل فجئته به وبعد ان نظر فيه وجه لى لوما شديدا قائلا ماهذا التهور أترسل مثل هذا الكلام فى البريد !! فلو قدر واطلعت عليه فرنسا لنكلت بنا اشد التنكيل ، ولضاعت آمالنا الوطنية عن طريقها ولعلها مكرا تسلمنا لايطاليا ، فأى تفكير لك هنا ..؟ ثم قال لى ان الصورة التى وصلتنى أحرقتها بمجرد اطلاعى عليها ، وحتى هذه لا أريدها أن تبقى وأخذ يمزقها ثم قال لى والآن لاأتناول غذاء ولا أبرح المكان حتى تحرق هذه الاوراق واراها امامى هباء أسود ، وقد أحرقت فعلا .

ايطاليا فى الميدان

بعد المؤتمر الانف الذكر اتخذت الجمعية مقرا لها فى (نهج الذهب) بتونس وفى هذا المقر وقع اجتماع عام وفيه أبدل أسم الجمعية من جمعيـــــة الدفاع عن طرابلس وبرقة الى « جمعية التوادد والتعاضد بين المهجرين المسلمين » وفى هذه الفترة أخذنا نوالى الاجتماعات والاتصالات ببعضنا وفى تفكير مستمر واســتعداد للمستقبل القريب والبعيد ونهيىء أنفسنا لما ينتظرنا من المواقف العصيبة تجاه العـدو والصديق ، وفى اليوم الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٩٤٠م أعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء منحازة الى جانب ألمانيا الهتلرية .

وفى هذا اليوم نفسه استدعانى المكتب المختص ولما مثلت فى المكتب طلب منى السفر فورا الى الجزائر للالتحاق بالقيادة العامـة للحلفاء فى شمال افريقيـا عـلى أن يكون السفر بأقصى ما يمكن من السرعة وبعد ان تلقيت هذا الامر رجعت الى الاخوان وقد كانوا فى أجتماع متواصل بسبب أعلان ايطاليا الحرب . وأعدت لهم ما طلبه المكتب الفرنسى المختص منى وهو السفر السريع فاستولى على الجماعة شيىء من الوجوم والتفكير العميق .

وبعد لحظة اظهر الاستاذ محمد عباس اعتراضه على السفر قائلا : ما لنـــا والقيادة فنحن اتجاهنا الى بلادنا لبدء الثورة فان هـذا السفر أمر مبيت سيؤدى الى تشتبتنا الذى ينتج عنه ضياع مصلحتنا الوطنية لان الاتصال ببعضنا والتشاور فى خططنا المبينه والامور الطارئة يصبح متعذرا ونحن ما دخلنا هذه المعمعة لكســب مادى او معنوى شخصى ، وانما لتحقيق مصلحة وطننا الا وهى استقلال بـــلادنـــا وبعد هذه العبارات من الاستاذ محمد عباس ، قال يجب أن ترفض السفر ، وقــد خاض الاخوان فى الموضوع ، وبعد دراسته على مختلف وجوهه أجمع الاخــوان على أن الظروف دقيقة لا تتحمل المعارضة وقد اقتنع الجميع بذلك .

وفى نفس الوقت غادرت الاجتماع وعدت الى منزلى فى ((الكرم)) لــكى أتهيىء للســفر ، وقبـل ظهر ١١ يونيـــه جاءت الطـائرات الايطاليـة المغيرة وقـد استهدفت منشاءات فى المنطقة منها : مركز توليد الكهرباء ، ومطار آيروبور» والخط الحديدى المـكهرب الرابط بين تونس العاصمة وأحـوازها من حلـق الوادى الى المرسى وغير هذه من الاهداف ، وقد اخذت هذه الطائرات تمطر تلك الاهداف ، بوابل من قنابلها المزعجـة ولكنها من ألطاف الله لم تصب أى هـدف من تلك الاهـداف فى ذلك اليوم .

ولقد كان ذلك اليوم يوما تاريخيا فى حياة تونس وشعب تونس ، يوما وياله من يوم ، يوما ذهلت فيه العقـول وطارت لهوله الألباب يوم خـرجت فيه النســـاء المحجبات فى ذهول وشرود يخبطن الارض بأرجلهـن بدون وعى ، وتخلى الـكثير من الرجال عن كبريائهم وهم يهرولون فى ذعر وانزعاج حتى ليخيـــل لك كأنه يــوم القيامة ، كل يطلب النجاة لنفسه وكفى .

والواقع ان الناس معذورون اذ لا عهد لهم بمثل هذه الاحداث فى ماضيهم ، فهذه هى أول مرة فى تاريخ تونس فيما أعتقد يرون طائرات حربية عدوة تغزو الفضاء التونسى وتحلق فوق رؤوس الناس وتلقى بصواعقها على أهداف ضخمة وحيوية ، وقد زاد فى رهبة الموقف اختلاط صدى انفجار القنابل بهدير الطائرات فكون ذلك صدى رهيبا مزعجا يصم الاذان ويهز مشاعر كل انسان .

ومما يزيد فى هول المنظر ورهبة الموقف واضطراب النفوس هو أن بعض القنابل سقط فى مياه « بحيرة شكلى » فشاهد الناس المفعول المريع لتلك القنابل ، فحينما تسقط القنبلة داخل هذه البحيرة المائية يندفع الماء منها الى علو شاهق وفى خفة وسرعة خاطفة كانما يدفعه الشوق المضنى لتقبيلها قبل وصولها الامر الذى زاد فى أزعاج الناس على السواء ، وقد أنتشر رجال الدفاع السلبى فى كل مكان ، وكلهم من العرب فى تلك المنطقة يرشدون الناس لاتقاء الاخطار ، وقد قاموا بواجبهم على خير وجه .



التحاقي بقيادة الحلفاء في الجزائر

ففي صباح ١٢ يونية سنة ١٩٤٠ ركبت القطار من تونس العاصمة وتحرك بنا في اتجاه الغرب صوب الجزائر تاركا عائلتي في ذلك الجو المرتبك الرهيب ، أما فيما يتعلق بالجمعية واجراءاتها فلقد حل محلي الاستاذ محمد عباس وكانت الجمعية في اجتماعات متواصلة واتصالات مستمرة مع السلطات الفرنسية ، وقد كانوا يجمعون الصالحين من المهاجرين لحمل السلاح في جهة « قفصة » لتسلم لهم الاسلحة في ساعة الصفر للزحف على حدود بلادهم ولقد بلغ عدد الذين استعدوا لحمل السلاح حتى يوم سفري من تونس أربعة آلاف في منطقة خارج قفصه وقريبة منها في انتظار الامر بالتحرك .

قلت آنفا ركبت القطار في طريقي الى الجزائر ، والجدير بالملاحظة هو انني لم تسبق لي معرفة بارض الجزائر — ولا بشعبها من قبل ، والافراد الذين اعرفهم بالجزائر كانت معرفة بطريق المكاتبة وهم من عناصر الحركة الوطنية ، وهذه العناصر كانت في تلك الظروف مشتتة بين السجون وتحديد الاقامة والمراقبة الشديدة اليقظة من طرف السلطات الفرنسية ، ومع ذلك فمن الناحية العملية لسنا في طريق واحدة ، فانا في واد ، وهم في واد آخر ، وان كان الجوهر واحدا ولكنها مواقف فرضتها ظروف ومصالح ليس لنا فيها من اختيار .

وفي يوم ١٣ (يونيه ٤٠) بعد الظهر وصل القطار الى الجزائر العاصمة وقد نزل منه خلق كثير ولما كنت لا اعرف البلاد من قبل ، فقد سرت في غمرة تلك الجماهير المتجهة نحو « المصعد » (سانسير) وبطريقة جاسوسية ولطيفة وقع اكتشافي ، اذ بينما كنت سائرا في وسط ذلك الجمهور سمعت على حين غفلة مناديا بصوت هادىء وخافت « زارم » فأدرت وجهي نحو الخلف حيث جهة مصدر الصوت ، وبمجرد الالتفاتة تقدم لي شخصان ، وقال أحدهما أنت احمد زارم ؟ » قلت نعم ، ومن أنت لم أعرفك ، فقال أنا مكلف من طرف الحكومة ، ثم التحق به شخص آخر ، والشخصان أحدهما عربي مسلم ، والثاني أروباوي فرنسي ، فهذا الاوروبي قصير القامة نحيل الجسم في حوالي الخمسين من العمر تقريبا .

أما الرجل الاول العربي فهو شيخ على رأسه عمامة بيضاء يرتدي لباسا عربيا على الطريقة الجزائرية وهو طويل القامة خصب الجسم في غير سمنة حاد النظر أبيض اللون يناهز الخمسين من العمر هو الآخر ، ولقد علمت فيما بعد أن الاوروبي مستشرق اسمه « روفيبي » وقد قيل لي انه أستاذ بالمدرسة الثعالبية ، وهو يتكلم العربية باللهجة الجزائرية ، وأما الشيخ ، فهو الشيخ احمد بن زكري ، وهو من أبرز الشخصيات الجزائرية ، ومن أصحاب الثقافة العالية العربية والفرنسية حسبما قرأته عنه في الصحف حينما عين نائبا في الجمعية الوطنية الفرنسية بعد الهدنة .

وبعد وصولنا الى منزل الشيخ احمد بن زكري تركت من طرف المستقبلين لأخذ الراحة من تعب السفر ، ومن الغد خرجت صحبة الشيخ احمد لشراء حاجيات كانت بالنسبة لي ضرورية لكي أغير بها الزي حتى لا أكون ملفتا للانظار ، نظرا

لان الخوف منتشر فى البلاد والجاسوسية ضاربة أطنابها والبوليس السرى تشعر به فى كل خطوة ، لذلك كان ضروريا تغيير الزى ، وفى اليوم الثالث خرجنا للتجول فى البلاد ، وبالمناسبة زرنا ضريح سيدى عبد الرحمن الثعالبى رضى الله عنه ، ثم زرنا المدرسة الثعالبية وهى مدرسة جميلة البناء متسعة الارجاء تقع فى مكان مرتفع من المدينة ، وعند خروجنا منها . دخلنا حديقة عمومية حذو المدرسة فيما أتذكر وهى منتزه عمومى جميل المنظر تكسوه النباتات الخضراء وتزينه الزهور ذات الالوان المختلفة وفى هذا المنتزه مقاعد حجرية متناثرة هنا وهناك فوقفنا قليلا للتأمل فأظهرت اعجابى بذلك المنظر الجميل البديع ، وعندها قال لى الشيخ احمد : هذا منتزه عمومى وأمثاله كثيرة للترفيه على الفرنسيين بينما نحن العرب يرقد الكثير منا فى الشوارع تحت الجدران فى ايام الحر والبرد ، ولا تسأل عن الظلم .

وبعد انتهاء الشيخ من كلامه قلت له : اذن كيف تجد الحكومة الفرنسية من يقف بجانبها من المسلمين مادامت هذه هى معاملتها ، وما دام هذا الشعور يملأ الصدور ويختلج فى النفوس .. ؟ فأجابنى قائلا : نحن قلنا لهم ((يعنى عناصر الحركة الوطنية التحررية)) اذا كانت ثورة مسلحة ووفرتم لنا مقوماتها فنحن معكم فى الطليعة ، أما اذا كانت الحركة سياسية سلمية فلا تزيدنا الا ضغطا وحرمانا عما نحن فيه ، قال هذا القول وسكت ، وفى الواقع النفسى أن كلامه هذا لم يقنعنى غير اننى انتبهت للموقف الذى انا فيه ورأيت أن التوغل فى مثل هذا الموضوع ليس من مصلحتى فى تلك الظروف فسلمت جدلا .

ومن هنا من تلك الحديقة انحدرنا الى مقهى لاحد اصدقاء الشيخ احمد اسمه ((الحاج حسين)) وأظنه فى الاصل من جبل (زواوه) وهذه المقهى تقع بالقرب من ميدان صغير يعرف باسم « ابلاصت العود » سمعت بعد الاستقلال أطلق عليه اسم « ميدان الشهداء » ونحن فى طريقنا الى هذه المقهى رأيت منظرا غريبا لفت انتباهى وأثار فى نفسى حيرة واستعجابا ، ولقد دفعنى الفضول وألحت على غريزة حب الاطلاع الى أن أوجه سؤالا الى الشيخ أحمد عن ذلك .

وهذا المنظر هو اننى رأيت بناء ضخما تدل جميع مظاهره انه جامع اسلامى وصومعته لا تزال قائمة وهى مقامة على نسق جوامع الحنفية من حيث شكل البناء ، ويقع فى أحسن موقع من المدينة ، وقد رأيت النصارى يدخلون اليه ويخرجون منه ولم ار مسلما يدخله أو يخرج منه لهذه الظواهر التى كانت غريبة عنى غير عارفها ، سألت الشيخ احمد ، أهذا جامع اسلامى أم ماذا ..؟ فسكت لحظة ونظر الى البناء المذكور ، وقال : متأثرا هو جامع أسلامى فعلا بنى فى عهد الاتراك العثمانيين .

وفى وقت من أوقات هذا الاحتلال المشئوم قال الفرنسيون : بما أن جوامعكم كثيرة نريد اخذ هذا الجامع لنحوله الى كنيسة ، وفعلا فقد حولوه الى كنيسة فقلت اذا لماذا أبقوا على مظاهره بما فيها الصومعة .. ؟ فقال حتى المحراب داخله لايزال كما هو ، فقلت وما هو السر فى ذلك ..؟ فقال انا لا أعرف لذلك من سر الا الامعان

في قهر المسلمين واذلالهم كي يقتلوا في نفوسهم ما بقي من شعور بالكرامة والاحساس بالدين والتفكير في الاصل •

وبعـد أيام انتقلت من بيت الشيخ احمد الى فندق : « هوتيـل » في أحـد الشوارع لا أتذكر اسمه وبعد أيام لا أدرى عدتها جاءني أمسية الشيخ أحمد بن زكري وذهبنا معا الى الضابطين ((ليفي بروفنصال)) ((ومنطان)) ثم ذهبنا جميعا في تلك الليلة الى مطبعة ضخمة لم اتمكن من معـرفة مكانها ولا اسمها ، وهنـاك وفي تلك الليلة كتبت منشورا جاء فيه تفاصيل القبض على المجاهد الشهيد عمر المختار وكيفية اعدامه بأيدى الايطـاليين وفيه اثارة لشـعور الجنـود الليبيين وحثهـم على الانحياز لصفوف الحلفاء لتحرير بلادهم ، مع اخوانهم الزاحفين •



كيف تلقيت نبـأ وفاة البـارونى



بينما كنت فى الفندق أطالع كتابا استصحبته معى لمعرفة الاماكن التى يصفها الكتاب وهى أماكن كان يعسكر بها المجاهدون فى حـروبهم ضد التسلط الاستعمارى الفرنسى فى أوائل القرن الثامن عشر بقيادة المغفور له الامير عبـد القادر الجـزائرى يحاصرون الجيوش الفرنسية بمنطقة باب الوادى مثلا وغيرها ، وهذا الكتاب هو كتاب « الدولة العربية المتحدة » فى ثلاثة أجزاء لمؤلفه الاستاذ أمين سعيد » المصرى،بينما كنت أطالع هذا الكتاب وأنظر الى الاماكن من نوافذ غرفتى فى الفندق ، تلك الاماكن التى أصبحت اليوم كلها مبانى وأحياء من مدينة الجزائر ، بينما كنت سارحا فى أحلامى التاريخية اذ بالشيخ أحمد بن زكرى يدخل على فى الغرفة ، فذهبت معه الى بيته وتناولنا الغذاء عنده وعند الانتهاء بقليل دخل علينا ضابطان فرنسيان هما « ليفى بروفنصال » وهذا رئيس المكتب السياسى فى القيادة العامة للحلفاء بشمال افريقيا ومقرها الجزائر ، والضابط الثانى هو : (الكبتن منطان) وهـذا قائد فـرق

الطيران والاحظ : ان الامر قد اشتبه عنى الآن لاأدرى (منطان) أهو كابتن أو كومندان
وبعد تبادل التحية اخذكل منا مكانه،وبعد حديث قصير وجه لى ((بروفنصال))
السؤال التالى : من هم الزعماء الذين طلبتم استقدامهم من الشرق .. ؟ قلت له :
البارونى ـ والسعداوى ـ وعون سوف ـ وأحمد السويحلى ـ فقال : بعد غد
يصل اثنان منهم ، قلت من هما : ؟ قال عونسوف ومعهشخص آخر ـ ولقد وجدت
فيما بعد ان هذا الشخص هو الاستاذ (محمد توفيق الكميشى الغريانى) وعندئذ
قلت له : والسعداوى .. ؟ قال : ان ابن السعود لا يسمح له بالتغيب . قلت
والسويحلى قال السويحلى كان مستعدا غير أنه فى آخر لحظة تراجع فى موقفه
وامتنع عن السفر .

ثم قلت : والبارونى ...؟ فتوقف الضابط عن الجواب قليلا ونظر الى نظرة
فيها شىء من الحيرة ثم قال : لقد أرسلنا برقية للبارونى وطلبنا منه أن يعد نفسه
لركوب الطائرة ، وحددنا له المكان والزمان فرجع لنا الجواب يقول : ان البارونى
قد توفى منذ خمسة عشر يوما مضت واقول الحق لقد كان لهذا النبأ المزعج
المفاجىء صداه السيىء فى نفسى وتأثيره الأليم على شعورى . وانها لصدمة شديدة
عنيفة أوصلتنى الى حد الذهول .
وبينما كنت أحاول التجلد وعدم الاهتمام بالنبأ ولكن التأثر كان باديا وخيم
السكوت على الجميع لحظة ، وعندها تكلم الضابط بروفنصال يحاول تحويلى عن
ذلك الذهول فقال : الارتباك من باب الضعف فى مثل هذه الظروف ، بل يجبالتجلد
وقوة الصبر ، وأن الانزعاج والحزن لا يفيدان شيئا حيث أن الوقت ، وقت عمل
وجد فأجبته : بصوت متأثر جدا : نعم هذا صحيح ونحن سائرون فى طريقنا
المرسوم قطعا الى النهاية فلا يضعفنا أى حادث مهما عظم ، وهنا تدخل الضابط
منطان وقال لزميله « بروفنصال » لقد تلقى الرجل صدمة وله الحق فى ذلك فلنتركه
الى غد وقد غادرا المكان .

ولقد أمضيت تلك الليلة أسأل نفسى : فهل حقا أن البارونى مات .. ؟ ولماذا
لايموت الا الآن وفى هذه الظروف بالذات ، أليس هذا نذير شؤم بالنسبة لمستقبلنا
ما هذه المصادفات السيئة ، البارونى مات والسويحلى يعدل عن المجىء فى آخر
لحظة ، والسعداوى لا يسمح له ابن السعود بالتغيب ، هل انا الآن فى منام مزعج
سوف تذروه رياح اليقظة عند الانتباه ، ولقد بت تلك الليلة فى هواجس واحلام
وفى غمرة هذه الهواجس حاولت أن اقول كلمة شعر ، وقد قلت أبياتا لا أدرى أهى
شعر أم سجع أم غير ذلك اذ اننىلست بشاعر ،وعلى كلفهى كلماتترجم عن حالتى
النفسية فى ذلك الظرف ، وقد نسيتها وهى مصادفة مخيفة تبعث التطير فى نفس
المسلم ، وهو مسلم نظرا لوقوعها فى ظروف جد خطيرة ومستقبل غامض جاهم
ولقد تطيرت والحق اقوله من هذه المصادفات المزعجة ، وكنت اكره التطيروالمتطيرين
ولا غرو فان المرحوم البارونى له منزلة ممتازة فى نفوسنا وسمعته داخل الوطن
نظرا لغزارة علمه وكثرة تجاربه وظهورشخصيته ونحن على أبواب الاندفاع فى حرب
تعمل فيها الاسلحة عملها ثم تدخل المناورات السياسية والانتباه الفكرى تغذيها
زبدة التجارب الماضية ، تدخل هذه العوامل قبل النهاية الاخيرة للحرب وهى

التى تثبت المصالح وتقر الحقوق ، ولذلك فنحن نعول من هذه الناحية لثورتنا على زعمائنا القدامى وفى طليعتهم البارونى نظرا لما لهم من الخبرة والتجارب الماضية .

أربعة زعماء طلبنا من السلطات الفرنسية ونحن فى تونس استقدامهم ، فلم يحضر منهم الا واحد هو المرحوم عون سوف ، وهذا من الناحية الحربية والشجاعة والاقدام والاخلاص فى حرب الاعداء هو فى الذروة من زعمائنا ولا يجاريه فى ذلك أى منهم ، ولكن من الناحية العلمية والسياسية لم يكن كذلك ، ثم أن موت البارونى وصلنا فى أدق الظروف وأحرجها ، هذه هى العوامل التى جعلتنى أتلقى نبأ موت البارونى بعميق الحيرة والارتباك وفى مساء اليوم الموالى ليلا جاءنى الشيخ احمد بن زكرى وذهبنا معا الى الضابطين (بروفنصال ومنطان) ثم ذهبنا جميعا الى مطبعة هى التى ذهبنا اليها أول مرة وكتبنا منشورا جاء فيه نبأ موت البارونى وعندما بدأت فى كتابة المنشور قال لى الضابط قل سبب موت البارونى هو أن الايطاليين أرسلوا اليه أحد عملائهم فدس له السم فمات .

وحينما قال لى هذا الكلام توقفت عن الكتابة ، وسألته هل هذا صحيح ..؟ فتردد الضابط ((بروفنصال)) قليلا ثم قال مبتسما نحن فى حالة حرب وكل ما يفيد فى الحرب جائز، ومن هنا فهمت أن الموت كان طبيعيا ، والملاحظ هنا أن المنشورات كتبت باللهجة العامية الطرابلسية وقد ألقيت على الاراضى الليبية بواسطة الطائرات ، والغريب فى الامر هو أننى حينما عدت الى الوطن بعد انهزام ايطاليا فى السنوات ١٩٤٣ و ١٩٤٤ و ١٩٤٨م الى أن وقع اخراجنا منه فى مارس سنة ١٩٥٢م بصورة سيأتى تفصيلها فيما بعد .

ففى كامل هذه السنوات وانا افتش وسالت الكثير من المواطنين عن هذه المناشير عسى أن اجد واحدا منها لكى اضمه الى هذه الذكريات فما وجدت لها من أثر ، وهنا أود أن الاحظ بأننى بعدما نشرت حلقات على جريدة (الشعب) لصاحبها الاستاذ على مصطفى المسراتى واشرت فيها الى هذا المنشور ، وبينماكنت سائرا فى أحد شوارع طرابلس اذ استوقفنى احد الاخوان من الذين اعرفهم ومن الأصدقاء الصادقين وبعد تبادل التحية قال لى : ان المنشور الذى ذكرته فى ذكرياتك والذى قلت انك سالت عليه كثيرا فلم تجده ولم تجد حتى من وقع فى يده او حتى علم به .

ان هذا المنشور استطيع ان أفيدك عنه ، فاقول اننى رايته ووقع بيدى قلت وكيف ذلك ..؟ قال : لقد نودى على فى مركز البوليس الايطالى فى ذلك الوقت وأبرزوا الى ذلك المنشور بعينه وطلبوا منى ترجمته ، فترجمته لهم الى اللغة الايطالية ، وهنا قلت لصديقى المشار اليه اذا لا ترى مانعا فاكتب لى رسالة فى الموضوع لكى اخذها (بالزنكوغراف) واضعها فى كتاب ذكرياتى فكان جوابه لى بالايجاب ولكنه لم يفعل لحد الانتهاء من كتابة هذه الذكريات .





حينما التقينا فى الجزائرية سنة ١٩٤٠م عون محمد سوف ٠ و ٠ محمد توفيق الغرياني ـ رحمهما الله وكاتب هذه المذكرات اخذت لنا صورة ثلاثتنا معا ٠ فأخذ كل واحد منا صورة منها للذكرى فالصورة التى عندى قد التهمتها النار مع غيرها فى مناسبة ذكرت فى هذه الذكريات فاتصلت بالاخ احمد عون سوف عسى انتكون الصورة التى عند المرحوم والده موجودة ٠ فقال انه لم يرها أطلاقا ٠

وعندئذ اتصلت بأبناء المرحوم محمد توفيق اذ ربما توجد فى مخلفات والدهم فما وجدت منهم تجاوبا فى الموضوع ٠ ولذلك اكتفيت بالصورتين ٠ ولعلى أظفر بالصورة المطلوبة عند أحدهما فى مستقبل الايام وأتمكن من وضعها فى طبعة ثانية اذا كتب الله لى بقية من عمر فى دفتر القدر ، أرجو الله الاعانة والتيسير انه على مايشاء قدير ٠

وفى اليوم الثالث من اليوم الذى اخبرت فيه بموت البارونى وصل الى الجزائر السيدان (عون محمد سوف) و (محمد توفيق الغرياني) قادمين من القاهرة بطريق الجو عبر (السودان العربى : المصرى سابقا) والسودان الفرنسى سابقا أيضا ، وبينما أنا جالس فى الفندق أطالع (كتاب الدولة العربية المتحدة) اذ طرق باب الغرفة طارق ، ولما فتحت الباب وجدته (الشيخ احمد بن زكرى) وبعد أن تبادلنا التحية جلس ليقول لى : الجماعة وصلت وهما الآن بالمقهى ، وبما ان الحالة كانت متحرجة والبوليس فى يقظة والجوسسة منتشرة والحركة الوطنية الجزائرية تشغل بال الحكومة الفرنسية فقد نبهنى الشيخ أحمد بأن لا آتى بما يلفت الانظار حتى فى طريقة التحية يجب أن تكون عادية للغاية ، ولقد نهضت معه الى ان وصلنا قرب المقهى التى بها الاخوان فتخلف الشيخ وسرت لوحدى فوجدتهما جالسين فتبادلنا التحية صبقا للتوصية ، وبعد لحظة افترقنا ٠

وبعد أيام لا أعرف عدتها من وصول عون سوف ومحمد توفيق انتقلنا بأمر السلطة العسكرية الفرنسية الى داخل القيادة العامة ، ولقد خصصت لنا داخل نطاقها (فيلا) يحيط بها بستان متسع الاركان تعمره أشجار مثمرة كثيفة مختلفة الانواع ، والبستان مسيج بأشواك طبيعية وصناعية ، ومقر هذه القياده يقع الى الجنوب الغربى من مدينة الجزائر فيما يبدو لى وفى مكان يدعى (بن عنكوت) وهو احدى ضواحى العاصمة ، وكان رئيس هذه القيادة فرنسى هو (الجنرال نوجيس) وكان معه جنرال انجلزى فى نفس القيادة ، وقد كنت سجلت اسمه عندى ولكنه ضاع مع ما ضاع ، ومنطقة القيادة متسعة ومحاطة باسلاك شائكة ذات عرض وارتفاع كبيرين ولها مداخل معينة يحرس هذه المداخل جنود من الفرنسيين أنفسهم ، وهم فى منتهى اليقظة والانتباه ، ولا يخرج من هذه المنطقة أو يدخل اليها أحد الا برخصة خاصة .

وفى الفيلا خصصت لنا القيادة شيخا كبيرا اسمه (اعراب) وأظنه من قبائل (زواوه) وهو رجل وديع فى حوالى الخامسة والخمسين من العمر تقريبا نحيل الجسم قصير القامة ولكنه على غاية من النشاط وهو محافظ على الصلوات فى كامل المدة التى قضاها معنا ومهمته الشراء من المدينة ما يلزم وطهى الطعام وهو يدخل ويخرج يوميا برخصة خاصة ، وقد كنا نحن فى هذه الفيلا ندرس الطرق وأماكن المياه ومواقع القبائل ومواقفها وغير ذلك بواسطة خرائط عسكرية ومدنية وفرتها لنا القيادة .

وبعد أيام لا أتذكر عدتها بينما كنا جالسين ثلاثتنا اذ بالضابطين ((ليفى بروفنصال)) ((ومنطان)) فالاول يهودى فرنسى ، وهو رئيس المكتب السياسى فى القيادة . والثانى فرنسى صميم وهو قائد اسراب الطائرات فى المنطقة ، جاء هذان ومعهما الاستاذ (روفيى) والشيخ احمد بن زكرى وبعد جلسة قصيرة ومقدمة من الحديث طلبوا منا (والمتكلم منهم بروفنصال) تحضير كلمة مركزة يلقيها أحدنا فى الاذاعة ضد (الامير شكيب أرسلان رحمه الله للتشنيع بموقفه المنحاز لالمانيا واعتباره خيانة .

وبعد لحظة من تبادل النظرات فيما بيننا ، قال المرحوم عون سوف : غدا نجيبكم عن هذا ، والى هنا غادرونا جميعا وفى الليل تداولنا الامر ، وقد رأينا أن الاساءة الى شخصية هى من أعظم شخصيات العرب والمسلمين فى عصرها هى خيانة للقضية العربية العامة واهانة للقومية وضربة قاتلة لليبيين مهما كانت الظروف والمصالح ، وقال عون سوف : أن هؤلاء يريدون أن يضحكوا على ذقوننا ، ومن هنا حددنا الجواب الذى يجب أن يقال لهم ، على أن يبدأ بالرفض عون ، ثم يتبعه توفيق بالمبررات ، لان توفيق طلق اللسان غزير المادة جهورى الصوت بينما الاول يقول ما يريد ولا يبالى .

ومن الغد جاءوا أربعتهم وخرجنا أمام الفيلا ووقفنا فى دائرة ، وقال عون سوف أن طلبكم مستحيل علينا أن نفعله ، وهنا قال (بروفنصال) : من أين جاءت الاستحالة .. ؟ وهنا تدخل توفيق قائلا:أن شكيبا شخصية عربية اسلامية

معروفة فى جميع أنحاء العالم الاسلامى عربه وعجمه فان كلا منــا لا يؤثر فيــه تم نأ كلا منــا فيه يجعلنا سخرية فى نظر العرب وحتى فى بلادنا ، وفى اعتقادنــا ان هــذا ليس من صالحنا ولا من صالحكم ٠٠٠ الخ وهنا قال عون ســوف : أليس نفس الاسباب التى جاءت بنا هنا هى ذاتها التى دفعت شكيبا الى المانيا ان صــح أنحيازه اليها .

أفهل من المنطق أم من المعقول ان ناوم شــكيبا ونعذر انفسنا والناس يعــرفون كل شىء وأقول الحق انهــم لما ســمعوا هذا الكلام لم يجادلوا فيه ولم يلحــوا وانما تخلوا عن الفكرة نهائيا ، وبعد هذه المحاولة بأيام طلبت منا القيادة أن يســتعد . عون سوف فورا الى السفر . ولم تذكر لنا وجهة سفره ولكننا عرفنا الامر تلقــائيا ، عرفنا أنه اتجه الى قفصة : تونس لقيادة الثورة والزحف على الحدود والمــرحوم عون سوف تتوفر فيه الشجاعة والاخلاص والتدبير فى مجابهة العدو كما أنه أصغر الزعماء الليبيين فى القطر التونسى سنا اذ ذاك ، لذلك اختير لقيادة الثورة .

ولقد اســتعد المرحوم عون وســافر ليلا ملتحقا بتجمــع المهاجرين الليبيين فى منطقة قفصة من البلاد التونسية حيث تجمع ألوف من الاخوان استعدادا لحمــل السلاح والزحف على الحدود الليبية الغربية لاخذ الثار وتطهير الديار ولقد وصل فى اليوم الموالى لتلك الليلة الى حيث يتجمــع الاخــوان ومن غد يوم وصوله أخــذت السلطات العسكرية فى توزيع الاسلحة على المهاجرين المسجلين وأستمر ذلك لمــدة أربع ساعات وعلى حين غفلة وبدون سبب ظاهر أوقف التوزيع ثم أخذت تسترد ما وزعته دون أن تبدى أى سبب لهذا التراجع .



انهيار فرنسا أمام الزحف الهتلرى

بعد غياب ليلتين ويوم عاد الينا عون سوف فى صباح اليوم الثانى . ومن غد يوم رجوعه بينما كنا جالسين بعد الظهر نتساءل فى بعضنا ونتكهن عن أسباب العودة واذا بذلك الشيخ « الطاهى » (اعراب) قادم من المدينة كعادته لاحضار طعام العشاء . وقد كان وجهه على غير ماعرفناه . فبادرته بالسؤال عما فى المدينة من جديدفقال بلهجته الجزائرية : رأيت الناس يعودون الى مساكنهم ورأيت أصحاب المقاهى يجمعون كراسى مقاهيهم ويوصدونابوابهاوهم يرددون كلمة « لرمستيس ـ لرمستيس » وهى عبارة فرنسية تعريبها « الهدنة الهدنة » .

فهذا الخبر حل لنا لغز عودة عون سوف الى حد . ذلك لاننا لم نتصل بأىخبر من الجهات الرسمية ونحن داخل منطقة القيادة لا نرى أحدا ولا نسمع شيئا ، فصبرنا على مضض . وفى صباح اليوم التالى بينما كنا جالسين فى صالة «الفيلا» واذا بالاستاذ (روفيى) قادما ولما وصل بادرته أنا بكلمة خيرا (يامسيو روفيى) فأجاب بالعربية وباللهجة الجزائرية هكذا : « والله ماهو الخير والله غير واحد الشر » فقلت له ما شاء الله كان ، فقال متأثرا جدا : «والله غير للمان غلبنا وسلمنا » واعادها مرتين ثم غلب عليه البكاء وتهالك على كرسى كان امامه واخذ فى البكاء والنحيب حتى لقد خلته انه أغمى عليه .

ولقد خيم السكوت على الجميع لحظة ثم أخذ الاستاذ توفيق رحمه الله يلاطفه ويصبره ويقول له أن هذه المعركة بداية وليست نهاية وسوف تعود فرانسا الى ما كانت عليه وما الى ذلك من العبارات .ثم غادرنا واخذنا نحن نفترض الفروض للايام المقبلة . ولقد بتنا تلك الليلة فى حيرة وقلق شديدين عما سيئول اليه الامر ولم يدنو النوم منى فى تلك الليلة . وفى غمرة من الهواجس والتخيلات التى غمرتنى تلك الليلة حاولت أن اقول ابياتا من الشعر العربى لاصف بها وضعنا ذلك وحالتنا تلك ورغم محاولاتى الطويلة فلم استطع له وزنا ولا نظما . والواقع أننى لست بشاعر ولا بزجال ولكنها الظروف والمناسبات تدفع الانسان . وحيث لم استطع فحولت فكرى الى الزجل او الشعر الشعبى فقلت :

قعدت شهر فحكومت عمن جزاير	فى جنان مترادع وزربة داير
فى برج زين ارداعه	فرحان نرجا فالسفر بالساعة
عكس دارجانا وقتنا باوجاعه	صار صلح خل الفكر عندى حاير
انا حرت فى هل وقت كيف صراعه	لا تعرفه لا تجيبلاش اشاير
●	
لا تعرفه بصحيحه	لا تامنه لا تقول فيه مليحة
بالنقزوا تنقيز رجعت طيحة	وبنخلصوا الواحل وحل الغاير
وبالروحوا للبر ولت ريحه	عدونا كسب ليام فيه اتساير
●	
يا بجاد منهو يقرا	وكل من ركع خاضع الحكم القدرة
وكل من حفظ حامل كتاب افصدره	على نصرنا اجينا الخبر بشاير
من شرق وطنى ارسموها حضره	تبدأ الزنانير ظاهرى وجفاير

العــودة الى تونس

وهكذا فقد قلت تلك الابيات وأرسلت بها الى الاخوان فى تونس كى يعلموا بالامر. وقعت الهدنة على نفوسنا وقوع الصاعقة او اشد وقعا ، تلك الهدنة التى تم توقيعها يوم ٢٢ يونيه ١٩٤٠ م فيما أتذكر . ثم تلتها الهدنة مع ايطاليا وتم توقيعها يوم ٢٤ أو ٢٨ منه . وبذلك فقد انهارت القوات الفرنسية ، وبانهيارها انهارت آمالنا فى ثورتنا وماتت فى المهد قبل أن تظهر لعالم الواقع العملى ــ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ــ صدق الله العظيم .

ولقـد تغيب عنا الضبـاط وغيرهم بعـد هذا الحدث أياما لا أدرى عدتها . ثم جاءنا أحدهم وقال لنا : الان يجب أن تسرعـــوا بالسفر كل منكم الى حيث يشاء بالسرعة الممكنة لاننا نخشى عليكم من الاعداء. وقد أصبح وضعنا كما تعلمون .وهنا قال المرحومان «عون . وتوفيق» أن مدة تاشيرتيهما قد انتهت فيجب تجديدهما . ذلك لانهما جاءا من (مصر) بتأشيرتى ذهاب واياب فطلبا من الضابط تجديدهما .

اما انا فبعدما تفاهمت مع الاخوين « عون وتوفيق » على الذهاب معهما الـى مصر . وقد شجعنى على ذلك « الاستاذ توفيق » مع اننى كنت اكره العودة الـى تونس . ذلك لان تونس اصبحت بعد الهدنة تحت رحمة الايطاليين او ذلك ما كنت أتخيله وانا مهدد من طرفهم كما ذكرت فى اول هذا الكتاب . ولذا فقد طلبت مـن الضابط الفرنسى أن يهيىء لى السفر الى مصر فقبل ذلك وجهز لى وثيقة سفـر وجاءنى بها الضابط وقال لى هذا اسمك وهذه بلدك التى ولدت بها فاعرفهما جيدا ــ ذلك لانهم اطلقوا على اسم جديد . ومكان ولادة فى احدى قرى الجزائر . وبعد ذلك اخذ الضابط جوازى سفر « عون . وتوفيق » ووثيقتى وراح بهما الى السفارة البريطانية لاخذ التأشيرات لدخول مصر . فطلبت السفارة المذكورة مهلة ٢٤ ساعـة لـكى تستشير مصر برقيـا لان مصر مستقلة داخليا . ولقـد كانت عملية تسـليم الجوازات فى الساعة الرابعة بعد الظهر تقريبا فكان من الضرورى ان ننتظر الموعد.

وفى خلال هذا الانتظار حدث مالم يكن فى حسباننا : ففى الساعة العاشرة من صباح اليوم الموالى ليوم تسليم جوازات السفر اطلق الاسطول الانجليزى النار على الأسطول الفرنسى فدمره تدميرا . وذلك انه على أثر وقوع الهدنة تقـــدم الاسطول الانجليزى الى مرسى الكبير (بوهران)حيث تجمع ما بقى من الاسطـول الفرنسى ــ وانذر الاسطول الاول الاسطول الثانى ان يتبعه أسيرا او يضطر لنسفه. وقد حدد له فترة قصيرة من الوقت ليقـرر فيها مايراه . وبما ان فرنسـا بما فيها الجيش بانواعه البرى والبحرى والجوى والشعب ذاته قد انقسم على نفسه فقسم أتبع حكومة (فيشى) التى تولت الحكم على أساس الهـــدنة تحت زعامة الجنرال « بيتان » وقسم تعلق بموقف الجنرال « ديجول » الذى واصل الحرب فى صفوف الحلفاء لتحرير بلاده . وانقسم الاسطول الفرنسى فتحرك قسم منه ملتحقا بالاسطول الانجليزى وهو بذلك منحازا الى الجنرال « ديجول » وبقى القسم الذى انحاز الى

حكومة الجنرال « بيتان » وحلت الساعة الموعودة . واطلق الاسطول الانجليـــزى صواعقه على هذا القسم فدمره وبذلك فقد حوصرت السفارة البريطانية فى الجزائر وفى الوقت المحدد جاءنا الضابط وأعلمنا بما حــــدث . وقال ان التأشيرات الان أصبحت مستحيلة . وهنا قال لى المرحوم «عون سوف » نحن خرجنا من مصـــر فنستطيع العودة اليها ونتحمل مسئولية التأخير مهما كانت . أما انت فســـوف لا يسمحون لك بالدخول عندما تصل الى حدود مصر أى : حدود السودان المصرى (السودان العربى اليوم) وبذلك تضطر للبقاء هناك مدة قد تطـول حتى نصل نحن القاهرة ونجرى اتصالات ومساعى لدى المسـئولين والظروف كما تعرف . لذا فاننى أرى أن عودتك الى تونس أفضل وهى الطريق السليم .

وهكذا فقد عدلت عن الذهاب الى مصر وعدت الى تونس بنفس الطريق التـى جئت بها الى الجزائر وقد وصلت الى تونس يوم ١٢ يوليـه ١٩٤٠ م . أما المرحومان « عون وتوفيق » فقد غادرا الجزائر فى طريق العودة الى مصر عبر الصحـــــراء الجزائرية على سيارة بطريق البر يصحبهما ضابط فرنسى ، ذلك لان الطائرات الفرنسية أصبحت بمقتضى الهدنة لا يمكن لها التحرك من أماكنها اذا كان لا يـزال لفرانسا طائرات .

اما انا فحينما وصلت الى تونس قصدت من المحطة رأسا « مقهى مودلياني » الكائنة « بنهج الصادقية » بتونس اذ ذاك . حيث كنا نلتقى فيها مع بعض الاخوان عسى أن أجد بها أحدا حتى أعرف منه ما جد فى البلاد فى مدة غيابى . وفى طريقى الى هذه المقهى التقيت صدفة بالاخ عمر مالك الغدامسى وكان اذ ذاك شابا نشيطا مندفعا بحماس . وبعد تبادل التحية قلت له . انا أود الذهاب الى السفــــــارة البريطانية فاستحسن الامر وقال أنا أذهب معك .

تركت حقيبتى فى المقهى المذكور وذهبت الى السفارة المذكورة يصحبنى عمــر مالك وطلبنا مقابلة السفير . فقابلنا شخص لا أدرى أن كان هو السفير أم غيـــره لاننى لم يسـبق لى معرفة بشخصية السـفير . ولكن يبدو من مظهره وكلامه انه هو السفير . دخلنا فى حديث كمقدمة يتعلق بانهيار فرانسا وما حدث لنا فى الجزائر وافهمته اننى عائد من الجزائر فى هذه الساعة ولا زلت لم أصل الى منزلى بعد . ثم دخلنا فى الموضوع . فقلت له ان اخـواننا الذين جمعناهم للثورة لايزالون مجتمعين ونحن على استعداد للمضى فى تنفيذ خطتنا الثورية برغم ما حدث فاذا كان فـــى امكان بريطانيا تزويدنا بالاسـلحة ولو بطريق الجو فى نقطة من الصحراء نتفق عليها ونحن نستطيع اجتياز الحدود بوسائلنا الخاصة حتى نصل الى مكان الاســـلحة وبعد ذلك نعرف كيف نبدأ الثورة .

فاذا وافقتم على ذلك فاجروا اتصالاتكم وحينما تحصل الموافقة أعلمونا لنرسل عناصر من اخواننا خبراء الصحراء كى يتواجدوا فى المكان الذى نتفق عليه ليتلقـوا الأسلحة . ثم نأخذ فى اجتياز الحدود ونبدأ عملنا . والجدير بالملاحظة هو انه عندما كنا نتكلم ونبحث مع هذا الشخص فى موضـــــوع استسلام فرانسا وثورتنا وهو

يصغى الينا باهتمام وانتباهواضحين وفى نفس الوقت كان يداعـــب قضيبا . او سبيكة يظهر للناظر انها من الذهب بين أصابعه وكان طولها عشرة او خمسة عشرة سنتيمترا تقريبا .

وبعدما انتهينا قال لنا ان السفارة البريطانية الان محاصرة وليس فى امكانها اى عدل ولا اتصال فشكرناه وودعناه . ولما خرجنا من المبنى اى مبنى السفـــارة قال لى الأخ عمر مالك أرأيت كيف يداعب الذهب .. ؟ فقلت نعم ولـكن هل عرفت ماذا يعنى بذلك .. ؟ فقال نعم وكانه يقول لنا انتظروا فان الغلبة ستكون للذهـب فقلت لعله يعنى ذلك .



فترة من الركود المؤقت

وهكذا فلم يبق لنا بعد ذلك السعي أي عمل في ميدان قضيتنا الا انتظار المستقبل وما ستأتي به الايام والليالي من الاحداث . عدت بعد ذلك الى منزلي وبدأت فيكتابة رسائل لبعض الاخوان في مختلف جهاتهم شرحت لهمفيها كلماحصل في موضوعنا ثم طلبت اليهم أن لا يتركوا لليأس طريقا الى نفوسهم . فان الليالي من الزمان حبالى كما يقولون ، فان في المستقبل من الاحداث والتطورات مالا يخطر على بال قد يكون فيها مصلحة وطننا .

وكما انني قد اشرت عليهم بدوام اليقظة والانتباه لانه كما ان لنا في المستقبل آمالا فيجب أن لا ننسى أنه لنا في طريق هذا المستقبل اتعاب وأخطار . ولكنني أعتقد ان النهاية ستكون في صالحنا باذن الله . كما أشرت على بعض الاخوان بأفضلية الانتقال من اماكنهم الى أماكن أخرى والانزواء الخفيف عن الناس ما امكن .

اجل فبعد وقوع الهدنة المتقدم ذكرها والتي وقعت ونحن في الجزائر وبعد عودتي الى تونس والنتيجة السلبية من وراء مقابلتي السفارة البريطانية لم يبق لنا الا الاعمال العادية التي تتطلبها الحياة الخاصة في انتظار ما ستلده الليالي وتبشر به الايام من تطورات في الحرب . ولقد كنت على أمل قوي في النتائج التي ستسفر عنها هذه الحرب اذ انني كنت من الذين لا يؤمنون بانتصار المحور . وان اعتقادي هذا لم يكن نتيجة عاطفة ميول لجهة دون أخرى ولا هي نتيجة لكراهية المحور بسبب وجود عدوتنا ايطاليا في صفه . لا . والله وانما كان اعتقادي هذا مبنيا على أشياء أعتقد أنها وجيهة ومعقولة.وهذه الاشياءالتياقنعتني بخسران المحور فيالنهايةهي:

أولا ـ اتساع رقعة العالم الذي يحاربه المحورهذاالاتساع الذي سيؤدي الى تشتيت القوى المحورية وبالاحرى الالمانية حتى تعجز عن المجابهة .

ثانيا ـ أمريكا لا يمكن أن تتخلى عن بريطانيا مهما كلفها الامر . ومعامل امريكا بعيدة عن أخطار الحرب بينما معامل المانيا هدفا للدمار .

ثالثا ـ المناعة الطبيعية للجزيرة البريطانية وما يتصف به الانجليز من قوة الصبر وعظيم الاحتمال والدهاء السياسي وعمق الخبرة الاقتصادية .

رابعا ـ المقاومة السرية في الاراضي المحتلة وقد بدأت في فرانسا ولا بد ان تنتشر في كل مكان بين شعوب راقية ولهـا من الكبرياء والمجد مالا يسمح لها بالرضوخ لحكم الاستعباد والمذلة وفي الطليعة الشعب الفرنسي العظيم .

خامسا ـ اندفاع الروس في صف الحلفاء بصرف النظر عن الاسباب الدافعة . مع بعد اليبان عن أوروبا وضآلة المقدرة الحربية في ايطاليا .

هذه العوامل مجتمعة هي التي بنيت عليها تفكيري والتي جعلتني أشعر بعدم انتصار المحور مهما بلغ من القوة والانتصارات المؤقتة . وان جميع الاخوان يعرفون عني ذلك الراي حتى أن احدهم قال لي يوما ونحن نخوض في موضوع الحرب

ونتكهن بنتائجه المقبلة فقلت لهم لا بد من هزيمة المحور في اخر الامر . قال لي «انت تعيش في خيال » وقال لي الاخ محمد عباس وفي مناسبة أخرى: فبماذا تعتقد في انتصار الحلفاء : بالضربات التي يتلقـونها الواحدة بعـد الاخرى أم بأطارهـم التي احتلت .. ؟ بماذا .. ؟

وبعد تلك الاحداث حلت لجان مراقبة الهدنة الايطالية والالمانية طبقا لشروط الهدنة وقد تمركزت في عدة اماكن من القطر التونسي ففي هذه الظروف المخيفـة بالنسبة لنا ونحن في دوامة من القلق والتفكير . وقد مرت مدة طويلة بالنسبة لمـا تعودناه من الاتصال ببعضـــنا لم تصلني أية معلومات من الاخ محمد عباس . لذا فقد كتبت له الرسالة التالية :

ونظرا الى ما توحي به هذه الرسالة من واقع حالتنا النفسية في تلك الظروف والى ما أشرت اليه من ثرثرة النشرة الدعائية الايطالية . وغير ذلك فقـــد رأيت أن أثبتها كما هي . وفيما يلي نص الرسالة :



رسالتى الى ابن عباس



بسم الله الرحمن الرحيم

الكرم فى ٢ رمضان المعظم ١٣٦٠ هـ

حضرة الاخ الكريم الصادق سيدى الشيخ محمد عباس حفظه الله واطال فى العز والصحة بقاءه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أخى العزيز انتظرت جوابكم لمدة طويلة فلم أحض به فأخذ منى التفكير مأخذه ، فتارة أتصوركم فى غضب لا اعلمه ، وهو شىء ممكن وقوعه وتارة أراكم منكسرى الخاطر لا تحلو لكم الكتابة ولا يطاوعكم القلم ولا تجدون ما تقولون بسبب معادات الظروف لنا وتبلبل الاخبار وغموض المستقبل وغير ذلك مما يجعل الانسان عرضة للسآمة والانزواء .

ومعلوم أن البعيد لا يدرى ، فبينما أنا فى هذه الدوامة ، اذا بساعى البريد يناولنى رسالة وبمجرد نظرة الى العنوان بدا لى وجه ابن عباس فى خطه ... وكم كان سرورى عظيما حينما علمت أن حالة أخ كريم عزيزوصديق مخلصفى صحةجيدة فحمد الله على ذلك ولقد بينتم فى كتابكم هذا ماأنتم عليه من القلق وضيق النفس من جراء الأحوال التى ناصبتنا العداء منذ بدء الغارة الايطالية على وطننا وقهر شعبنا وتشتيت شملنا .

ومقابل ذلك فقد بينتم الوسائل التى تتلهون بها الترويح عن النفس ولو مؤقتا ، من تصرفات الظروف القاسية المعادية ، وما يهاجمكم بسببها من التخمين والهواجس السيئة ، وأنا معك فى هذا لاننا مصابون فى وطننا وفى كرامتنا وفى اخواننا وعشائرنا ، وما هى حقيقة الوطن ياابن عباس .. ؟

أليست هي مال وبنون وعشائر أصولها متصلة . وفروعها مرتبطة بالقرابة والمصاهرة . ومساحات من الارض سميت وطنا ، وفطر الله الناس على حبها يدفعـــون فى سبيلها أعز ما لديهم المـال والروح ..؟ ولهذه الاشياء فى النفوس شأن وأى شأن.

وهذا ما جعلنى أعـدد العوامل المتراكمة التى تحـز فى النفس وهى كثيرة ، فوقوع الهدنة بعد أن أستدعينا للعمل كانت صدمة نفسية لها تأثيرها ، وعدم تمكنى من الذهاب الى مصر من الجزائر لاسباب ذكرتها لك سابقا . ولقد زادنى المـا على ألم ذلك الخبر المفجع المخيف الذى فوجئت به : موت الباروني – وتراجع السويحلى – وعدم الاتصال بالسعداوى – ورجوعى مكرها الى تونس – كل هذه الاحداث تطيرت منها يا بن عباس ، مع أننى أكره التطير والمتطيرين ولكننى من وقوع هذه الاشياء فى وقت واحد وفى ظروف غير عادية تطيرت فعلا ذلك لاننى رأيت فيهـا بوادر تنذر بظروف سيئة أرجو الله تعالى أن يخفف من شرها ويقصر مداها ،
وأخيرا جاءت ثالثة الاثافى وهو أنه فى المدة الاخيرة أخذت الحكومة الفرنسية بتونس فى جمع ما يسمونه فى عرف الاستعمار ((بالمتشردين)) من التونسيين لارجاعهم الى مواطنهم الاصلية ، ولقد جمعوا فيما جمعوا من الاخوان الليبيين ، وما كان يخطر ببالنـا قط أن فريقا من الذين كانوا من مدة غير بعيدة مادين أيديهم لاخذ الاسلحة والوقوف فى وجه عدو الجميع مع معسكر الحلفاء يقع اليوم ارسالهم مـرغمين الى عدوهم ، ولكن وقع هذا فعلا .

ولتأكيد هذا الخبر أثبت اليك ما جاء فى رسالة تلقيتها أخيرا من أحـــد الاخوان فى الموضوع ، يقول فيها ما يلى : ... ما هذه الفعلة النكراء من الحكومة الفرنسية ؟ وما سبب هذا الاهمال منكم . ؟ فقد لاتعلمون أن قافلة تربو على الخمسة والسبعين نفرا بين رجال ونساء وأطفال جيء بهم من تونس الى (بنقردان) ولم يمهلوهم الا بقدر ماأكلوا خبزهم . فما هو عذركم يا أخى .؟ أننا نشارك اخواننا حزنهم ونأسف لذلك الاجراء شديد الأسف كما اننا نخشى على أنفسنا مستقبلا . فاذا كان قد أذنب أو اجرم هؤلاء الاخوان فنحن نرضى بالمحاكم التونسية أو الفرنسية على السـواء ، واذا وجب أبعادهم ففى القطر التونسى متسع لايوائهم ولانرى مبررا لما وقع وعليه أعلمناكم ..

كل هذه عوامل ذات تأثير شديد على النفس ، ثم اننا تعبنا كثيرا وبذلنا بسخاء ورغبة فوق طاقتنا وبدون شك أنه ما كان يؤلمنـا ولا يهمنا كل ذلك لو كتب النجـاح لأصحابنا ، لاننا ربطنا مصيرنا بمصيرهم حتى ندخل بلادنا وفى ذلك ما ينسينا كل الاتعاب . ولـكن شاءت الاقـدار أن تصـل الى مانحن فيه ، وان كانت هـذه حالة مؤقتة وأرجو من الله أن لا تطول ، وأرجوه جل شانه أن يعوضنا خيرا انه على مـا يشاء قدير ، وأرجوا من الاخ ان لايسـتنتج من كلامى هذا اننى فى حالة يأس أو فتـور أو فتور كلا ، والله فاننى سأبقى دائما على ماعرفتنى مادمت حيا باذن الله وتوفيقه .

وقصارى القول انكم هناك قد تجـدون تسلية تروح عن النفس بعـض مابهـا ولو مؤقتا فى هذه الايام الراكدة بالنسبة لنـا وحتى بعدكم عن مجتمع المـدينـة القلق فيه راحة ، أما أخوكم هذا فقد أزداد قلقه وتضاعفت حيرته وما اظنك يا بن عباس تعلم تمامـا ما أنا عليه أو تحيط بما أنا فيه من أراجيف الاقوال ومناورات

السياسة والمجتمعات المشتتة الاتجاهات المختلفة الاراء والغايات ، فأنا أعيش فى يقظة وحذر شديدين .

وأخيرا حدث شىء جديد هذه الايام أود أن أحيطك علما به ، وهو أن الايطاليين قد اغتنموا الفرصة فى هذه الظروف وأخذوا يوزعون نشرتين ، ولا أدرى ان كانتا مطبوعتين جاهزتين من قبل وحل ظرف التوزيع الان ، أم طبعت من جديدنشرتان احداهما مصورة والثانية غير مصورة حسبما قيل لى لاننى لم أظفر الا بالمصورة وبواسطة أحد الاخوان ، حيث التوزيع بواسطة تاجر ايطالى فى هذه المنطقة .

وهذه النشرة المصورة تحتوى على ١٢٤ صفحة وعلى ورق صقيل وطبع نظيف جميل ، وعنوانها هكذا :

« أعمال ايطاليا فى سبيل مسلمى افريقيا الايطالية »

ويؤخذ من تعابيرها ولهجتها بأنها قد كتبت بأيدى عربية وبها نحو من خمسين صورة لمساجد ومدارس فى ليبيا منها ماقالت انها أصلحته ومنها ماادعت انشاءه وفيهاالكثير من التلفيق والتضليل ، وعلى كل فها أننى أنقل اليك فقرات منها يهمنا الاطلاع عليها جاء فى الصفحة الخامسة منها مايلى : (.. وانه فى ليبيا قد أعطت ايطاليا الدليل القاطع على انها دولة اسلامية ، وليبيا من البلاد الاسلامية البحتة التى أثبت أهلوها منذ قرون شممهم وانفتهم واشتهروا بمغامراتهم الحربية العنيفة وشدة مراسهم وقد كانت تمثل ميدانا خطرا للعمل لدولة ترغب فى التوفيق بين حقوقها وواجباتها ..)

وفى نفس هذه الصفحة ان الحكومة الايطالية قد حلت فى حماية الدين الاسلامى لليبيين محل الطريقة السنوسية التى لم تتمكن يوما من اكتساب ثقة الشعب الليبى حتى ولا فى الظروف الاكثر موافقة .»

وجاء فى الصفحة الثالثة عشرة ما يلى ... وقد قضى على نشاط المطرودين الليبيين الذين صاروا نفرا قليل العدد لا نفوذ لهم ولا أتباع ، أما الاصوات التى لا تزال ترتفع الفينة بعد الفينة فى بعض الجرائد من وراء ستار منكرة الحقيقة الراهنة ، وجاحدة الأعمال المجيدة التى تقوم بها ايطاليا نحو رعاياها المسلمين ستستمر بلا صدى حتى تبح . وأخيرا استشهدت النشرة بما كتبه الامير شكيب ارسلان ابان حرب الحبشة ...) .

وجاء فى الصفحة نفسها ما يلى (وقد يكفينا أن يلقى المرء نظرة فاحصة على حياة وشئون الرعايا تحت سلطة ونفوذ الدول الغربية الاخرى ، فاذا ما التفتناالى الجزائر مثلا رأينا ثورة موقدة وعصيانا مستحكما وجورا عاتيا وطغيانا شاملا أخذ حده الأقصى عند مقتل مفتى الجزائر وعند العدوان الذى وقع على حياة مفتى (قسنطينه) ، واذا ما اتجهنا نحو مراكش وتونس نرى اضطرابات وقلاقل سياسية مختلفة الالوان والصور تتنازع بين النزعة الوطنية والشرعية ، وان أدرناه صوب ((سوريا)) نرى فيها سلسلة مشاكل ذات صبغة داخلية ودولية استعصى معها تحويل السلطة الانتدابية الى سلطة محلية ، واذا ما حولناه من جهة أخرى نحو فلسطين رأينا ثورة العرب ضد الصهيونية وضد الانجليز لا تزال مشتعلة رغم القمع الشديد ...) .

(أما ليبيا فانها وحدها دون غيرها من سائر البلدان الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط تنعم الى حد فى الهدوء والسكينة والسلام والطمأنينة) انتهى كلام النشرة . هذا ما عندى الان كتبته اليكم وأرجوا أن يصلكم وأنتم جميعا بصحة جيدة مع الرجاء فى عدم تأخر جواباتك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص - أحمد زارم ٢٢ سبتمبر ١٩٤١ م

وتعليقا عما جاء فى اخر الرسالة المنقول من النشرة الايطالية الانفة الذكر ، أقول - اليوم وقد تغيرت الظروف وزلزل الاستعمار وانهزم أعوانه ورحلت رواسبه وتطهرت الديار بقدرة قادر جبار ها قد عاد المطرودون ورفع الستار عن أولئك الذين يتكلمون فى الماضى من ورائه الفينة بعد الفينة أقول هذا للذين كتبوا تلك النشرة والذين وزعوها فلعل منهم من لا يزال على قيد الحياة . أقول لهم أنكم اليوم قد انتهيتم كلكم ومن لم ينتهى حسيا فقد انتهى معنويا وجميعكم الى غير رجعة ولا ذكر جميل .

أما أصحاب تلك الاصوات التى كانت ترتفع الفينة بعد الفينة والمطرودين فهاهم قد عادوا الى الوطن ورؤسهم عالية ومنهم من قضى نحبه والتحق بالشهداء المجاهدين ومنهم من ينتظر ولم يتغيروا ولم يتبدلوا فى مواقفهم ، ولن يتبدلوا أبدا حتى يلتحقوا بمن سبقهم من المخلصين الصادقين وعند الله تجتمع الخصوم يوم تشهد الايدى والارجل وكل الحواس بما كانوا يعملون * والله ولى الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . صدق الله العظيم

وفى فترة من هذا الركود والضيق النفسى بسبب هذه الظروف الاليمة جاءنى المرحوم (محمود العيادى) ليقول لى انه فى حالة اضطراب نفسى شديد . وطلب منى أن نذهب الى ابن عباس لنمضى عنده يومين أو ثلاثة عسى أن يخفف عن نفسي هذا الكابوس بعيدا عن لغط المدينة الموبوءة بالاراجيف ، فاجبته لذلك ركبنا القطار من تونس وحينما وصل محطة الكريب حيث يسكن الاخ عباس ، وعندما نزلنا من القطار رأينا اناسا فى مجموعتين أو ثلاثة تسير متتابعة وراء بعضها متجهة الى القرية التابعة ((للهنشير)) أى المزرعة التى يملكها (الحاج مبارك بن تواتى الدريدى) .

ولقد تبادر لى أن تلك المجموعات هم عمال المزرعة كانوا فى عمل ما ، فأتموه وهم عائدون الى مساكنهم وبعد حصة فى المحطة جاءنا الاخ (سليمان حسين القصبى السراتى وسار بنا الى منزل الاستاذ محمد عباس ، وقد وجدنا هناك أحد الاخوان الليبيين اسمه (الساعدى) ولا أعرف من أى قبيلة هو ، وقد ظننت أن وجوده فى زيارة كزيارتنا ولقد أقمنا فى ضيافة الاخ محمد عباس ثلاثة أيام بلياليها فى راحة وسرور وأنواع من الطعام والبسط وذكريات عن الماضى وتفكير فى الحاضر والمستقبل ولم نشعر بأى تغيير فى الجو اطلاقا .

وما كنا ندرى أن تلك المجموعات التى رأيناها تسير متتابعة يوم وصولنا كان من بينها الاخ عباس وهى عائدة من المقبرة حيث أودعت بها الابن الوحيد للاخ عباس وما علمت بهذه الوفاة الا بعد مدة طويلة حينما جاءنى الى تونس فسألته عن أحواله ثم سألته عن ابنه فذكر لى الامر بالتفصيل ذكرت هذه القصة لما تنطوى عليه من معانى الرجولة وكرم الضيافة وقوة الصبر والاحتساب وانه فى الحقيقة لصبر أيوب واحتساب الصالحين وانها لرجولة ما رأيت لها مثيلا ولا سمعت لها نظيرا فيما رأيت وسمعت من الاقاصيص .

نزول الجيوش الأمريكية بالجزائر
وجيوش المحور فى تونس

ففى يوم من ايام منتصف شهر نوفمبر فيما أتذكر وكان يوم (أحد) وهو يوم الراحة الاسبوعية فى تونس للجميع « وهى عادة متمكنة من رواسب الاستعمار » ففى هذا اليوم من ايام شهر نوفمبر من سنة ١٩٤٢ كنت فى نزهة مع اثنين من الاخوان الليبيين هما « مسعود محمد كعرود » «وأحمد محمد البكوش» وهما من عمال الشركة التى أعمل بها : (شركة المياه) كنا فى نزهة للتخفيف عن أنفسنا من عناء العمل والتحدث عن أوضاعنا ومستقبلنا بعيدا عن الاسماع « بقمرت » وقد جلسنا فى مرتفع من الارض يشرف على البحر الممتد من « المرسى الى أقرب نقطة من ايطاليا » وقد كانت جلسة رتيبة هادئة أبعدتنى لحظة عن التفكير المتعب للحواس المضنى للنفس الذى كان يسيطر على مشاعرى ليلا ونهارا فى تلك الظروف المقلقة وهذه الراحة الفكرية كانت بفضل تلك المنطقة الجميلة ذات المناظر الخلابة فهى شبه جبلية . منظر البحر وامتداده وزرقة مياهه وسعة السماء من فوقه وارتفاعها . وطبيعة تلك الارض ذات النبات الاخضر من أنواع الزعتر وغيره . وانتشار رائحته فى ارجاء المنطقة والناس على شاطىء البحر بين سابح ومضطجع ، كل هذه تبعث فى النفس عظمة الخالق وقدرته .

وقد كان الوقت بعد الظهر ، وفى حوالى الساعة الرابعة تقريبا بينما كنا فى ذلك الجو اللطيف واللحظة المريحة بفضل ما تقدم وصفه . اذ رن فى اذاننا صدى طلقة مدفع . ولم نر مكان الانطلاق . وأخذنا نجول بأنظارنا يمينا وشمالا فى سماء تلك المنطقة . واذا بسرب من الطائرات يتكون من ثلاثة . يبدو انها آتية من جهة ايطاليا فى اتجاه تونس . ثم تلاه سرب اخر بنفس العدد . وقد استغربت من وجود طائرات فى سماء تونس . مع ان الهدنة قد منعت الطيران الفرنسى من أى حركة هنا اذا كان لا يزال لفرانسا طيران .

اذن فما هو سبب وجود هذه الطائرات السابحة فى أفق تونس .. ؟ ولقد وصل السرب الثانى وأصبح فوق رؤوسنا . وأخذت أتأمل فى هذه الطائرات لعلى أعرف هويتها . وهى تسير سيرا بطيئا مثقلا كأنها تحمل أثقالا أكثر من حمولتها الامر الذى ذكرنى بتلك الأبيات التى قالتها « زينوبيا » ملكة تدمر قديما بمناسبة مؤامرة دبرت للقضاء عليها حيث قالت حينما رأت الابل محملة وهى تسير سيرا بطيئا بحمولتها فضمنت بها الظنون وقالت :

ما للجمال سيرها وئيدا   أجندلا تحملن أم حديدا

ولقد صدق تخمينها فلقد كانت الابل محملة برجال بأسلحتهم ليدخلوا المدينة بعنوان حمولة تجارية . ونفذت الحيلة وكانت نهايتها أن انتحرت الملكة مسمومة — تذكرت هذا البيت حينما رأيت الطائرات فى الشكل الذى تقدم ذكره . وبعد لحظة من التأمل رأيت مرسوما عليها « الصليب المعكوف » وعندها شعرت بأن وضعى قد تحرج وساورنى شىء من القلق والاضطراب . وفكرت لحظة ثم تركت الاخوين اللذين

كانا معي وعدت الى « المرسى » ومنها أجرت دراجة ذهبت عليها فورا الى (مطـــار العوينة) حيث مطار تونس الدولي ٠

وصلت مطار العوينة وقد وجدته يموج بالجيوش الالمانية والايطالية والطائرات تصل تباعا وتنزل الاسلحة والجيوش بسرعة خاطفة فتأكدت بأن الحالة قد أصبحت خطرة وانه يجب علي ان أعود الى منزلي وأفـكر ماذا ينبغي لي ان أفعـله ٠ عـدت الى البيت بصورة هادئة حتى لايتنبه والداي للامر وعزمت علي الاختفاء ٠ وبهـدوء أخـذت « حولي » وضعته في قفة وخرجت من البيت كأنني ذاهــــب الى السوق لشــراء ضروريات منزلية وقصدت محطة « الرتل الكهـــــربائي » وقد اصطحبت معي الاخ « محمـد » « بالفتح » علي العرضـاوي » وهو من أخلص جماعتي وأنشـطهم ونزلنـا الى تونس ٠ قصدنا منزل المرحومين « صالح الباسي العروسي » و « محمود العيادي » ومن الغد أرسلت الاخ محمد المذكور الى ضابط فرنسي كنا نعرفه من قبل ليسأله اذا كانت لديه أي وسـيلة اســـتطيع الخروج بها من تونس الى أي جهـة ٠ وعاد العرضاوي ليقول لي : أن الضابط الفرنسي يقول أنهم أي الفرنسيون أعجز عــن الحركة والوسيلة ٠ وهنا سلمت الاخ « محمد علي العرضاوي » اشياء يجب تركها في البيت ومفاتيح كانت معي وأوصيته بأن يسلمها الى والدي ويعلمه بطريقة غير مفاجئة بحركتي ويطمئنه ٠

وفي تلك الليلة في منزل الاخوين المذكورين جاء بعض الاخوان التونسيين حينما سمعوا بوجودي وهم مجموعة من ذوي الدراية والعلم ٠ ومنهم علمت ان سبب نزول المحور بتونس هو نزول الجيوش الامريكية في الجزائر وهي زاحفة في طريقها الـى تونس ٠ وفي تلك الليـلة أوصــيت المرحوم « صــالح العروسي » بأن يفتــش لي عن واسطة يمكن لي الخروج معها ٠ أما أنا فلم أبرح المنزل ٠ وعاد الاخ صالح رحمه الله الى البيت ظهرا ليقول لي توجد « كريطة » أي « كاراطون » يجره حصان واحد سيخرج بعد ظهر اليوم الى « الفحص » ٠

هجرة بعد الهجرة

ففى آخر النهار من يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٢ ركبت هذه العربة « الكــاراطون » من اسطبل بنهج سيدى البشــير فى تونس • وكنا علـى هذه العربة ثلاثة من العــرب وشاب ايطالى من الفلاحين وصاحب العربة وهو عربى أيضا • فكان مجموعنا خمســة أشخاص • لم تسبق لى معرفة احد منهم • الا ان واحدا من هؤلاء عرفت لقبه مــن مكالمة أصحابه كانوا ينادونه (يالبيض) ولم يكن هذا اللقب مأخوذا من أسماء ضداد •

ولبيض هذا مهنته يشترى الملابس المستعملة من العاصمة ويبيعها فى مختلف أسواق البادية • وقبيل غروب الشمس تحركت بنا العربة من (نهج سيدى البشير) ولما وصلنا آخر المدينة فى مكان يسمى « زيتون الجـــربى » وجدنا البلاد مطوقة والطريق مقفلة بأعمدة كتلك التى تضــع فى الحـدود بين بلد وآخر عادة • وعليهــا أيطاليون من الجالية الايطالية بتونس يتكلمون العربية الدارجة كاهل البلاد يتحرون عن الداخل والخارج • ولما رأيتهم ايقنت باننى قد وقعت فى الفخ • وقلت فى نفسى ذلك المثل التونسى العامى « وقفت الزنقة بالهارب » •

وقف الكاراطون وراء صف طويل من العربات حتى جاء دورنا فتقدمت عربتنا وعندها وقف الايطالى الفلاح الذى كان معنا • وقف وسط العربة ورفع يده بالتحية الفاشية دون كلام وهنا قال له الايطالى المسئول « توباصه » هكذا بالايطالية ثم نهض احد الركاب العرب وقال بصوت عال مخاطبا المسئولين الطليان بقوله : « حتى أحنا العرب •• ؟ » فقال المسئول الايطالى « هى تعدوا أنتم » هكذا بالعربية •

أما أنا فقد كنت راقدا كالمريض ولم أرفع رأسى • انتهينا من النقطــة بســلام وتحرك بنا (الكاراطون) وبعد ان توارينا عن المكان بمسافة طويلة رفعت رأسى وتنفست الصعداء وحمدت الله على الطافه • وسارت بنا العربةطول الليل وفى الصباح الباكر وصلنا الى بلد « الفحص » «والفحص» هذا بلد تحيط بها المزارع الخصبة وهــى منطقة شعير وقمح وما اليها من أنواع الحبوب ولقد كان يوم وصولنا يوم سوقالبلد وكان اليوم برد شديد والمطر تنزل رذاذا • تركت العربة ودخلت السوق اتجول فيه لعلى أجد من اعرف حتى أستعين به عن معرفة الطريق الى ربع سليانه • أو واســطة للذهاب معها •

وبلد ربع سليانة هى الاخرى بلدفلاحين وبهاسوقكبير • وكان السيد محمد بن خليفة بن عامر الورشفانى يسكن بها وهومنالمهاجرين ومن أعضاء الجمعية • والملاحظ أنه لم يسبق لى معرفة تلك الجهات وطرقها • اخترقت السوق من كل نواحيه فلم أجد به من اعرف • ثم تبادر لى ان أذهب الى مركز الجندرمه لعل أجد منهم مســاعدة وصلت المركز ودخلت لكل المكاتب وقد كنت التقى بكل فرد منهم ولكنهم لا يهتمون بمن يدخل او يخرج لانهم فى دوامة من شدة الصدمة وفى حيرة واضــطراب من توقع وصول العدو بين يوم وآخر فلقد كانت صدمة الهزيمة وكان الخوف والهلع مــــن العدو الزاحف يملأ قلوبهم •

وحينما ايقنت أن لا فائدة من الجندرمة ذهبت أترصد الطرقات . وبينما أنا واقف اذ رأيت جنديا فرنسيا راكبا على عربة « شريول » يجرها ثلاثة خيول فاستوقفته وسألته اذا كان ذاهبا الى ربع سليانه . أو هى فى طريقه لاذهب معه اذا كان ليس هناك مانع ؟ فقال انه لا يعرف أى مكان . وانه أمر بأن يسير مع هذه الطريق حتى يصل الى بلد اسمه « تبرسق » ولا يدرى أين يقع هذا البلد . وقال لامانع لديه من مصاحبته اذا كان البلد الذى أريده فى هذه الطريق فوجدت هذا الجندى أجهل منى بالجهة .

عدت الى السوق وأخذت أتجول فيه فوجدت صاحبى « لبيض » يحزم أدباشه فسألته عن وجهته فقال لى الى أى سوق يجتمع فى اليوم التالى . فقلت له فتش عن « كريطة » نذهب فيها سويا الى سوق « ربع سليانه » وانا ادفع أجر (الكريطة) وقد أوجد الواسطة فركبنا وسارت بنا حتى وصلنا الى ربع سليانه ودفعت له أجر « الكريطة » مائة وخمسين فرنكا والمسافة بين « الفحص » (وربع سليانه)حوالى ثلاثون كيلو متر تقريبا .

وصلت الى الربع ونزلت أمام دكان على حافة الطريق وبقرب منزل الاخ محمد ابن خليفة رحمه الله فاذا السيد محمد المذكور مع جماعة من بدو المنطقة داخل الدكان . فاستقبلنى بسرور وسألنى عن الاحوال فى تونس وعن الاخوان . وبعد حوالى ساعة ذهبنا الى المنزل وجىء لنا بالعشاء وبعد العشاء بقليل سمعت البكاء فى المنزل فسألته عن سبب ذلك فقال لى ان النساء سمعن بمجيئك فخشين ان نختفى معا ونتركهم لوحدهم .

وفى يوم ١٨ نوفمبر ودعت الاخ محمد وذهبت الى سوق الربع الذى يبعد عن مسكنه بحوالى ستة كيلو مترات لافتش عن واسطة الى سليانه . وكان ذلك اليوم يوم سوق فى الربع وكان الجو مكفهرا والسماء ملبدة بالسحب الكثيفة والمطر ينزل رذاذا وباستمرار والبرد شديد الوطء . تجولت فى اركانه فلم اجد فيه من اعرفه الا شيخ الربع واسمه « أحمد » كنت قد رأيته فى الدكان الانف الذكر مع الاخ محمد عند وصولى .

وبعد قليل غادر الشيخ السوق فتجولت فى السوق فوجدت صاحبى «لبيض» يبيع بضاعته وقد ظننت ان عقدتى قد حلت بوجوده . فتقدمت اليه وحييته بتحية الصبح . ولسبب لا أعرفه اشاح وجهه عنى وكأنه لم يعرفنى من قبل ولم يرد على حتى التحية اذ كان يتكلم مع شخص آخر حذوه . فقلت فى نفسى يا لها من ساعة نحسة . فتراجعت الى الوراء وفكرت قليلا ثم هدانى تفكيرى الى طريقة قد يكون فيها حل لازمتى . ذهبت الى بائع البيض واشتريت منه أربع بيضات ثم ذهبت بها الى صانع الفطائر « سنفاز » فجعل لى منها اربع فطيرات « اسفنزات » اخذتها فى يدى وبدأت فى أكل واحدة منها وأنا سائر فى طريقى الى صاحبى « لبيض » .

وقفت أمامه وقلت يالبيض « اتحب تفطر ؟ » فنظر الى وقال « أخى اللى اديـر الخير ما يشاورش » فناولته (السفنزات الثلاثة) وقد بدأ فى التهام الاولى واسرعت بمخاطبته : يالبيض أنت الان معرفتى وصاحبى ارجوك ان تفتش لى عن واسطة لاذهب

معها الى « سليانة » وبسرعة نادى بأعلى صوته « يا ذهبى » وجاء الذهبى وهو شاب معتدل القامة وسيم الوجه فى فمه سن من الذهب الأصفر فى حوالى الثلاثين من العمر فناوله « السفنزة » ثم قال له (ها . ذهبى أخى هذا صاحبى كيف خويا وأشار الى انحبك اتهنينى عليه دبر له كريطة يمشى معها السليانه ابجاه ربيى أخى اتهنينى عليه)

ولقد قبل الذهبى التوصية وبذلك اطمئنيت واخذت اتجول فى اطراف السوق حتى أخذ الناس يحزمون بضائعهم . فاتصلت بالذهبى لاذكره . وذهبنا معا الى صاحب عربة وقال له هذا معرفتى يريد الذهاب الى سليانة فخذه معك ويدفع لك اجرة ركوبه وهى عشرون فرنكا . وبعد قليل غادر الذهبى السوق . وتخلف صاحب « الكريطة » ولم يستعد للسفر الا فى ساعة متأخرة من النهار واخيرا أخذ يحزم بضائعه ولما رأيته قد انتهى وازمع السفر جئته وقلت له يا سيدى أنا الرجل الذى أوصاك على الذهبى .

وما عرفت ماذا أصاب الرجل فلقد اجابنى بحدة وخشونة : « الذهبى دش شريكى أنا لا أعرف الذهبى ولا غيره » وقد حاولت جهدى ان اهدى من غضبه . ولكنه ازداد غلظة ومكرا قائلا « امشى لوج على الذهبى والحقو» والكرارطيةمعروفون فى تونس بمكرهم وتهورهم . فوقفت أفكر فى الامر ماذا أفعل وقد أصبح صاحب « الكريطة » لاأمل لى فى رضائه . والنهار فى أخره والسوق ليس به محلات ولا سكان ولا مسجد الا مقهى توصد ابوابها عند انتهاء السوق ويغادرها صاحبها الى مسكنه البعيد . والطريق لاأعرفها والبرد شديد والليل ظلام حالك والطريق خطر على سالكها منفردا بسبب فوضى ظروف الحرب واختلال النظام بسبب تسابق المتحاربين كل منهم يحتل جهة من البلاد .

ولقد تعجبت فيما أصاب صاحب العربة حتى يقف منى هذا الموقف بعد أن كان قد وافق . ماذا أفعل اذن .. ؟ انتظرت حتى أتم أعماله وركب على مقدمة العربة ونهر الحصان فتحرك نحو الطريق فاتبعته من الوراء خطوات وفى خفة وسرعة تسلقت من الخلف فاصبحت فوق العربة ظانا أنه لا ينتبه الى ولكن الرجل احس بى فاوقف عربته ونزل فوجدنى فى قمتها فاستشاط غضبا وصاح بى صيحة مرعبةقائلا: « أهبط والا نطلع نحذف دين امك » فاجبته مستجديا فى لطافة وهدوء فلم يزده ذلك الا عربدة وغضبا .

وعندئذ ايقنت انه لم يبق الا مقابلة الشىء بمثله . فقلت له : اسمع يا خويا انا الان ركبت ولن انزل منها الا فى سليانه واذا حاولت انزالى بالقوة سوف لا تذهب الى سليانة انت ولا أنا واذا لم تصدقنى فجرب حظك . وهنا أخذ يشتم أمى وابى وملائكتى ورب العرب ودين المسلمين حتى لقد كاد أن يجن . وأنا ساكت لم أجب بأى شىء . ولما لم أجبه ركب عربته وصب جام غضبه على ذلك الحصان المسكين حتى كاد ان يخرج عن الطريق وتنقلب العربة كلها ويحصل لنا ما يحصل ولكن الله سلم .

سارت بنا العربة حتى وصلت «سـليانة» وكان وصولنا بعد المغرب . ولما نزلت من العربة تقدم الى صاحبها وقال لى : « هات عشرين فرنك حق الركوب » .. قلت لا أعطيك شيئا ولا حق لك على ومراكز الحكومة امامك وافعل ما شئت ان استطعت أن تفعل شيئا . فكر قليلا ثم نظر الى وقال « برا نوكل عليـك ربى » فقلت له فى ربع سليانة كنت تشتمه والان تريد أن يأخذ لك حقك ؟! فركب عربته وتحـرك دون أن يكلمنى وعندها التحقت به واعطيته العشرين فرنكا وقلت له خذها انا خير منـك فلا أجاريك وافترقنا .



ظروفي في سليانة أسوأ مما حدث

((سليانة)) قرية تقع في منخفض من الارض يجاورها واد جاف لا يجرى الا في فصل نزول الامطار وبها سوق اسبوعي ، وهي منطقة زراعية كثيرة الامطـــار شديدة البرد وذلك في فصل الشتاء وصلتها متأخرا كما أشرت انفـا ، فما وجد أحدا يدب في شوارعها لوحت بنظرى الى جميع جوانب السوق فرأيت محلا مفتوحا ذهبت اليه فوجدته مطعما فدخلته ، والواقع ما كانت لى شاهية للاكل ، ولكنني دخلته وطلبت اذا كان فيه أكل ، رغبة في فتح الباب عسى أن أجد لديه مكانا أنام فيه حتى الصبح ، قدم لى صحنا مااستطعت ان آكل منه لرداءته وحينما وضع أمامى الصحن قلت له : انا رجل غريب عن هذه البلاد بل عن كل هذه الجهة • ولا أعرف بها أحدا • فأنا من تونس فاذا تتكرم بقبولى لأنام هذه الليلة هنا الى الصـبح أكون شـاكرا • فامتنع بحجة انه ممنوع عليه • وأشار على (باسطبل) للحيوانات ليس ببعيـد عنه . قائلا فيه غرف للمبيت • وفيه جماعة من جهتكم عندهم غرفة •

ذهبت الى هذا ((الاسطبل)) ولما سألت صاحبه عن الغرفة فأشار على بهـا وكنت وأنا سائر اليها أتبين ضوءا يبدو من فرجة في البـاب ، ولما وصلت الغـرفة وطرقت الباب طفى الضوء وسكتت الاصوات كأنه لم يكن بها ساكن والـواقع ان حالة الحرب وانتشار الفوضى وكثرت الحوادث كل ذلك جعل الواحد لا يثق حتى بمعرفته فضلا عن المجهـول تماما رجعت الى صـاحب الفندق حيث عنده غرفة انظف مافي ((الاسطبل)) تقع حذو مدخله الرئيسي يستعملها لنفسه ومعارفه وخادمه فوضحت له وضعي وتخوفي من شدة البرد وطلبت منه أن يأويني معه تلك الليلة حتى الصبح وأدفع له ما يلزم •

فكر صاحب الاسطبل قليلا ثم سألني عندك دابة يعني أي نوع من حيـوانات الركوب •• ؟ قلت لا قال اذن لا يمكن أن أقبلك فاستعطفته بكل ما أسعفتني بـه القريحة من عبارات لطيفة ومؤثرة فلم يقبل مني قلت له : أنا أدفع لك ثمن الـدابة بقى عندك الى غـد ولما عجزت عن اقناعه التجأت الى سقف بدون بـاب ((برطال)) فيه صف طويل من الخيول والبغال والحمير وبجانبها قليل من الفراغ وقلت لصاحب الفندق هذا مكاني الى الصباح ولن تستطيع اخراجي منه وأمامك الجندرمة والبوليس وكل السلطة اذا تريد أن تشتكى ، فاغتاظ الرجل وقال لى : ((انت بتستذرع على ريتني رجل كبير توا نجيبلك من يخرجك » •

غاب الرجل عني حوالي نصف ساعة وجاءني بأربعة رجال ،وقد بادرني أحدهم بدون سلام ولاكلام بقوله : انت ريت الراجل الشايب كبير يستذرع عليه أنا أنتلمح منك» فأجبتهم بهدوء بما يلي : اسمعوا يا اخواني أرجوكم أن تسمعوا كلامي أولا وبعد ذلك افعلوا ماترونه ، فقال الذي هددني : (تكلم اشنو كلامك) فقلت أنا راجل غـريب في هذه البلاد ، أنا طرابلسي ولم يسبق لى معرفة هذه الجهة ولا أعرف أحدا في هذه

البلاد والبرد شديد ولا تنسوا أننى أخوكم مسلم فهل تسمح لكم نفوسكم أن أموت بالبرد فى الشارع .. ؟

قد يكون صاحب « الاسطبل » يخشى الغريب فله فى ذلك كل الحق . ولكن للاطمئنان أنا أسلم له أمامكم ثمن دابة واكثر حتى الصباح . وبعد هذا أنتم الآن أربعة رجال مسلمين أليس بينكم صاحب مروءة يتحمل مسئوليتى فيضمن فى وأجره على الله وعندما سمعوا كلامى هذا تقدم واحد منهم وسألنى : أأنت طرابلسى ؟ قلت نعم . قال الى أين ذاهب ؟ قلت الى الكريب . قال من تعرف فى الكريب ؟ قلت : عندى أخ طرابلسى يسكن فى الكريب فى (هنشير) (الحاج مبارك بن تواتى الدرديرى) وهذا الحاج أعرفه ويعرفنى أيضا وهو من كبار الفلاحين العرب فى المنطقة . فالتفت هذا الرجل الذى يسألنى الى جماعته وصاحب الاسطبل . وقال بجد واقدام اعطيه مكانا ينام فيه الى غد وكل مايحصل منه أنا المسئول عنه . فوافقه اصحابه وانتهى هذا المشكل .

وهنا أمر صاحب الفندق خديمه وقال له : (هزه للبيت يرقد فيها) فقادنى هذا الشاب الى غرفة فى ركن من الفندق فدخلتها فى ظلام دامس فوجدت قاعتها كانها مطاط . فاستغربت الامر وانحنيت فى الظلام أتلمس القاعة . فاذا بها ملآنة بروث الحيوانات واذا هو فى سمك خمسة وعشرين سانتيمتر تقريبا على سعة الغرفة . فطلبت من صاحب الغرفة أن يسعفنى بأى شىء أضعه تحتى وقاية من ذلك الروث وما قد يكون فيه من الحشرات .

ولقد كاد هذا الطلب أن يسبب لى فى الخروج من « الاسطبل » وأخيرا انتهت الزوبعة وأمر صاحبه العامل الذى معه بأن يفتش لى عن شىء أنام عليه . وغاب الشاب لحظة ثم عاد (بجهبة كريطة) فوضعتها فوق ذلك (الروث) وجلست فوقها .

وبينما أنا جالس فى ظلام حالك أفكر فى الحال والمآل اذ برجل بدوى من بدو تلك الجهة جاء يطلب المبيت . ولكن ليس له دابة هو الاخر . وامتنع صاحب « الاسطبل » عن قبوله . وسمعت جدالهم فاقتربت منهما وطلبت من صاحب المحل ان يقبله ينام معى وانا مسئول عنه . ولقد أثرت على نفسى زوبعة جديدة كادت أن تطوح بى خارج الفندق . وما كان أغنانى عنها ولكن الانسان اذا تراكمت عليه المصائب يزداد هو سعيا وراء ايجاد المزيد منها .

وعلى كل فقد قبل البدوى بعد جهد . ونام معى واسترشدت منه عن الطريق وعن طول المسافة للوصول الى (الكريب) واذا كانت توجد متاجر فى الطريق . ويا لها من ليلة فريدة فى حياتى وأية ليلة هى تلك الليلة وفى الصباح الباكر نبهت ذلك الاعرابى من النوم وأعطيته خمسة فرنكات ليأتينا بشىء من الفحم والحطب لكى نضرم نارا نسطلى عليها فى ذلك الصبح من شدة البرد وعدم النوم . وجاء بحزمة من الحطب وأضرمنا النار ولكنها لم تفد شيئا لشدة البرد الى جانب عدم النوم رغم التعب الشديد لما كنت أتحسس به فى ظلام الليل من دبيب فى جسمى ولم أعرفه وانى لى معرفته وقد كان الظلام أطلق له حرية التصرف فى جسمى واسدل عليه ستاره القاتم .

وانتشر ضوء الصبح وبزغت الشمس لحظة ثم اختفت وراء جحافل من السحب المتراكمة الكثيفة الداكنة واخذت المطر تنزل رذاذا . وخرجنا من مسكن الحيوانات وكان ذلك اليوم . يوم سوق القرية خرجنا بعدما دفع كل منا«فرنكين» أجرة المبيت وذهبنا الى المقهى وأنا ارتعد كالريشة فى مهب الريح . واسنانى تسطك يسمعها من يكون بقربى من البرد وفراغ البطن وعدم النوم وما أحس به من أثر تلك الدبيبة فى الليل . وصلنا المقهى . وهات يا قهوجى . الاولى والثانية والثالثة أملا فى ان تخفف عنى شدة البرد ولكن هيهات .

قمت من المقهى والبدوى يتبعنى أتجول فى أركان السوق فوجدت محـــلا يصنع (المدمس) على الطريقة التونسية (طبعـا) وهى تختلف عن الطريقة المصرية تماما فأكلنا منه مائت البطون فكان ذلك الدواء الشافى من تلك الرعدة التى كانت تهز جسمى هزا (كالحمى) ثم ارتفعت الشمس قليلا . وهنا فكرت أن أتفقد (حوليا) عما عسى أن يكون قد علق به . وهنا الحادث المزعج والمنظر الاليم الذى لايصـدق تأملت فى (الحولى) فرأيت ويا لهول ما رأيت منظرا مريعا لا يمكن أن تعرف حقيقته مهما وصفت وصورت . ولعله لم يحدث لاحد من قبلـــى فيما اعتقد . ذلك أننى عندما نظرت الى (الحولى) وهو جديد لم استعمله من قبل لا غطاء ولا لباس . فلقد رأيته مغطى بطبقة كثيفة متراصة فى كامل طوله وعرضه من القمل الاسود وحشرة صغيرة لم أعرفها الامر الذى ارتعدت منه فرائصى فطويته وجعلته فى (القفة) وقد تحملت لفح ذلك البرد القارس طول الطريق .

وبعد أن ارتحت قليلا أخذت الطريق فى اتجاه (الكريب) وسرت راجلا وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وصلت الى محطة اسمها : « محطة لخوان » يقف بهـا القطار الذى يربط الكاف بتونس وهى تبعد عن الكريب بحوالى سبعة كيلو متـر استرحت بها قليلا . ثم واصلت السير فوصلت الى محطة الكريب وهناك استقبلنى الاخ (سليمان حسين المقصبى لمسراتى) وهو صاحب دكان لبيع المواد الغذائيـة فى نفس المحطة . وقال لى أن ابن عباس البارحة كان يتكلم عنك ويتوقع خروجـك من تونس ولكن لا يعرف أين سيكون اتجاهك . واراد ان يسألنى عن الاخـوان ولكننى قلت له اسعفنى بفراش لكى انام ولا تسألنى عن شىء الان . وجاءنى بفراش ورحت فى نوم عميق .

بينما الاخ سليمان ذبح أرنبا وأحضر الاكل ثم نبهنى فكانت أكلة لا زلت أتذكر لذتها . ولعل ذلك كان نتيجة الجوع والتعب . وحينئذ شعرت براحة تامـة ثم جاء الأخ محمد عباس فكان سروره كبيـرا لخـروجى من تونس وافلاتى من أعين العدو . وحال وصوله اطلعته على (الحولى)وما علق به فاخذ جميع ملابســى الى منزله فطبخت حتى زال منها كل شىء ثم غسلت فاذا هى كما كانت من قبل كأنه لم يمسسها سوء .

اقامتى وتحركاتى بين الكريب والكاف

استقر رأيى على ان ابقى فى الكريب مع الاخ محمد عباس . أولا ليس لى فى تلك المنطقة غيره أرتاح للبقاء معه الى أن تتغير الظروف مع راحـة فى النفس . ثانيا لا بد من انتظار الزحفين الحلفاء والمحور لاستئناف اعمالنا .

مكثت فى الكريب . وبعد ايام فكرنا الاخ محمد عباس وأنا أن نذهب الى الكاف حيث يوجد الاخ محمد احمد عريقيب ولكن المواصلات كانت مفقودة تماما فى ذلك الوقت . الا السيارات العسكرية وفى يوم من الايام ومن باب الصدفة وجدنا سيارة عسكرية يسوقها مالطى .فرجوناه ان يحملنا معه الى (الكاف) فامتنع بشـــدة وعنجهية وبينما نحن نحاول معه اذ جاء ضابط عربى جزائرى من الجيش الفرنسى (طبعا) وأظنه فى رتبة الملازم على ماأتذكر فوجـدنا حذو السيارة فسألنا عن حاجتنا .. فقلنا له نحن نريد الذهاب الى الكاف ولا توجد وسائط بالاجرة وقد طلبنا من هذا السائق أن يحملنا معه فامتنع .

فتقدم هذا الضابط نحو المالطى وهو داخل السيارة مزمع السفر وأمره بشدة أن يحملنا الى الكاف . فلم يرفض المالطى ولكن ظهرت عليه علائم الارتباك وامتقـع لونه وظهرت عليه علائم عدم الرضا وأراد ان يتكلم . ولكن الضابط صاح فى وجهه صيحة أزعجته (والتفت الينا وقال اركبوا واذا تكلم فى الطريق أضربوا على رأســه . وأنا الضابط فلان بالتفصيل) والمالطى يسمع وسارت بنا السيارة حتى وصلت الى الكاف .

(والكاف) هذه مدينة تقع فى مرتفع كانه جبل وبها بقايا سور قديم وقصبة . وفى نفس البلاد توجد عين جارية عذبة المياه قوية الاندفاع . وهواء الكاف جاف صحى ولكنها باردة جدا فى فصل الشتاء وتنزل بها الثلوج فى معظم السنين . وهـــى تشرف على مساحات من الارض مترامية الاطراف تقع فى الشــــمال الشرقى منهـا . وهى أرض جميلة المنظر ذات تربة حمراء لونها يسر الناظرين . اسـمها الزعفران .

وصلنا الى الكاف وقصدنا منزل الاخ محمد عريقيب حيث كان يسكن بهـــا وبعد راحة يوم طلب السيد محمد عباس من السيد محمد عريقيب بوصفه مـــن سكان البلاد ويعرف دوائرها طلب منه ان نذهب جميعا للاتصال (بالميجر) الانجليزى الموجود هناك لعلنا نفهم منه شيئا عن الموقف أو نجد عنـــده ما يفيدنا .. بعد ان اصبحت فرانسا فى حالة ضعف قريب من العدم . والفرنسيون هناك اصبحـــوا عبارة عن جماعة لاحيلة لاتملك من الامر شيئا . ولـكن الاخ عريقيب امتنـــع عن ذلك ولا أعرف سبب الامتناع .

ولقد غضب الاخ محمد عباس من هذا الامتناع الذى أظهره السيد عريقيب دون أن يبرره . وبعد خمسة أيام رجعنا الى الكريب وقد حملنا معنا بعض اشياء من الضروريات عن غير قصد التجارة . ولكن وجدنا فيها رغبة شديدة وكسبا هائلا الامر الذى جعلنى أتردد على الكاف من أجل التجارة . وفى عودتنا الى الكاف وجدنا جماعة من الفرنسيين وكان بينهم أفراد من الضباط الذين كنا عرفناهم فى تونس

ومن بين الذين عرفناهم وبقيت أسماءهم فى ذاكرتى : (ميكار ـ لفدان ـ جوسران ـ أوجى ـ بورى) • وهذا الأخير سيىء الخلق ضيق الصدر متعجرف

وهؤلاء الضباط وغيرهم تجمعوا فى الكاف وهم من الفريق المناصر لموقف الجنرال ـ ديجول) وشكلوا من أنفسهم شبه حكومة تسيير أمور المنطقة ، كما انهم نصبوا رجلا من عائلة فى الكاف يقال لها (عائلة قدور) ليقوم مقام الباى : أى ملك تونس ويصدر الأوامر باسمه •

ذهبت الى هذه الجماعة الفرنسية فأخذوا يوجهون لى الاسئلة متى خرجت من تونس وكيف خرجت وبأى واسطة وعلى اى طريق ، ثم سألونى عن مبلغ القوة المحورية التى تنزل بتونس وطلبوا منى اعطاء رأيى فيها • فقلت لهم : ان القوة التى وصلت لحد خروجى هى ضئيلة بالنسبة لحالة حرب كهذه كما ان الطريقة التى تأتى بها طريقة ضعيفة فاذا لم تتغير الطرق والوسائل فلا أظنها تصمد طويلا في مواجهة القوات الزاحفة • وهذا رأيى فيما رأيت • فقالوا صحيح ذلك هو ماتجمع لدينا من المعلومات فى هذا الشأن • ثم طلبوا منى استمرار الاتصال بهم ولكننى اعتذرت حيث أننى لأسباب خاصة لاأستطيع البقاء فى الكاف فاذا احتجتم فأنا فى (الكريب) مع الأخ محمد عباس فلكم أن تطلبونى بالتليفون عن طريق محطة الكريب •

انتهت المقابلة واشتريت من السوق كمية من البضاعة ونقلتها الى الكريب فاذا بالارباح مغرية الامر الذى شجعنى على الاستمرار فى هذا العمل خصوصا وأنا قد خرجت من تونس وليس معى الا ثمانية آلاف فرنك • وأنا لاأدرى متى تنتهى تلك الظروف وكم تدوم • وهكذا فقد واصلت هذا العمل من شهر ديسمبر الى مارس عملا مربحا ولكنه شاق جدا ومتعب جدا وخطير أيضا • فقد كنت أذهب الى الكاف وأعود منه الى الكريب مرتين فى الاسبوع وأنا محمل بما لايقل عن ثلاثين كغ ـ ولا يصل الاربعين من البضاعة والمسافة بينهما حوالى ٧٠ كم وينبغى قطع هذه المسافة فى وجود الشمس نظرا الى خطورة الطريق فى الظلام بسبب فقدان السلطة واغتنام المجرمين فرصة انحلال النظام فأخذوا يعيثون فى الارض فسادا •

ونظرا الى هذا الخطر فى الطرقات ولما كنت على معرفة بالضباط الفرنسيين واتصالاتى بهم وحاجتهم الى أيضا ذهبت اليهم فى يوم من تلك الايام وشرحت لهم حالة الخطر وطبيعة عملى الخاص وطلبت منهم منحى سلاحا أحمى به نفسى سواء ذلك بندقية أو مسدس على الاقل فأجابونى بأنه لايوجد لديهم سلاح • فقلت أنا أعذركم فى هذا فقد لايكون عندكم سلاح فعلا • ولكن فى امكانكم أن تكتبوا لى رخصة فى حمل بندقية وأنا أتدبر أمر السلاح فقالوا من أين تتحصل عليه •• ؟ فقلت أنا أدخل الواجهة والتقط منها سلاحا • فقال لى أحدهم ألا تخشى أن تموت ••؟ قلت ألسنا نحن خرجنا نفتش عن الموت ونحن جميعا فى طريقها •• ؟ ثم عدت أطالب بالرخصة وعندها قال لى (ميكار) وهو أحد الضباط المسئولين • قال لى : (العرب يقولون أخوك أخوك) هكذا عباراته بالعربية حرفيا لفظا ومعنى • وبعد هذا لم يبق لى أمل فى الحصول على رخصة منهم لحمل السلاح •

وبعد شهر أو أكثر قليلا من العمل تحسنت حالتى المادية فاشتريت (حصانا) كان قد غنمه أحد الضباط الجزائريين فى الحرب • وبذلك فقد أصبحت فارسا بين الكاف والكريب وسليانه وخف عنى التعب • التجأت الى الفرنسيين من جديد طالبا منهم أن يمدونى (بسرج) من أى نوع حيث لاتوجد (سروج) فى السوق ، فأجابونى بأنهم هم أحوج منى الى السرج وانه لديهم خيول كثيرة عاطلة بسبب عدم وجود السروج •



مفاجأة محيرة

بينما كنا فى مدينة الكاف الاخ محمد عباس وأنا نسير فى الشارع فى طريقنا الى مقهى هناك وعلى حين غفلة ظهرت أمامنا سيارة ولمحنا داخلها المرحوم محمد بن خليفة بن عامر • ولقد بعثت هذه المفاجأة فى نفوسنا خوفا واضطرابا اذ تهيىء لنا ان المحور قد زحف ولعله وصل حتى (الكريب) ذلك لان (ربع سليانه) كان مهددا باحتلال الالمان له اشرنا الى السيارة بالوقوف ، فوقفت ونزل منها الأخ محمد فسلمنا عليه وسألناه بسرعة عن سبب مجيئه الى الكاف • فقال ان جيوش المحور قد اقتحمت منطقة الربع ، وقد فررت ليلا وتركت عائلتى لوحدها • ولاأعلم ماجرى بعدى •

وفى اليوم التالى غادرنا الكاف الى الكريب ثلاثتنا حيث مقر الاخ عباس • وفى الليل اجتمعنا ثلاثتنا بمنزل ابن عباس • وتقرر ان نسافر الاخ محمد بن خليفة ـ وأنا ـ ونحاول بطريقة ما اختطاف عائلة الأخ محمد بن خليفة ليلا ونقلها الى الكريب • قمنا من هناك راجلين • وبتنا عند عائلة تدعى عائلة (بن عبروق) من أشهر العائلات فى تلك المنطقة ، ثم واصلنا السير من الغد وقصدنا أحد الفلاحين ، يعرفه الأخ محمد بن خليفة • ويبعد عن مكان عائلته بحوالى عشرة كيلو متر تقريبا لنختبىء عنده حتى يسدل الليل ستاره •

استقبلنا هذا الرجل ببشاشة وترحيب وجاء لنا بالاكل • وكنا فى حاجة ملحة للراحة والأكل • وبعد ذلك سألناه عن الحالة بالمنطقة وما وقع فيها •• ؟ فقال : لقد وصل الألمان الى هنا ثم انسحب تلقائيا وهو الآن يعسكر فى (جبل منصور) وبهذا الانسحاب أصبح مسكن السيد محمد بعيدا عن الخطر فواصلنا السير الى منزله وقد وجدنا كل شىء على ماكان عليه • وبعد راحة يوم بقى السيد محمد مع عائلته وعدت أنا الى الكريب •

بعد العودة أخذت فى العمل بين الكاف والكريب • وفى يوم من الايام لم أذهب الى الكاف قال لى الأخ عباس لنذهبا الى المحطة نستنشق الاخبار عن جيوش الحلفاء أين وصلت فى ليبيا وقد كان الفرنسيون واضعين خارطة فى المحطة على لوحة وبها اشارات تقدم وتأخر الواجهة الحليفة فى الاراضى الليبية • تتحول الاشارة من نقطة لأخرى طبقا لتحركات الجيوش يوما بيوم وساعة بساعة وصلنا الى المحطة وفيها كثير من الناس • وبعد وقوفنا قليلا على الخارطة ذهبنا الى دكان الأخ سليمان حسين المقصبى

وبينما نحن داخل الدكان اذ سمعنا ضجة أصوات تنبىء بوجود انزعاج ثم سمعت قائلا يقول) الطيارات ـ الطيارات (وكنا أربعة فى الدكان صاحبه ـ ومحمد عباس ـ

وشيخ كبير اسمه (ميروان) من تاجوراء ـ وأنا ـ ولما كثر الضجيج خرجت لأستوضح الامر • فوجدت المنطقة التى كانت مكتظة بالناس خاوية على عروشها • فقد اختفى الجمهور فى لمح البصر • وفى نفس الوقت سمعت هدير الطائرات يختلط (بكبكبة) قطار الخط الحديدى • فنظرت الى مصدر الصوت فى الأفق واذا بأربع طائرات ألمانية من نوع (استوكا) وقد وصلت هذه الطائرات وقطار السكة الحديدية فى وقت واحد الى المحطة • وقف القطار ونزل منه الركاب بسرعة وتفرقوا كل الى حيث هداه تفكيره • أما عمال القطار فقد التجأوا الى مخبأ تحت الارض فى نفس المحطة • ووقفت أنا خارج الدكان وناديت اسرع يا ابن عباس فالطائرات الالمانية قد وصلت • كما ان الذين هم تفرقوا لم يبق أحد منهم •

ولكن ابن عباس تثاقل وكأنه لايعنيه الامر ولا يهمه الخطر ثم خرج بهدوء ونظر الى الطائرات وقد أصبحت فوق رؤوسنا • فقال : أين المفر الآن فلندخل الدكان وننتظر تصرفات القدر تجاوزتنا الطائرات الأربعة الى الغرب قليلا واصلت اثنتان منها سيرها وعادت اثنتان لتلقى بصواعقها الجهنمية على المحطة ومن فيها دخلنا الدكان أربعتنا والتجأ كل منا الى زاوية من زوايا الدكان طبقا لتعليمات كنا نجدها على المجلات المصرية تنبه الناس الى أخطار الحرب فتقول فى حالة هجوم جوى يجب ألا تلتجأ الى زوايا المبانى فهى أسلم من غيرها •

وما كدنا نصل الى زوايا الدكان حتى أخذت الطائرتان تمطر المحطة بصواعقها المرعبة • وكانت القنابل التى تلقى من وزن الخمسمائة كيلو غرام ، ويصحب القنابل وابل من رصاص الرشاشات وكل ماانفجرت قنبلة رأيت الشجر يسجد لها حتى ليكاد يقبل الارض ثم ينتصب كما كان فى انتظار انفجار آخر ليعيد سجوده وانتصابه وهكذا دواليك • أما الدكان الذى نحن داخله فقد كان يركع حتى أظنه انه سينهار على رؤوسنا ثم يعود أدراجه • وهكذا كان جميع الشجر والمبانى فى كل انفجار • ولقد نزلت قنبلة على بعد اثنتى عشرة ميترا أمام الدكان وقد امتلأ بالدخان حتى لم يعد أحدنا يرى الآخر •

وحتى لقد ظننت أن الارض قد زلزلت • وأن الساعة قد أزفت وأن حياتنا الاربعة قد انتهت • كما أن قمبلة أخرى كان بينها وبين المخبأ الذى التجأ اليه عمال القطار ثلاثة أمتار فقط • وبعد انتهاء الغارة خرج أولئك الذين كانوا فى المخبأ وقد كان أحدهم حصل له اختلال حتى لقد أخذ يهذى كالمحموم • ثم هو يعدو هاربا ثم يعود • ثم ينظر الى الأفق ويحاكى هدير الطائرات وانفجار القنابل •

عاد الجمهور الذى هرب عند مجىء الطائرات وقد كان فى حسبانهم اننا قد قضى علينا وأشاعوا بينهم أن الطرابلسيين كلهم قد ماتوا • ولكن عند عودتهم وجدونا أحياء سالمين • ماعدا ذلك الجرح البسيط الذى حصل لابن عباس • أما ذلك الشخص

الذى اختل شعوره فقد بقى بالمحطة حوالى ساعة ولم يتغير حاله • ثم أخذوه فى القطار وسار به الى جهة (الكاف) ولا أدرى مافعل الله به بعد ذلك •

سبق أن ذكرت تحسن حالتى المادية واشتريت حصانا • وأن جيوش المحور قد انسحبت الى (جبل منصور) وجبل منصور هذا يقع بين منطقتى (ربع سليانه ـ والفحص) وقد صرت أتحول بين (الكاف ـ والكريب ـ والربع) حيث وجدت فى هذه المناطق سوقا رائجة ذلك أن الموقع الذى يكون قريبا من الواجهة تكون الناس فيه للحاجات أحوج • وفى شهر فبراير اجتمعنا ثلاثتنا : محمد عباس ـ محمد خلفية ـ أحمد زارم فى منزل الاول بالكريب وقررنا ارسال مذكرة الى قادة الجيوش الحليفة • وفعلا حررت التقارير وأرسلت كلها عن طريق القائد العام لجيوش الحلفاء التى نزلت بالجزائر • وبعلم الوصول •

وبعد أيام تلقى الأخ محمد عباس اشعارا بوصول تلك التقارير • ولعل الأخ محمد عباس لازال يحتفظ بذلك الاشعار • لاأدرى ـ وقد تضمنت التقارير اعلامهم بأننا نضع أنفسنا تحت طلبهم للعمل معهم ضد العدو المشترك • واشعارهم بكل صراحة ووضوح بأننا ليس لنا أى مطمع من وراء هذا الا تحرير بلادنا واستقلالها فى نهاية الحرب •



الاتصال بالجيش الثامن الانجليزى

بعدما تقدم ذكره من الاحداث انصرف كل منا الى عمله الخاص ، واصلت أنا أعمالى المعتادة ، وفى يوم من الأيام وصلت الى (ربع سليانه) بما لدى من البضاعة قادما اليه من الكاف وقد مكثت هناك أربعة أيام • وفى اليوم الثالث من وجودى جاء ضابطان وشاب على سيارة جيش بريطانية ، وكان أحدهما برتبة (كبتن) والثانى لم أعرف رتبته وأما الشاب فبرتبة (سرجن) فالضابط المسئول انجليزى واسمه (ادجار هربرت) والثانى عربى مسيحى واسمه (ادوار شدياك) أما الشاب فاسمه (تيم) وهو ازلندى وهذا مختص بالمخابرات اللاسلكية • وادوار شدياك هذا لما انتهت الحرب من القطر التونسى تزوج بابنة أحد المعمرين الفرنسيين بتونس واسمه (موزى) كان يملك ضيعة بمنطقة ربع سليانه ، جاء هؤلاء الجنود الثلاثة ولديهم أسماؤنا وطلبوا منا العمل معهم ضد العدو • وبما أن بلادنا قد احتلت من طرف الانجليزى فقد أصبح عملنا معهم أنفع وأجدى لبلادنا لذلك فقد رأينا أن نجيبهم الى طلبهم •

ومن ذلك اليوم بدأنا العمل معهم فعلا قمنا أولا بجولة على طول الواجهة الممتدة من البحر شرقا الى الحدود الجزائرية غربا • وينتشر هذا الجيش عمقا من مدينة سوسه الى سيدى (أبو على) وبعد هذه الجولة أخذنا فى ارسال بعض الاخوان الذين جاؤا متطوعين من تلقاء أنفسهم الى ماوراء واجهة المحور وكل بمثة تكلف بمهمة خاصة ، فمنهم من هو للأعمال التخريبية ، ومنهم من هو لاختطاف الأسرى الذين وقعوا فى أيدى العدو ومنهم من هو لاكتشاف مخازن الوقود وأماكن تجمع الاليات لاشعال النار فيها ، أو ارسال الطائرات لتدميرها •

وفى يوم من أيام جولاتنا تلك جلسنا للغداء فى موقع ما قرب (واد برجو) والى الجنوب الغربى منه اختلى الضابط (ادجار هربت) بالسيد محمد بن خليفه وقال له أنه يرغب منا أن نشكل جمعية من أنفسنا لنواصل العمل باسمها ، ولقد جاءنى السيد محمد وعرض على الاقتراح ، فقلت : ان تشكيل جمعية والعمل باسمها سوف يجعل لنا سلطة يفرضها الانجليز ويستغلها بواسطتنا وهى مسئولية ضخمة وخطيرة علينا وعلى اخواننا وعلى كل فاذا كانوا يريدون منا هذا التشكيل لفائدة الجميع •

أجل اذا كانوا يريدون منا أن نعمل بطريقة نظامية لكى نتمكن من تجنيد أوفر عدد ممكن من اخواننا ونتحمل المسئولية الوطنية والتاريخية • فاننا نطلب مقابل ذلك وعدا كتابيا موقعا من القيادة العامة للحلفاء تتعهد باستقلال بلادنا وحينئذاك نستطيع ان نعمل . وفى امكاننا أن نجند الآلاف من اخواننا ونندفع بضمائر مرتاحة اعتمادا على نتائج لشعبنا تغطى ماسوف ندفعه من التضحيات • أما اذا كان الامر اندفاعا بدون

ضمان وبدون ان نعـرف لماذا نعمل • ولماذا ندفع باخـواننا فى جحيم الحرب بطريقـة اجبارية • فهى طريقة صعبة وعملية خاسرة سلفا • هذا هو رأى فى الموضوع •

وأنا شخصيا غير موافق الا بضمانة كتابية • وحتى هذه الضمانة غير كافية ولكنها حجة على كل حال أقول هذا لأننى أعرف الانجليز من خلال التاريخ البعيد والقريب فهم لايؤمن جانبهم فتاريخهم ملء بالغدر وخصوصا بالنسبة لنا نحن العـرب ولا يثق فيهم الا مغفل أو مغرور أو طالب صيد باع وطنه ببطنه •

هذا أما نحن بصفتنا الشخصية نعمل معهم بكل مانستطيع ومن اخواننا من يأتى من تلقاء نفسه نقبله للعمل معنا فلامانع من ذلك • أعاد السيد محمد هذا الكلام للضابط (أدجار هربرت) من غد ذلك اليوم فرفض الضابط هذا الطلب معتذرا بأن الوقت والظروف غير قابلة الآن لمثل هذه المراجعات ، وهكذا فقـد استمررنا فى العمل معهم بصـفاتنا الشخصية وقد انضم الينا كثير من الاخوان من بينهم : محمد بو زيد عبد الله ـ حميده على المطماطى ـ محمد شكرى كويدير ـ حميده محمد القعود ـ عبد الله الصـادق بعيو ـ وغيرهم آخرون ضاعت منى أسماؤهم • وقد قمنا بأعمال كثيرة وخطيرة جدا •

قصـــة فاطمة وعلى

وفى يوم من أيام تلك الجـولات الـكثيرة المتواليـة على طول الواجهـة غربا وشرقا وارسال الكثير من الاخوان بعثة بعد الاخرى من جهات مختلفة ، وفى احـدى جلساتنا فى مكان ما ، تقدم الينا الضابط المسئول (ادجار هربرت) باقتراح يقول فيه : انه اذا كان فى الامكان ارسال زميله (ادوار شدياك) الى ماوراء واجهة العدو صحبة أحـد اخواننا ، على أن نهيىء له رجالا يحافظـون عليه ويعملون معـه داخـل منطقة احتـلال المحور • وهذا أمر متيسر لنا لأن اخواننا الذين بقـو داخل المنطقة يستطيعون القيـام بذلك بجدارة ويسر • وان كانت هى أعمال هامة وخطيرة جدا •

وبعد جلسة خاصة بنا نحن الثلاثة ـ : محمـد عباس ـ محمـد بن خليفة ـ أحـمد زارم ـ درسنا فيها الموضوع دراسة وافية من كل جوانبـه ورسمنا الخطة التى يمـكن المرور بواسطتها من الواجهتين وتعيين الجهات التى يجب الاتصـال بها قبل البـدء فى أى عمل • وبعد ذلك تقدمنا للضباط بمذكرة توضح تفاصيل الخطـة • فوافقوا عليها وبدأنا التنفيذ فاستدعينا أحد الاخوان • اسـمه : (عـلى) واظنه من ورشـفانه فيما اتذكر • وبسطنا له الموضوع وما فيه من أخطار • وشرحنا له الخطة كاملة ثم تركنا له يوما ليفكر فى أمره •

جاء على المذكور من الغد وهو على كامل الاستعداد • وأعدنا له الأخطار التى سوف تواجهـه • قال : لاتزيدونى ايضاحا فأنا فهمت كل شيىء • وعلى هـذا الاساس فانى اهل لهذا العمل واكثر ، ومن هنا عاد الى أهله وأعلمهم بأنه سيتغيب أياما وقد تطول • وعلى كل فأخباره يعرفها السيد محمد بن خليفة ويعرف أين هو • وعاد الينا مستعدا ومن هناك قمنا بالسيارة متجهين الى مدينة : «القيروان» لشراء الأشياء التى سنستعملها للتنكر • وصلنا الى « مدينة عقبة بن نافع رضى الله عنه وأرضاه » ومنها اشترينا جميع ملابس المرأة البدوية من أخمص الصبع الى قمة الرأس من بينها (الحلى) الذى تتحلى به المرأة البدوية فى تلك الجهات عادة وكان هذا الحلى كله من الفضة •

أتممنا كل مالزم واتجهنا بسيارتنا من القيروان الى (دار الباى) • ودار الباى هذه بلدة حديثة تحيط بها منطقة زراعية ، أراضى منبسطة مترامية الاطراف فيها الكثير من أشجار الزيتون الحديث ومعظمها مزارع حبوب • وللبلدة سوق أسبوعى كثير الرواد • وصلنا هذه البـلدة فاذا هى خاوية على عروشـــها لانها تقع وســـط واجهـة الجيش الانجليزى ، وقد اجتزنا مؤخرة الواجهة ووصلنا الى مقدمتها الخط المواجه للعدو حيث تتبادل الواجهتان طلقات المدافع ، وفى موقع يقع الى الشرق من البلدة فيمـا أتذكر ـ أو هو الى الجنوب الشرقى منها فى هذا المكان وجدنا بيتا شاغرا ، والواقع ان جميع

المبانى بل وكل المنطقة خالية من السكان الاصليين تماما ـ الا جنود الجيش الانجليزى ومعداته •

فلقد كانت واجهة المحور تتمركز فى (جبل اجردو) الممتد غربا وشرقا من ضفاف البحر الى حدود الجزائر فى موازات واجهة الحلفاء ومن هذا الجبل الذى يشرف على منبسطات دار الباى الفسيحة من جهة الشمال ـ من هذا الجبل تنبعث قنابل المدافع الألمانية تشق الفضاء كصواعق شواض من نار ونحاس فتحدث جوا قاتما من غبار الارض ودخان الانفجارات الكثيف على مدى مايبدو للنظر من امتداد الواجهتين والقنابل متبادلة من هنا وهناك باستمرار •

دخلنا نحن فى ذلك المبنى الشاغر • وكانت القنابل تتساقط حوالى المبنى الذى دخلناه • والانفجارات تتوالى من حولنا والدخان الداكن الكثيف الممزوج بغبار الارض يملأ الجو ويرتفع مراحل فى الافق الأعلى رويدا رويدا لكى يتبدد فى الفضاء اللانهائى ثم تتلوه مراحل أخرى وهكذا دواليك وكان المبنى والحالة تلك يوالى اهتزازاته تبعا للانفجارات حتى لكأنه قد أصيب برعدة من شدة الخوف الناتج عن تلك الصواعق الجهنمية الرهيبة التى كانت تهدده من لحظة لأخرى بالنسف •

ففى هذا الجو الملتهب والذى هو فى الواقع أكثر من أن أستطيع تصويره • دخلنا ذلك البيت الشاغر • وألبسنا « ادوار شدياك » لباس المرأة البدوية بكل مايلزمها ، كما أفهمناه كيف يتجنب عن أعين الرجال • وكيف ينتحى ناحية فيما اذا التقى على بأحد فى الطريق • كما ألبسنا الأخ على لباس رجل بدوى فقير من بدو تلك الجهات تماما وفى رجليه حذاء مرقعا أكل عليه الدهر • ويحمل على ظهره كيسا به بعض مواد غذائية وحاجات أخرى مما يوجد عادة عند البدوى • خرجنا من ذلك البيت التى كنت أتوقع أنها ستنهار على رؤوسنا من كثرة الاهتزازات وشدتها • وأطلقنا على (ادوار شدياك) اسم (فاطمة) أما على فهو على كما هو سار على تتبعه فاطمة زوجته أمامنا للتجربة خطوات فكان مظهرهما وحركاتهما كما يجب أن تكون ثم وقفنا وجاء الضابط (ادجار هربرت) وأخذ لنا صورة جميعا بما فينا (فاطمة وعلى)

ولقد وعدنا (ادجار هربرت) بأنه سيعطى لكل واحد منا صورة للذكرى والتاريخ ولكنه لم يف بوعده ، ولا أعلم السبب فى عدم الوفاء • أهو النسيان أو شيىء آخر فى نفسه • ثم سار الرجل والمرأة من خلفه ونحن فى مكاننا ننظر اليهما ، وبعد أن سارا مسافة • رأيناهما وقد أوقفهما ضابط انجليزى ، ولما طال موقفهما أسرع اليهما (هربرت) وأفهم الضابط بالامر فتركهما يواصلانى سيرهما ورجع هربرت • وعدنا جميعا الى البيت الذى كنا به ، وبعد راحة قليلة غادرنا ذلك المكان لمواصلة عملنا فى جهات أخرى •

ركبنا السيارة واتجهنا الى (جبل منصـور) غربا حيث أن الواجهة الألمانيـة قد ارتدت الى الوراء وأصبحت فى الفحص ، ذهبنا الى هذا الجبل لملاقات أحد الأخوان • كنا قد أرسلناه الى ماوراء واجهـة المحور • وكان موعدا للقاء به قـد قرب • وصـلنا الجبل وبعد انتظار ساعتين تحت ظلال اشجار (الصنوبر) التى تكسو ذلك الجبل • وصل الأخ المنتظر وهو فيما أتذكر (شوشان) من غريان وبعد أخذ مالديه من الاخبار والمعلومات انصرف الى منزله للراحة • وأرسلنا شخصا آخر ثم عدنا الى (دار الباى) فى صباح اليوم الوالى عسى أن نجد خبرا عن (فاطمـة وعلى) فوجدناهما قد عادا الى البيت ، وسبب العودة هو انهما حينما وصـلا الى آخر نقطة فى الواجهـة الانجليزية اعترضهما ضابط انجليزى وأوقفهما وأرد أن يفهم أمرهما • ولـكنه وجد نفسه أمام عربى من البادية شكلا وموضوعا لايفهم شيئا من اللغة الغربية • وكانت مشكلة •

ولقد استحال عليهما التفاهم الا بالاشارة ، ولكن الاشارة لاتغنى شيئا فى مثل هاتيك الظروف الدقيقة ، وفى أخطـر مكان من ميدان الحـرب ، ولقـد طال بينهمـا الأخذ والرد بالاشارة دون أن يفهم أحدهما الآخر ، ولقد اشتد بينهما الجـدل وعيل صبر الضابط الانجليزى واحتد فى كلامه الى حد مخيف ، وهنا شعرت (فاطمة) وهى تسمع مايدور بين الرجلين وتفهم مايقال من الطرفين • شـعرت بخطـورة الموقف ، فاضطرت الى التدخل بينهما لافهام الانجليزى أقوال زوجها باللغة الانجليزية وكانت المفاجأة المحيرة • بهت الضابط وتوقف عن الـكلام مع على • امـرأة بدوية فى كامل مظهرها زوجة لرجل بدوى يدل مظهره على سـذاجة وفقر وجهل عميـق تتكلم اللغة الانجليزية بطلاقة وبلغة سليمة أنه لأمر محير •

وأخيرا كشف ادوار شـدياك السر عن نفسـه وأظهـر حقيقته وأوضـح الأمر • وعندها منعهما من مواصلة سيرهما قائلا انهما سـيهلكان حتما ودون ما نتيجة ولذا أمرهما بالرجوع وأنه لافائدة من المحاولة ولا يسـمح لهما بالمـرور • فرجعا ليلا الى ذلك البيت •

الفرنسيون يطلبون حضوري فاعتذرت

واستشهاد محمد شكرى كويدير

وفى جولة فى الناحية الغربية من الواجهة ذهبنا الى الكريب ومن الصدف أن طلبنى الفرنسيون الذين هم فى (الكاف) فى شبه حكومة كما أسلفنا طلبوا حضورى الى الكاف « تليفونيا » عن طريق محطة (الكريب) بعد ساعة من وصولنا وكان الذى طلبنى هو (المسيو : جوسران) وقد طلب حضورى لديهم لأعمال يقول انها ضرورية ومستعجلة وأمام هذا الطلب ، ونظرا الى ارتباطنا مع الانجليز فلم أر بدا من مصارحته بالحقيقة • فقلت لاأستطيع الحضور لديكم فى الوقت الحاضر •

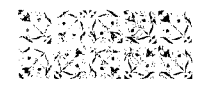
(ولقد تساءل (جوسران) هل هناك مانع •• ؟ قلت : أقول الحق أنتم تعلمون أن الانجليز قد احتلوا بلادنا وأصبحوا أسياد الموقف فيها وقد جاؤنا وطلبوا منا العمل معهم •) وقد ارتبطنا بهم فعلا من عدة أيام واننا فى عمل متواصل ليس لى أى وقت للحضور بالكاف • وأنتم تعلمون من خلال مفاهماتنا الشفوية المتعددة قبل اعلان ايطاليا الحرب ، ومن خلال ماقدمناه تحريريا للجهات المختصة ان عملنا معكم أو مع غيركم لانرجو من ورائه أى كسب شخصى مادى كان أو معنوى وانما كان عملنا دائما لحرية بلادنا واستقلالها • وفى اعتقادى مادمتم حلفاء فان عملنا سواء كان معكم أو معالانجليز فهو لفائدة الجميع • وصدقنى يامسيو (جوسران) اننا نتمنى لفرانسا من الاعماق الفوز والانتصار على الأعداء حتى تتمكن من اعادة مجدها وعزتها وتعيدون للشعب الفرنسى النبيل حريته فى بلاده •

والجدير بالذكر والملاحظة هو اننى فهمت فيما بعد أن الفرنسيين قد استاؤوا من انقطاعنا عنهم • ذلك انه بعد انهاء الحرب من البلاد التونسية ودخولنا الى تونس وبعد مدة رأيت أن أتصل بالاستاذ (سالمو) وقد تقدم أن أوضحت بأنه كان على رأس المكتب الخاص باتصالاتنا لمدة طويلة • ومن هنا فان معرفتنا كانت قوية راسخة اتصلت به فى موضوع خاص للاستعانة به •

توكلت على الله ورحت اليه وبعد التحية قلت له اعتقد انك لم تنس بأننا قد عملنا معا وان كانت النتيجة قد جاءت غير ماكنا ننتظره • وتلك مشيئة الله والمستقبل خير فأجابنى بهدوء مع شيىء من البرود بقوله : « نستشعر » هكذا بهذه العبارة بالضبط ثم أردف قائلا أأنت مازلت هنا لم ترجع الى طرابلس حتى بعد أن احتلها الانجليز • ؟ ومن هنا شعرت بالجو وفهمت أن لافائدة فى طلب مساعدته فاكتفيت بالتحية ولم أفاتحه فيما جئته من أجله ، وانما قلت له : أنا الأن آخذ فى الاستعداد للسفر الى بلادى وجئت لأسلم عليك اذ ربما لاأتمكن من مقابلتك عند السفر ثم ودعته ولم أره بعد ذلك اليوم الى الآن •

قلت انني قد اعتذرت للفرنسيين عن الحضور الى الكاف • وفعلا لم أعد اليه بعد ذلك حتى انتهت الحرب من القطر التونسي • وواصلنا عملنا مع الجيش الثامن الانجليزى وقد أخذت الواجهة المحورية فى الانحسار منكمشة الى الوراء • ونحن اليوم بمنطقة « اسمنجه » نتتبع خطوات هذه الواجهة فى تقهقرها ، وفى هذه المنطقة أرسلنا أربعة من اخواننا للدخول الى ماوراء واجهة المحور أتذكر منهم ثلاثة هم الاخوان : محمد شكرى كويدير - وعبد الله الصادق بعيو - وحميده على المطماطى - والرابع ضاع عن ذاكرتى • اجتاز هؤلاء الاخوان الأربعة واجهة الحلفاء • وفيما كانوا بين الواجهتين فى طريقهم الى اختراق واجهة المحور اذ نزلت بقربهم قنبلة مدفع آتية من جهة الالمان ، ولا أدرى اذا كان قد انتبه لهم الجنود الالمان • أو هو من باب الصدفة ، وعند انفجار القنبلة أصيب الاخ المرحوم محمد شكرى بشظية منها أصابته فى رأسه وكانت اصابة خطيرة جدا •

ولقد كانت هذه الواقعة بالقرب من مزرعة « الحاج عياد ربانه الجربى » فنقل الاخوان زميلهم المصاب الى هذه المزرعة فاستقبلهم صاحبها المذكور وعماله وتسلموا منهم المصاب ، وقد قال لهم الحاج عياد : أتركوا زميلكم هنا نحن نعالجه فان كانت له بقية من حياة سوف تجدونه سالما ان شاء الله ، وان كانت الاخرى فنحن نقوم بالواجب لأننى أخشى أن ينتبه لوجودكم الالمان فينكل بنا وبكم • وهنا فقد ترك الاخوان زميلهم وواصلوا مهمتهم وفى طريق العودة مروا بالمزرعة ليقفوا عن حالة أخيهم فوجدوه قد توفى ودفن هناك رحمه الله • وعند رجوعهم الينا أخبرونا بالامر •



دخولنا تونس واجتماع فندق المجستيك
وقضـــبة الحاج عياد ربانه

وفي يوم ١٧ مايو من سنة ١٩٤٣ م دخلناتونس وقد انهزم المحور وانجلى عن الاراضي التونسية ، ولم يبق منه الا فلول في « دخلت المعاويين » وهي أخـذت في الاستسلام ومن بينها من يركبون البحر في (فلائك) صـغيرة • وعلى ألواح عادية يتجهـون الى (صقليه) القريبة من شواطيء ، الدخله (وعند دخولنا الى تونس قصـدنا رأسا الى فندق « المجستيك هوتيل» بشارع باريس بتونس ، وهناك عقدنا اجتماعا مع الضباط الانجليز ثلاثة وثلاثة ستة اشخاص وفيه طلبوا منا ان نتقـدم اليهم بطلباتنا مقـابل أعمالنا ومن الغد اجتمعنا ثلاثتنا : محمد عباس ـ محمد خليفة ـ أحمد زرام ـ حررنا مذكرة استعرضت اعمالنا معهم في الشرق وفي الغرب وأوضحنا لهم بتأكيـد وبرهان ان مشاركتنا لم نكن نبغي من ورائها أي هـدف غير تحـرير بلادنا واستقلالها • وأن تقف بريطانيا في جانب حقوقنا هذه حينما تنتهي الحرب وتتحرك السياسـة لتثبت ماتثبت وتحذف ماتحذف • على أن يكون موقفها بكل جد واخلاص ، كمـا وقفنا نحن الى جانب الحلفاء بكل ماأوتينا و بمنتهى الاخلاص •

ومن الغد وقبل أن نسلم المذكرة بلغنا أن « الحاج عيـاد ربانه الجربي » قـد ألقي عليه القبض من طرف الفرنسيين ونقل الى جهة ما • بتهمة تعاونه مع جيوش المحور • وانه يتوقع اعدامه ، وطلب منا التدخل بالسرعة الممكنة قبل فوات الأوان • فأسرعنا الى الضباط الانجليز وطلبنا منهم سرعة التدخل في الموضوع لانقاذ حياة الرجل الذي أوى صاحبنا وعالجه ودفنه وأعاننا بذلك على أعمالنا ولو كان يتعاون مع المحور لذهبنا نحن كلنا ضحية فهي فرصة له مع الألمان • وأفهمناهم أن ليس للفرنسيين أي حجـة عليه فيما ادعوه ، ولكنهم اهتبلوا الفرصة وهي ظروف الحـــرب للانتقام من عناصر الحركة الوطنية ، وهو من العناصر الممولة لها •

ولقد أسرع الضبـاط في الوقت ونحن حاضرون فاتصـل (هربرت) بالقيادة • واتصلت هذه بدورها بالجهات الفرنسية وأطلق سراح الحاج عياد ، وبعد اتمام هذه الاعمال سلمنا المذكرة ، بقي الاخوان : ابن عباس وابن خليفة في تونس ريثما يجـد كل منهما واسطة للعودة الى جهته ، اذ كانت المواصلات نادرة جدا •

أما أنا فقد عدت الى بيتي في (الكرم) وهكذا فقد رجعت الى أهلي بعد هجرة ثانية دامت ستة أشهر • وبعد أيام لاأتذكر عـدتها ولـكنها على أي حال لاتتجاوز أصـابع اليدين • وعلى غير انتظار وصلني السيدان : محمد عباس ـ ومحمد خليفة ـ والضابط (هربرت) الى الكرم • وقال هذا الضابط اكراما لكم من أجـل موقفكم وعملـكم قد أمرتنا القيادة بأن نحملكم لزيارة بلدكم ونعيدكم الى هنا •

والواقع ان هذه كانت عندنا من الأمنيات الغالية ٠ حيث نزور بلادنا وأهلينا بعد غياب عشرات السنين ، وبعد انهزام عدو كان هو سبب بلاء البلاد وشقاء وتشتيت مجتمعنا أيدى سبا فتجولنا فى البلاد واعين بقايا ذلك العدو تنظر الينا فهى نعمة من نعم الله علينا ٠



أول زيارة لوطننا بعد انهزام العدو

وفى يوم ١٥ من شهر مايو ١٩٤٣ م فيما أتذكر ركبنا سيارة يسوقها الضابط (هربرت) وأقلعت بنا من تونس دون توقف حتى وصلنا مدينة (صبراته) وكان وصولنا اليها يوم جمعة وقد طلبنا من الضباط • الوقوف بهذه المدينة • لكى نتصل بالمواطنين فيها لنأخذ فكرة عن وجود البلاد من خارج المدينة نظرا الى أن كلام وتفكير سكان الأرياف فى كل الدنيا أقرب الى الحقيقةالواقعية لانهم يتكلمون علىالطبيعة بدون تزويق عكس ماعليه سكان المدن الكبرى •

وقفنا بصبراته حوالى ساعة وقد اجتمع بنا الكثير من الاخوان ولكنهم كانوا على استعجال اذ انهم يتهيئون لأداء صلاة الجمعة حتى ان أحدهم قال لنا ألا تذهبوا معنا للجمعة حتى نجتمع بكم بعد ذلك اجتماعا مطولا ونحدثكم أكثر • فأجابه الأخ محمد عباس نحن مسافرون ولا جمعة على مسافر والان فى طريقنا الى طرابلس وسنعود اليكم للاجتماع بكم فى يوم اخر لنسمع ماعندكم ان شاء الله •

وفى تلك الحصة القليلة من الوقت اطلعونا على اثار فعلة نكراء هى من الغرابة بمكان • أفراد من المواطنين أطلعونا على أثار كى بالنار فى أيديهم • قالوا ان مدير الناحية اسمه (محمد اليعقوبى) كان يقبض على كل من يتحرش بالايطاليين أو يحاول نهب أرزاقهم أعنى أرزاق الدولة لمنهزمة وليس الافراد او يتظاهر بأى عداء لايطاليا • يقبض عليه ويجعل له علامة فى يده هى ذلك (الكى بالنار) على أمل عودة ايطاليا لتكافيه على اخلاصه لها ـ وتقدم مواطنيه الى المحاكمة والقصاص والحجة التى لايمكن التنصل منها هى ذلك الكى •

ولعلى السبب الذى جعله يفعل ذلك هو أن هذه الحكومة عند انهزامها ظهرت للمواطنين بمظهر الناصح المحب فدفعت لهم رواتب ثلاثة أشهر مقدما قائلة لهم أنها ستعود بعد هذه المدة وأوصتهم بالمحافظة على الايطاليين فى هذه الفترة • وكنتيجة للماضى الرهيب فى حكمها أخذ بعض الناس كلامها هذا حقيقة مسلمة • وعلى هذا الاساس تصرف السيد (محمد اليعقوبى) مدير ناحية صبراته فى ذلك التعهد • وهذا الرجل قد توفى فى أواخر العهد الماضى من الحكم الملكى المنهار جزاه الله بما يستحق فهو أعلم بـه •

واصلنا سفرنا الى طرابلس فوصلناها فى وقت متأخر من النهار وقد وقفت بنا السيارة أمام (بنك روما سابقا) : مصرف الامة اليوم • وكنا ثلاثة (محمد محمد عباس ـ محمد خليفه عامر ـ أحمد زارم خليفه) نزلنا من السيارة ووقفنا ننظر الى البلاد كيف تغيرت والى امتداد شارع عمر المختار وميدان الشهداء وكيف توارت المدينة القديمة وراء مبانى هذا الشارع الطويل المرتفعة بالنسبة للقديم ، وهى مناظر حديثة بالنسبة لنا لم يعرفها احد من قبل ذلك اليوم فأصبحنا فى تلك اللحظة (مع الفارق) فى موقف يشبه موقف اصحاب الكهف •

ولقد وجدنا الشوارع خاوية على عروشها فقليلا ماترى مارا . ذلك أن الناس لايزالون خارج العاصمة بسبب ظروف الحرب . وبينما نحن واقفين فى دهشتناطبقا لما يقال لكل قادم دهشه . اذ مر بنا رجل أبيض اللون طويل القامة خصب الجسم فى أول أيام الكهولة اذ ذاك فيما يبدو يرتدى اللباس العربى المحلى وكان يسير على عجل فى اتجاه ميدان الشهداء . مر هذا الرجل من حذونا وبعد أن تجاوزنا بخطوات . وقف والتفت الينا . ثم نظر الى بصورة خاصة نظرة فيها شىء من الاهتمام والتعرف . وقد بادلته نفس النظرة فتهىء لى كأننى اعرفه من قبل . فتقدم الينا وقال أأنت أحمد زارم قلت نعم فسلم علينا وحينئذ عرفته أنه « الحاج محمد يونس الكريكشى » عرفته فى تونس ولم يكن بيننا أكثر من ستة أو سبع سنوات ، ولقد كان هذا الرجل من اهم مصادرنا عن ظروف الوطن وتصرفات الايطاليين . وتلكنها دهشة القادم .

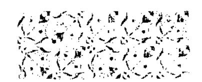
ولقد ودعنا الحاج محمد الكريكشى وواصل سيره وفى هذه اللحظة وصل الضابط هربرت الذى ذهب فى مهمة له . وعند عودته قال انه سيذهب الى المعسكر ويلتقى بنا فى غد وفى نفس المكان . وعند ذلك قال الاخ محمد خليفة رحمه الله . انه يظن بأنه يعرف منزل (الحاج اسماعيل المبروك) فدخلنا من باب الحرية ولكن لم يهتد اليه فأخذنا نسأل من نلقاه حتى وصلنا . ومن حسن الصدف ان وجدنا الحاج اسماعيل وقد بتنا تلك الليلة بمنزله ، وكانت أول ليلة لنا فى طرابلس بعد ذلك الغياب الطويل .

ومما يستحق الملاحظة بالمناسبة ، ففى تلك الليلة بينما كنا فى تناول العشاء اذ وقعت محاولة غارة جوية فكان الدفاع الجوى قويا جدا اذ لم يقع رمى من الطائرات . وانما رأينا قنابل الدفاع تنطلق من الارض الى الجو فتبدو كأنها شهب ثواقب ترجم اخوان الشياطين ولم تدم المحاولة طويلا . ومن الغد اتصلنا بالحاكم العسكرى الانجليزى واسمه (لوش . أو . لاش) وهو أول حاكم عسكرى انجليزى . وكان مقره مبنى وزارة الداخلية اليوم وقد بسطنا له موضوع أهالى صبراته ومعاملة مدير الناحية لهم وطالبنا بايقافه عن العمل .

ولقد استغرقت زيارتنا لطرابلس خمسة عشرة يوما . وفى خلالها عقدنا اجتماعا فى « مكتب الفنون والصنائع الاسلامية » ولقد حضر فى هذا الاجتماع اذ ذاك جمع من الاخوان لا اتذكر منهم اليوم الا خمسة فقط هم : مصطفى ميزران وكان مديرا للمكتب رحمه الله — ومحمد الحاج يونس الكريكشى وكان رئيسا للجمعية الخيرية — واحمد وعلى الفقيه حسن — وأحمد الحصائرى — وقد تداولنا فى هذا الاجتماع فيما ينبغى ان يطالب به الشعب دائما وعدم الاصغاء الى أى قول من أى جهة غير الاستقلال الكامل الناجز .

وفى هذه المدة ونحن بطرابلس وقعت أمامنا حادثتان طريفتان جديرتان بالتسجيل . لذا رأيت أن أذكرهما هنا — فاحداهما تذكر كموعظة حتى لاينسى الناس

اليوم . ولا يجهل ناس اتفد وما مده تصرفات الاستعمار ومكـر الاجـــانب واذلالهم للشعوب ومرارة التسلط الاجنبى ، والثانية حتى يعلم الناس فى الحـال والاستقبال أن عاقبة العقوق الوطنى شر مستطير على أصحـابه ـ وخسران مبين وللاخـرة أكثر شرا وأشد خسرانا . ففى خلال الخمسة عشر يوما التى أقمناها فى طرابلس فى هـذه الزيارة كان من بين من استضافنا اثنين هما : الحاج سالم اندير رحمه الله . والحاج محمد الكريكشى ، ذكرت هذين الاثنين دون غيرهما لان الحادثتين المشار اليهما ترتبطان بضيافتهما .



حادثتان لطيفتــان

ففى يوم من تلك الايام الخمسة عشرة التى أقمناها فى طرابلس كان الغداء عند المرحوم « الحاج ســالم اندير » فى « ســانيته » بشارع الجرايه بسكره • وفى الوقت المحدد اخذنا عربة (كروسه) وكان صاحبها شاب ايطالى وكان واقفا بميدان :(الوسام الذهبى) سابقا • وبهذه المناسبة وللتاريخ أود قبــل كتابة صــورة الحادثة التى هى الموضوع الأساسى • ان اوضح وضــع ذلك الحى وما كان عليه فى سنة ١٩٤٣ م فلقد كان هذا الميدان معبدا بصورة بدائية وابتدأ منه تماما الى سانية اندير كانت كل تلك المسافة مكسوة باشجار الهندى فى شبه سياج على جانبى الطريق يمينا وشمالا دون أى فاصل الا الحدود التقليدية بين «سانية واخرى» ولكن هذه الحدود الفاصــلة بين السوانى لايعرفها المار لاتصالها ببعضها ولا تتضح الا من الداخل •

وتطل على هذين السياجين من الوراء أشــجار متشابكة مختلفة الالــوان كثيرة الافنان • ولا أثر للمبانى فيها الا تلك المساكن التقليدية داخل كل (ســانية) ســكنا لصاحبها تحجبها عن أعين السائر فى الطريق تلك الاشجار • أما الطريق التى تمر بين هذين السياجين من أشجار الهندى ابتدأ من الميدان نفسه الى سانية اندير تراب هو أقرب الى الرمل المتحرك منه الى التراب لراسب • تغوص فيه رجل لانسان فضلا عن العربات والحيوان • ركبنا (الكروسه) ثلاثتنا والضابط • وعندما ركبنا امتقع وجــه الايطالى صاحب العربة وظهرت عليه علائم الامتعاض وعدم الرضا بكل وضوح • وقال أنه لايستطيع السير فى هذه الطريق الرملية • ولم يحرك عربته بل وقف فى مكانه •

وسبب استنكافه هذا هو أن الاحتلال الانجليزى لايزال حديثــا والايطاليون فى دوامة من أثر الهزيمة وغموض مستقبلهم • وهم لايزالون من جهة أخرى فى أحلامهم الاولى بأنهم أسياد البلاد • كما أنطلت عليهم الحيــلة التى استعملتها حكومتهم عنــد انهزامها كما انطلت على الكثير من مواطنينا العرب فصــدقوا ماقالته من أنهــا ستعود بعد ثلاثة أشهر • قلنا استنكف الايطالى ولم يحرك عربته وتعلل بالرمل • وعندها مال الاخ محمد بن خليفة عليه رحمة الله ، على الضابط هربرت • وأسر له بأن الايطالى لم يكن سبب وقوفه صعوبة الطريق كما يقول وانما فعــل ذلك مستنكفا أن يركب معــه العرب وعندما فهم الضابط • صاح على الايطالى صيحة شديدة قائلا له : « انت موش كويس انت لسه بتفكر طليانى نمره بتعك» وعندها خشى الايطالى العاقبة وسير عربته حتى أوصلتنا للمكان •

الحادثة الثانية

أما الحادثة الثانية ففى يوم آخر من تلك الايام الخوالى كان الغداء عند « الحاج محمد يونس الكريكشى » وقد كان مسكنه اذ ذاك فى حى (أبى مشماشه) ولقد حضر للغداء معنا من طريق الصدفة شــخص من المواطنين الذين أضروا بالوطــن وناصروا الاستعمار الايطالى عمليا وأخلصوا له • وله سمعة سيئة عند المواطنين وهو اليوم فى عالم الاموات يقاسى ماقدمت يداه • جزاه الله بما يستحق والله به اعلم وهو (•••)

وبعد خروجنا من محل مضيفنا الحاج محمد جميعا أتجـه هذا الشـخص الى شانه واتجهنا نحن الثلاثة جميعا مع مضيفنا فى طريقنا الى الميدان . وبعد أن توارى الشخص تساءل الاخ محمد بن خايفه رحمه الله عن هذا الرجل من يكون .. ؟ حيث لم تسبق له معرفة به شخصيا ، فقال له الحاج الكريكشى هـنا (...) فتأسـف محمد بن خايفه وظهرت عليه علائم الغضب ، وقد وجه لومـه ضمنيا وفى أدب الى مضيفنا الحاج محمد الكريكشى اذ انه اقسم بمحرج الايمان ان لو عرف ان هـذا هو (فلان) لترك الغداء وغادر المحل ولا يقابله وهذه هى صفة اللوم .



العودة من طرابلس الى تونس

وبعد الخمسة عشرة يوما التى أمضيناها فى طرابلس عدنا الى تونس • وبدأنا نرقب تطورات الاحداث وتصرفات الحلفاء واتجاهاتهم فيما يبيتونه لمستقبل المستعمرات الايطالية والتى بلادنا هى احداها ، ولقد بدأت التكهنات والمناورات على أساس من المساعى المختلفة تتضارب وتتناقض حول مصير هذه المستعمرات ، ولا يمر يوم الا والاذاعات ووكالات الاخبار والصحف تأتى باخبار جديدة تناقض بعضها البعض •

ولقد كانت جمعيتنا فى هذه الظروف الجاهمة على اقصى ما يكون من القلق والخوف من ألاعيب الاستعمار الذى بدأ يأخذ شكلا جديدا حينما أخذت تنكمش الحرب بسرعة ، وأفكار المستعمرين تتجه بصورة أوضح نحو المغانم ، ولقد كانت الجمعية تسجل بكل يقظة وانتباه كل مايتراما اليها من الاخبار فى موضوع المستعمرات الايطالية ، وفى هذا الجو الغامض المتلبد يبدو أن المساعى الثنائية بدأت ترفع رأسها بوضوح بين ايطاليا وبريطانيا بهدف تقسيم ليبيا واحتفاظ بريطانيا باقليم ((برقة)) وارجاع الحكم الايطالى « لطرابلس » وترك اقليم فزان لفرنسا لدمجه فى الجزائر

ومع هذه البوادر التى اخذت تتراء فى افق سياسة الحلفاء فقد كتبت جريدة ((النهضة)) التونسية اليومية مقالا بقلم الاستاذ محمد ((بالفتح)) المرزوقى مستندا فى كلامه الى معلومات ومصادر لا تخلو من الصحة ، وقد قال الاستاذ المرزوقى فيما كتبه : ((ان مساعى حثيثة وخطيرة تبذل فى الخفاء لتقسيم ليبيا • فعلى الاخوان الطرابلسيين ان ينتبهوا الى ما يدور فى الظلام)) وعلى اثر هذه المعلومات اجتمعت الجمعية ودرست كل ما تجمع لديها حول الموضوع • ونتج عن ذلك أن قررت بالاجماع العمل بسرعة على ارسال أحد أعضائها ليدخل الوطن بطريقة ما • ذلك لان الترخيص لدخول ليبيا غير ممكن فى جهاتنا فى ذلك الظرف • ونحن نريد الوقوف على مايدور فى داخل البلاد من أفكار ومواقف المواطنين أنفسهم حتى يمكن لنا دراسة ما نتحصل عليه لنتخذ على ضوءه موقفنا •

ذلك لان الظروف فى تغير • والاوضاع قد تنقلب عما كانت عليه قبل الهدنة الالمانية الفرنسية ومن المعلوم أن ((الكرات تغير الاتفاقات)) ونحن كما هو معروف كانت اتصالاتنا ومفاهماتنا مع الفرنسيين وقد عرفوا اتجاهاتنا وأهدافنا وتسلموا مطالبنا • كما أننا عرفنا نحن اتجاهاتهم وما يبيتونه • فهم يستعدون للفوز بما يريدون • ونحن نستعد لمجابهة ما نتوقعه منهم والله جلت قدرته وتعالت حكمته يوفق من يشاء •

وكما أشرت فان الهدنة الالمانية الفرنسية لسنة ١٩٤٠ م نسفت كل ما كان قبلها من اتفاقات وتعهدات وقلبت الاوضاع بدءا على عقب بالنسبة لكل ما يتصل بفرنسا من حلفائها • فلابد والحالة هذه من ظهور آراء جديدة ومطامع حديثة نتيجة لانهيار الجيش الفرنسى • رغم ظهور الجنرال « ديجول » بما لديه من قوة يمثل الوجود الفرنسى فى صفوف الحلفاء • الا أنهم اعتبروه عالة عليهم لا يستحق

ما اتفــق عليه مــع فرنسا قبل الحرب فاخذوا يضعونه فى تحركاتهم الحربية والسياسية ومغانمهم الارضية فى درجة ثانوية على الاكثر .

وكما أن الخلاف الذى نشب بين المهاجرين الليبيين فى مصر جعلنــا نفكر فى تحديد طريق سيرنا نحن ايضا . لان «السيد ادريس» ومـن انضـــم لرائيه من جهة وفريق من الزعماء هم : عون سوف الطاهر المريض ـ أحمد الشتيوى رحمهم الله ومن انضم لرايهم من جهة أخرى . نشب هذا الخلاف بسبب تباين النظريات فى طريقة مشاركةالمهاجرين الليبيين فى الحرب بجانب الحلفاء من أجل تحرير الوطن

فالسيد ادريس يرى الاندفاع فى الحرب مع الحلفاء على طـريق الانجليز بدون قيد ولا شرط ولا تحفظات ثقة منه فى الانجليز ـ بينمــا الزعماء الآخـرون يرون لا مشاركة ولا تضحية بالمواطنين فى حرب ضروس الا بضمانات رسمية من طرف الانجليز لمستقبل الوطن وذلك لعدم توفر الثقة لديهم فى الانجليز بناء على المـاضى القريب والبعيد . وحقيقة الاتجاهات اذ ذاك كانت غامضة الا عن عناصر محدودة فى الشرق وفى الغرب لعلها تعلم شيئا من الأسرار فى الموضوع .

قلنا عن ذلك الخلاف الخطير الذى كادت أن تتكلم فيه لغة الرصاص بين المجتمعين وأوشك أن تتطــاير الارواح من اجسادها لولا عنــاية الله التى حفت القوم والطافه التى عمتهم . فلقد قال لى الاستاذ ((عبد الرحمن دقدق)) فى أحدى رسائله الى وأنا في تونس ، وهو اذ ذاك طالب يدرس فى الازهر وعلى اتصال بعناصر الحــركة الوطنية فى مصر ، فلقد قال فى رسالته ((... ولقد وصل التوتر بين الفريقــين المجتمعين حده الخطير فى مكان « كذا » شــوهدت فيه الايدى على مقابض المسدسات ولولا وصول قطار السكة الحديدية الذى فرق بين الجموع المتوترة لحدثت مقتلة فظيعة ولــكن الله ســـلم ..))

ثم ان موقف (اللجنة الطرابلسية) فى مصر هى الاخرى وعلى رأسـها الشيخ ((الطاهر الزاوى) مفتى الجمهـورية العربية الليبية اليـوم . الذى وصــلتنى منـه عدة رسائل ، وكانت مواضيع رسائله كلها تحـذر من تمكين (السيد ادريس) من الحكم فى البلاد بحجة انه غير صالح لحكم البلاد اطلاقا لانه رجل سلبى ضعيف الارادة لايمكن أن يرجى منه خير للوطن .

وبعد هذا هناك ((جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة)) فى الشام وعلى رأسها المغفور له ((بشير السعداوى)) .. وهذا يرى عدم مقاومة ادريس علنا لان ذلك يجعله يرتمى فى احضــــان الانجليز اكثر ممــا هو عليــه الآن ، بل ولا يتـــورع حتى فى تقســـيم البلاد ومن ورائه الانجليز . وفى ذلك البلاء المبين . ولذلك يرى رئيس هذه الجمعية أن نعمل علــى انقاذ البلاد من خطر الاستعمار والوصــول الى استقلالها باى طريقة . ولنترك الـكلام على ادريس ما أمكن الى أن تحصل البــلاد على استقلالها ويصبح الحكم للشعب وحينئذ تكون الكلمة للشعب فى شــكل الحكم وغيره بالطريقة التى تضمن مصالحه وحقوقه .

فلهذه العوامل مجتمعة وغيرها التى سيكون لها تاثيرها على سير قضية الوطن حتما يجب علينا أن نسعى حثيثا وراء معرفة تطوراتها ودراستها دراسة دقيقة بالنسبة لنا نحن فى تونس لكى نتمكن من معرفة الاتجاه الصحيح الذى يجب ان نسير معه . خصوصا وقد كانت الاتصالات بيننا وبين أخواننا فى الشرق منقطعة فى كامل مدة الحرب . واصبحنا لاندرى فى خلال هذه المدة اذا كانت قد أتت على الاتجاهات السابقة عوامل وأسباب خلقتها ظروف الحرب فتغيرت تماما

فلهذه الاسباب كلها قررت الجمعية تكليف سكرتيرها ((احمد زارم)) بالدخول الى طرابلس بالطريقة التى يختارها . وتنفيذا لذلك أخذت أفكر فى الطريقة التى يمكن استعمالها لاجتياز الحدود فاخترت طريقة التاجر المهرب . وهذه عملية مالوفة كثيرا فى الحدود بين البلدين ولها انصار وعملاء فعمدت الى شراء مائة كيلو غرام « من الشاشيه : طاقية » من تونس وأرسلتها الى بنقردان حيث سلمت الى شخص معين والتحقت بها بعد ثلاثة أيام .

نزلت فى بنقردان واتصلت بالأخ « أحمد صكح المسراتى » وهو من سكان « بنقردان » ومن خبراء هذا الفن من التجارة . اتفق هذا الأخ مع أحد أفراد « السبايس » من مجموعة ارصاد الحدود التونسية والقاطنين (بقصر الشوشة) باستمرار اتفق معه لكى يتولى نقلى مع بضاعتى الى الحدود الليبية مقابل أجر معين وفى ليلة مظلمة وبعد العشاء وضعت البضاعة على (حمار) وغادرنا بنقردان على الأرجل وصلنا الى (قصر الشوشة) فى وقت متأخر وبتنا بمحل سكناه حذو (القصر) .

وفى الصباح الباكر قدم لى صاحبى فطور الصبح وهو يتكون من آنية بها ((زميطة)) وطبق من « الجراد اليابس » وعقبهما الشاهى الاحمر . ولست أذكر هذا الفطور تعريضا . كلا والله ذلك لانه شىء طريف وغريب عند شباب اليوم . أما فى الماضى فان هذه الانواع من الاكل مألوفة ومعروفة هنا وهناك .

وبعد اتمام الفطور خرجنا من المحل ووقفنا فى مكان مرتفع وأشار على بالطريق التى ينبغى أن نسلكها بعيدا عن الطريق الرئيسى حتى أصل الى الحدود الليبية والمسافة بين قصر الشوشة ((ورأس جدير)) حوالى ثمانية كيلو متر تقريبا . وقد قال لى أن شخصا ليبيا يدعى « الشيخ أحمد شلغم)) يوجد قرب الحد داخل الاراضى الليبية عنده ((قيطون : خيمة)) يقصده الناس فانتظر عنده وستصلك بضاعتك ليلا ان شاء الله .

ولقد انطلقت من هناك مخترقا تلك الوهاد التى تنتشر فيها قليل من الابل والحمير ترعى هنا وهناك . انطلقت فى اتجاه الحدود الليبية متنكبا الطريق الرسمى حتى وصلت الى المبنى ((برأس أجدير)) والمسافة بين هذا المبنى الليبى وخيمة الشيخ أحمد حوالى اثنين ك.م داخل الاراضى الليبية دون أن يكلمنى أحد . وصلت الخيمة وفى الليل وصلت بضاعتى . ومن الغد أجر لى الشيخ أحمد شلغم جملا حمل بضاعتى وانطلقنا أنا والجمل وصاحبه بعد الظهر وقطعنا المسافة ستون

ك ٠ م مشيا على الاقدام وصلنا اخر الليل الى مكان يدعى ((الشطبان)) الى الجنوب من مدينة ((زوارة)) حيث أن صاحب الجمل من سكانها ، بت تلك الليلة غائصا فى كومة من التبن داخل محل كبير معد لخزنه ٠

وفى الصباح الباكر قصدت مدينة ((زوارة)) واتصلت بالحاج عبد السلام أبو سهمين وأعلمته بوجود البضاعة ومكانها ٠ ولقد قام الحاج عبد السلام أبو سهمين بجميع الاجراءات الخاصة بالترخيص للبضاعة ثم ارسلت الى طرابلس وسلمت للحاج محمد الكريكشى ٠ وبعد ليلتين عند الحاج عبد السلام فى زواره خرجت معه الى باديتها حيث كانت كل عائلته تنتجع فى مكان اسمه ((العقيلة)) وهناك اجتمعت بمجموعة من الاخوان الزواريين وسمعت الكثير من أحاديثهم البريئة فى مختلف الشئون اذ كانت أحاديثهم فيما بينهم وعلى الطبيعة لا تزويق ولا تنميق ٠ وقد خرجت معهم يوما للصيد على ظهور الخيل ٠ ولقد كانت أيام جميلة ـ على الرغم من وضعى الشاذ ٠ فلقد كنت فى شكل المساكين وزى المعدمين ٠ لباس رث وحذاء مهلهل وعيون تنظر وفاه مغلق وفى سكون الغريب وهدوء الساذج وموقف المجهول من الجميع ٠ الا الحاج عبد السلام أبو سهمين ٠

حكاية طريفة

وفى خلال تلك الايام التى تربو عن الخمسة فى بادية ((زوارة)) وهى أيام جميلة ـ أقول جميلة رغم ماعلمه مظهرى المصطنع ذلك المظهر الذى جعل منى شخص لايهتم به ولا ينظر اليه الا كسائل رمت به الحاجة الضرورية ٠ وفى تلك الحالة تذكرت قول الشاعر العربى عندما قال ـ

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا

تجاهلت حتى قيل انى جاهل ٠٠

خصوصا عندما تحركت فى يوم من تلك الايام فى الحاج ((خالد أبو سهمين)) شقيق الحاج عبد السلام غريزة حب الاطلاع واكتشاف المجهول ٠ فلقد سأل الاول الثانى بطريقة خاصة قائلا له : ((لمن هذا اللى جايبه معاك)) ٠٠ ؟ فقال له الحاج عبد السلام هذا صاحبى ـ فنظر له الحاج خالد نظرة فيها عتاب وقال له : (مالقيتش من اتصاحب فى الدنيا غير هاشكل)) فاجابه الحاج عبد السلام بلهجة كلها جد بقوله : ((موش شغلك)) ٠

وبعد رجوعى الى الوطن فى سنة ١٩٤٨ وقيام ((المؤتمر الوطنى العام)) وقد كنت فيه الشخص الثانى بعد وفاة المرحوم الطاهر المريض من الناحية العملية ٠ وقد كنا فى يوم من الايام من سنة ١٩٥٠ فيما أتذكر مجموعة من الاخوان فى محل تجارة الحاج خالد أبو سهمين فى شارع الرشيد بطرابلس وبينما نحن فى تبادل الكلام فى موضوع الوقت اذ قاطعنا الحاج خالد ٠ قائلا : ((بالله سامحونى يا جماعة)) فسكت الجميع وعندها وجه كلامه الى وقال : ((أسألك بالله انت اللى جيتنا هاك العام امجرتل زى الدرويش ٠٠ ؟)) قلت لا أدرى أعرف أنت ٠ فقال : والله اولا اننى عرفت ثم تأكدت من الغير ما انصدق اللى انت هو ، وأخذ يحكى للجماعة القصة كلها ٠

الموقف المفاجىء :-

بعد تلك الايام فى البداية عدنا الى مدينة زوارة .. ومن الغد خرجنا الى ميدان السوق استعدادا لركوب السيارة للسفر الى طرابلس وبعدما ركبت وركب الناس انصرف الحاج عبد السلام لشأنه وبينما السيارة مكتظة وهى مزمعة التحرك صعد اليها ضابط انجليزى وأخذ يتفرس فى الوجوه بدقة واهتمام . ودون ما سبب معروف .. ودون جميع من فى السيارة تقدم الى الضابط وأخذ يتفرس فى وجهى « فقلت فى نفسى ياساتر لا تكشف » وبدأ يسألنى .. انت اتيا من تونس . . ؟ فقلت نعم قال متى قدمت .. ؟ قلت منذ عام مضى . وقال ما اسمك .. ؟ قلت : أحمد دون أن اذكر اللقب قال (كنيلة بعلك ..؟) قلت : من الرحيبات . قال أين ذاهب .. ؟ قلت الى طرابلس .. قال ماذا تفعل فى طرابلس .. ؟ قلت لاعود الى الرحيبات من هناك لعدم وجود الواسطة من هنا .

ولقد حرت فى الامر لماذا يقصدنى دون الجميع ولكننى رغم المفاجأة تجلدت واجبته على كل السؤالات بصورة طبيعية ولهجة عادية . وبعدما انتهى الضابط ونزل من السيارة قال لى رجل من الركاب الذين هم فى السيارة : لا يهمك أمره فانه يبحث عن شخص ارتكب جريمة واختفى . من أيام ماضية . وبعد أن نزل الضابط أقلعت بنا السيارة وصلنا الى طرابلس وفى نفس اليوم اتصلت بالحاج محمد الكريكشى وعلمت منه بوصول البضاعة سالمة .

كيف وجـدت الجو فى ليبيا

بقيت فى طرابلـس عـدة ايام اتصـلت من خلالها بالعـديد من الاخـوان من مختلف الطبقات والجهات وسمعت الكثير من الاقوال والتكهنات والاراء وعلمت بل ولمست أن السموم الاستعمارية آخذة فى الانتشار مركزة جهودها بصورة خاصـة على الجزء الشرقى من الوطن حتى لقد أصبح الاتجاه فى الجزء الغربى عكســه فى الجزء الشرقى فالاختلافات أساسية ليست فى الوسيلة ولكنها فى الجوهر والغاية

ولقد يتضح جليا من التصرفات الجارية وكل الامور أن الحالة السائدة تنـذر بخطر مخيف على مستقبل الوطن . فلقد كانت الأدلة قائمة والحجج واضـحة عـلى ذلك التخوف . فالاجراءات والمعاملات على الصعيد الرسمى وشبه الرسمى كانت غير طبيعية بل هى استفزازية متنمرة ولقـد كادت أن تنتشر تلك التصرفات حتى فى عامة الشعب البرىء ، فالحدود بين الجهتين قائمة وتكاد تكون مغلقة والعراقيـل قائمة فى كل مسافة . والمعاملة فيها جافة بل مثيرة وأحيانا شديدة فلاأثر للاخوة فيها .

وأصـوات الوحدويين المخلصـين فى الجـزء الشرقى آخذة فى الاختفاء بسبب الرغبة او الرهبة ومنها من نكص على عقبيه علنا ارضاء للمستعمر وعملائه ولم يبـق الا أفذاذ يتظاهرون بأرائهم رغم الضغط المسلط عليهـم بمختلف الطـرق ، وأصـبح اجتياز الحدود المصرية مثلا أخف أتعابا وأحسن معاملة من الحدود التى أقامهـا الاستعمار الانجليزى بين أجزاء البلاد . والحدود التونسية أقـل اشـكالا وأكثر تسامحا من حدودنا الداخلية المصطنعة . والبضائع يمنـع انتقالها من الشرق الى الغرب من نفس الوطن . والنقود المتداولة فى جزء من الوطن غير المستعملة فى الجزء الاخر .. والمحتل واحـد .

هذه هى الحالة والاوضاع فى الوطن اذ ذاك ، وهذه هى السموم الاستعمارية التى اخذت تتحرك وتغزو النفوس وتسيطر على الضمائر الخربة على طريق العملاء الذين يقدمون مصلحتهم الخاصة ذات العمر المحدود جدا على مصلحة الوطـن والمواطنين الدائمة حرصا على الوصـول الى الكراسى التى يلوح لهم بها المستعمر أكثر من حرصهم على مصلحة وطنهم ومواطنيهم فضـلا عن مصـلحة أمتهم كأمـة لغـوية ودينية وعرقية ومصلحية تجمعهم بها كل هذه الوشائج ولكنهم جعلوها وراء ظهـورهم

عناصر معدودة حاصرت العاملين المخلصين لخير الوطن هنا وهناك فأفســدت الجو واضاعت حقيقة الاستقلال . مع أن المعروف لدى الجميع وما عرفته أنا شخصيا أن الشعب فى كل أنحاء الوطن شعب طيب الاعراق سليم الوجدان طاهر الضمـير تجيـش فى نفســه عواطف الاخوة والمحبـة . ولكن خبث الاسـتعمار الانجليزى واستخذاء عناصر غير قليلة من شعبنا أقول بكل أسف : من شعبنا ، هذه العناصر باعت الضمائر (وهى الغاليـة التى لاتبـاع) بثمن لايسـاوى رغيف من الخبز المـر

« أو الخبز المسموم على حد تعبير الاخوان الجزائريين فى مناسبة وقعت أبان ثورتهم المظفرة» وهذا الثمن على تفاهته سيدفع لهم من عرق شعبهم وخيرات بلادهم، وليس من أموال الاستعمار هذه العناصر المترديه فى حضيـــض الطمع وهاوية المذلة والتى ألفت من قبل تحمل الاذى والرقاد على القذى كادت أن تقضى على تلك الاوصاف الجميـــلة الكامنة فى جوهر هذا الشعب العريق فى عروبته المتمسك باسلامه بواســطة حــراب الاســتعمار وبدافع من عقدة الخبيثة . هؤلاء الاذلاء منهم اليوم الاحيـــاء ومنهم الاموات جزاهم الله جميعا بما يستحقون فهو أعلم بهم وبما يستحقون .

العودة الى تونس واجتماع الجمعية

هذه هى المهمة التى جئت الى طرابلس من أجلها ، وبعد الوقوف على ما تقدم ذكره من الاحوال السائدة فى الوطن عدت الى تونس احمل الى الاخوان هـذه المعلومات التى تمثل بوادر مخيفة تنتج عنها مشاكل عويصة وخطيرة على مستقبل الشعب . وبعد أيام من وصولى أعددت تقريرا عن كل مارأيته وسمعته واستنتجته وعلى أثر ذلك اجتمعت الجمعية لدراسة ما تضمنه التقرير . وما تجمع لديها من الاخبار . ولقد اجتمعت فى شهر يونية من سنة ١٩٤٦ م وبعد استعراض الاوضاع والمداولة قرر المجتمعون شيئين اثنين وهما :

١ - رفع مذكرة الى قيادة الحلفاء بشأن ماوصلت اليه الحالة فى الوطن الليبى

٢ - تشكيل وفد لمقابلة السفارة الامريكية بتونس بشأن مستقبل بلادنا .

حرر التقرير وترجم الى اللغة الفرنسية وأرسلت صورتين منه احداهما للقائد الامريكى وأخرى للقائد الانجليزى فى الجزائر . ومن جملة ما حواه التقرير المطالبة بسحب الجيوش من كافة البلاد الليبية الا ما هو ضرورى لحفظ الامن وأشار التقرير الى بعض الاسباب الموجبة لهذا الطلب منها الفساد الذى حدث ويحدث فى البلاد من طرف الجنود .

وضرب مثلا على ذلك وهو ان ابواب البيوت قد انتزعت من أماكنها من طرف الجنود ووصلت الى تونس وبيعت هناك . ولقد شاهدنا ذلك مشاهدة العين وهذا نوع من التخريب يدل على وقوع أشياء أخرى . كما أن كثيرا من الحوادث وقعت وتقع بين الشعب والجيش بسبب الخمرة ونشوة الانتصار وكثرة الجيوش . فلهذه الاسباب وغيرها وللابقاء على راحة البلاد وعلى سمعة الحلفاء واجتنابا للمنغصات التى قد تتطور الى كراهية متزايدة تؤدى الى تصادم بين الجيش والعناصر الغير مسئولة . وقد تؤدى هذه الى اضطرابات عامة تشمل الشعب بأكمله .

لذلك نطالب بالحاح العمل على سحب المزيد من الجيش .. ولقد أرسل التقرير ولكننا لم نتلق عليه أى جواب من الطرفين .. كما تشكل وفد من أربعة أعضاء هم فيما أتذكر - محمد عباس - محمد بن خليفة - نور الدين شميلة - أحمد زارم - وقد اتصل هذا الوفد بالسفارة الامريكية بتونس للدخول معها فى أحاديث حول مستقبل الوطن الليبى واستطلاع ماعسى أن يبدر من خلال المحادثات

وفى شهر أكتوبر ١٩٤٦ فيما أتذكر استقبل هذا الوفد من طرف السفارة الامريكية بتونس وقد كان حديثنا مع السفارة فى هذا الاجتماع يدور كله حول مستقبل المستعمرات الايطالية ثم تركز الكلام بصورة خاصة فى موضوع اشاعة اعادة الحكم الايطالى الى ليبيا وعلى التحديد اقليم طرابلس الغرب الذى كانت تحوم حوله مطامع ايطاليا واضحة كل الوضوح وفى هذه المقابلة شرحنا للسفارة موقفنا بجانب الحلفاء ومشاركتنا الفعلية لهم فى الحرب وان مشاركتنا هذه وان كانت بالنسبة للموقف ولقوات الحلفاء والمحور تعتبر شيئا ضئيلا جدا الا انه من الناحية

المعنوية . ومن ناحية البرهان على صدق عزيمتنا واندفاعنا فى اخلاص وتصميم لا تترك مجالا لشك فى موقفنا .

لذلك كله فان الواجب الادبى والانسانى يفرضان على الحلفاء معاملة شعبنا بقدر الثقة التى برهن عليها فى جانبهم . وفى استطاعتنا ان نؤكد بان شعبنا سوف لم ولن يرضى بعودة النفوذ الايطالى الى بلاده على أى مستوى كان وبأى أسم سمى واننا نرى انه من الواجب علينا لمصلحتنا ولمصلحة الجميع ان نصارحكم فى الوقت المناسب وهو الان . نصارحكم بان جميع منضماتنا فى الخارج وجميع عناصر شعبنا فى الداخل والخارج قد عولت بكل جد وتصميم على مقاومة أى محاولة تعمل على ارجاع النفوذ الايطالى مهما كانت التضحيات والنتائج التى تترتب على ذلك .

وفى هذه الحالة فاننا ندرك جيدا مدى الاتعاب والاضرار الفادحة التى سوف يتعرض لها شعبنا ولكن هذه الاتعاب والاضرار فبقدر ماهى صفحة بيضاء ناطقة بالفخر والاعتزاز فى منعطف من منعطفات تاريخنا توحى الى أجيالنا المقبلة والعالم أجمع ما لشعبنا من حب الفدى وكرم التضحية فى سبيل العزة والكرامة والحرية فهى فى الوقت نفسه ستكون نقطة سوداء حالكة فى تاريخ الحلفاء . ان هم وافقوا على عودة الاستعمار الايطالى او تساهلوا فيه ويسجل عليهم التاريخ بأنهم قابلوا الحسنة بالسيئة .

وفى آخر المحادثات قال لنا السفير الامريكى انه سيبلغ كلامنا هذا كاملا وبكل أمانة الى جهات الاختصاص .

وفى خلال هذه السنة . سنة ١٩٤٦ م كان قد عاد الاخوان : محمد محمد عباس ـ ومحمد خليفة ـ الى الوطن نهائيا .

مقابلتي للوفـــد الامــريكى
فى لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية

وفى اواخر سنة ١٩٤٧ ، فيما أتذكر وعلى غير انتظار تلقيت من موزع البريد « كازت » هى استدعاء من طرف السفارة الامريكية بتونس ، وكان الاستدعاء باسمى الخاص دونما اشـارة للجمعيـة ٠ ذهبت الى السـفارة المذكورة فى الوقت المحـدد وصلت السفارة فوجدت مجموعة من بينها وجهان لم اعرفهما من قبل فى مجموعة هذه السفارة ٠ وقد عرفت أحدهما فيما بعد عند حلول هذه اللجنة فى ليبيا سنة ١٩٤٨ ٠ انه رئيس الوفد الامريكى فى لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية ٠ كما أن السؤالات التى دارت بيننا كانت نفس الصفة والمعانى التى استعملت فى ليبيا من طـرف اللجنــة المذكورة ٠ الا أن ما دار بيننا فى السفارة بتونس كان اكثر عمقـا وأوسع صـغة ٠ ٠ وفيمـا يلى نص السؤالات والاجوبة بالضبـط : ـ

س ـ فى نظركم من هى الشخصية التى تختارونها تحـكم بلادكم سـواء أكان ذلك ملـكا أم رئيسـا ؟

ج ـ مسألة اختيار الشخصية الحاكمة أو شـكل الحـكم فهـذان أمران لا يمـكن لشخص واحد أن يختارهما خصوصا من كان مثلى بعيـدا عن الوطن ولا يعرف له اتجـاها فى الوقت الحـاضر ٠٠ ولذلك فاننى لا أسـتطيع الاجابة على هـذا السـؤال ٠

س ـ أليس لـكم منظمات سياسية وعلى اتصال ببعضكم ولـكم برامج عمل واتجـاهات لمستقبل بلادكم تسيرون عليها وتعملون لتحقيقها منذ أمد بعيد ٠ ؟

ج ـ هذا صـحيح ولكن ظروف الحـرب حالت بيننا وقـد انقطعت أخبـارنا عن بعضنا الا قليـلا ٠٠ والحرب من شأنها تغيـير كل شيء ونحن الان ننتظر فرصة الاتصال ببعضنـا لتصحيح أوضاعنا طبقا للظروف والمستقبل ٠

س ـ هناك أربعة أوضاع نود منك أن تختار واحدا منهـا وهى : وصـاية فردية ـ وصاية ثنائية ـ ووصاية جماعية ـ وصاية دولية ٠٠؟

ج ـ نحن نريد الاستقلال ولا نرضى بغيره ولا نختار عليه أى وضـع اخر ٠ كفـانا ما قاسيناه من الويلات سنين طويلة ٠

س ـ واذا لم يكن الاستقلال فماذا تختار من هذه الاربعة أوضاع ٠؟

ج ـ ففى هـذه الحالة القوى أن يفعل ما يشـاء ٠ وللضعيف أن يتدبر أمره ويفكر فى مستقبله ويتخذ طريقة متوكلا على ربه وكفى ٠

س ـ لا ٠٠ نحن لا نعنى عدم الحصول على الاستقلال ولكنه مجرد فرض لكى نعرف التفاضـل بين هـذه الاوضاع بالترتيب الاول فالاول الخ ٠ ٠ مـع اعتبـارنا انكم مصرون على الاستقلال ولا ترضون به بديلا فهل من الممكن أن تبين لنا ذلك ٠؟

ج ـ أقول لكم ذلك ولكن كفكرة شخصية .. ومع ذلك لا تأخذوها على حجة فى هذا الامر .. فقال : طيب . قلت : الوصاية الفردية اختار مصر ـ واذا كانت جماعية أختار الجامعة العربية .. وهى مجموعة من الدول ـ واذا كانت دولية فاختار هيئة الأمم المتحدة مباشرة .

س ـ عندما تكلمت على الوصاية الفردية فلماذا اخترت «مصر» دون غيرها واذا لم تكن مصر فأى دوله غيرها تختار . ؟

ج ـ لم يكن لى ما اختار بعد هذا اذا كان الامر اختياريا .

س ـ هناك ثلاث دول وهى : دول الحلفاء فلماذا لا تختار منها . ؟

ج ـ هذه دول استعمارية ونحن ماللنا من الاستعمار . ولا استطيع أن أفرق بينهما ولا اختار منها فهى فى نظرى فى درجة واحدة .

س ـ اذن لماذا اخترت مصر ؟

وهنا عند هذا السؤال وقفت قليلا أفكر ماذا أقول .. فبادرنى مترجم السفارة بقوله : (قل لأنهم مسلمون) وعلى الفور قلت لا .. ليس هذا هو الدافع فلو كان هذا هو الدافع لاخترت تركيا وهى أمة مسلمة وأكثر تقدما من مصر . ولكننى اخترت مصر من أجل آمالنا واحدة وعوائدنا واحدة وأراضينا مختلطة .. وفوق كل ذلك . مسألة التعليم فالذى نستطيع ان نتعلمه بأية لغة أجنبية فى عشر سنوات يمكن أن نتعلمه بلغتنا فى ست سنوات مثلا وهذه هى الدوافع الحقيقية لاختيارى مصر .

وبعد ذلك ولما كان قد عاد الاخوان ((محمد عباس ـ ومحمد خليفة)) الى الوطن نهائيا كما تقدم فقد أصبحت الجدعية فى نقص واضح خصوصا وان الاخوين المذكورين هما عنصران قويان فيها ولما كانت الحالة فى الوطن كما تقدم وصفها والتى يستنتج منها بل يتضح تماما وجود مساع استعمارية على غاية من الخطورة .. مساع تعمل حثيثا وبطريقة غير مباشرة لتفتيت شمل الشعب وتقسيم البلاد بتأليب المواطنين على بعضهم ليتاح للاجنبى جو السيطرة على الجميع .

آخـــر اجتمــاع للجميعــة وفيه

وقع تبديل اسمها « الوحدة الليبية »

نظرا الى ماتقـدم فقد رأوا أعضاء الجمعيـة الدعوة الى اجتماع عاجـل لبحث الأوضاع وتحـديد الموقف وتسـديد النقص الذى حـدث بسبب عودة الاخـوان الى الوطن ، ولقد اجتمعت الجمعية فى أواخر سنة ١٩٤٧ م وفى هـذا الاجتماع تقـرر تغيير اسم الجمعية من ((جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين)) . الى « جمعية الوحـدة الليبية)) وفى هـذا الاسم جواب غير مباشر أو هو معارضة غير صريحة على تلك المساعى والحركات الاستعمارية التى تهدف الى تقسـيم البـلاد للفوز بقسـم منها يختاره الغالب لنفسه ثم التكرم بالقسـم الثانى على عدوه الذى كان يحـاربه . !!

فهـذه المساعى الاستعمارية قد أوجدت من بين الشعب عناصر ذات عقـول مريضة رضيت بمثل تلك الخيانة العظمى .. وجعلت منها تربة صالحة لنمو مساعيها الرهيبة .. فانحطت ضمائرها الى حضيض المهانة ومرغت فى الوحل ..

وفى هـذا الاجتماع اختير الاستاذ ((محمد غالب الكيب العلاقى)) رئيسـا للجمعية والاخ « عمـر مالك » أمينا لماليتها .. والاستاذ ((محمد غالب)) رحمـه الله شخصية وطنية صادقة مخلصة وعلى جانب من الثقافة العربية وخريج المدرسة الحربية »باستانبول« وله مبادئ باللغتين الايطالية والفرنسية وهو ضابط برتبة ملازم ثانى .. وقد كان من ضباط الجهاد . ولما تغلب العتاد الايطالى على المجاهدين هاجر الى تونس وبقى بها حتى انهزام ايطاليا . ثم عاد الى الوطن وعاش بين أهله عدة سنوات وتوفى فى بلده ((صبراتة)) رحمه الله .

وبعـد هذا التجديد فى هيكل الجمعية سارت فى عملها مترصـدة أخبار التحركات السياسية الدولية فى موضوع مستقبل المستعمرات الايطاليـة بصورة رئيسية . وفى مارس سنة ١٩٤٧ فيما أتذكر وصـلتنا برقية من (القاهرة) تفيـد أن هيئة تشكلت فى مصر قوامها زعماء ليبيون مهاجرون وقد أطلق عليها اسـم : ((هيئة تحرير ليبيـا)) برئاسة المغفور له « البشير السعداوى)) وعضوية كل مـن الطاهر المريض - واحمد الشتيوى السويحلى - ومنصور بن قدارة - رحمهـم الله جميعا .. ولقد كان هـذا التشـكيل بمعرفة ومساعدة الجامعة العربيـة والحـكومة المصرية ..

وفى نفس الوقت الذى وصلنا فيه خبر تشـكيل هـذه الهيئـة اجتمعت هيئـة جمعيتنا فى تونس وبعد دراسة الموضوع من كل جوانبه واستعراض العناصر التى تشكلت منها ((هيئـة تحرير ليبيـا)) على ضوء المـاضى قرر المجتمعـون الموافقة عليها وتأييدها .. وأبرقنا بذلك اليها . وفى يناير من سنـة ١٩٤٨ م تأكد لدينا من مصادر موثوق بها . بأن لجنة رباعيـة دولية للاستـفتاء ستحل قـريبا فى ليبيا لاستفتاء السكان فى اختيار تقرير مصيرهم .

وبعد أيام من هذه المعلومات سافر ((الاخ عمــر مالك)) من تونس الى طرابلس ملتحقا بالاخوان الذين سبقوه الى الوطن وفى اول يوم من شهر يناير من سنة ١٩٤٨م غادرت أنا تونس ملتحقــا بالاخوان فى ليبيا ولقــد كان هــذا التسابق فى العودة الى الوطن باتفاق هيئــة الجمعية حتى يصــل عــدة أفراد منــا الى ليبيا قبــل وصول اللجنة الدولية اليهــا .. وذلك للوقوف على الحالة فى البلاد وتطورات الافــكار وتعزيز جانب العناصر الوطنية المخلصــة لتهيئة أفكار الشعب لمقابلة لجنة الاستفتاء الرباعية بما يجب أن تقابل به من المطالب فى عبارات منســقة ومحدودة حتى لايقــع التلاعب بمستقبل بلادنا وانحــرافها نحو أهداف الاســتعمار بواسطة تلك العناصر المستخذيه التى بدأت تزرع سمومها حسبما يوحى اليها بين عامة الشعب .

ركبت الســيارة من تونس ووصلت بنا الى حيث ملتقى أرضين عــربيتين — طرابلس — وتونس — وفى رأس اجدير بالضبط حيث الحد الفاصل بين هــذين البلدين وقفت بنــا السيارة لاجراء العمليــات الجمركية .. وفى نفس اللحظة وقفت السيارة القادمة من طرابلس وكانت مشحونة بالركاب وهى فى طـريقها الى تونس . فنظرت اليها فاذا بالاخ (عمر مالك) داخلها بين المتجهين الى تونس فـكانت مفاجأة بالنسبة لى عمر مالك الذى عاد الى الوطن من أمد قريب على أمــل البقاء فيه والعمــل فيما عاد من أجله .. اذ به يعود الى تونس .. !!

فاندفعت نحــوه فى حيرة وقلق وسألته من خارج الســيارة : « ايه الــحكاية ياعمر ؟ » فأجابنى بجملة مقتضبة : « ها هو لنكليز طردونا ياسيــدى » فقلت فى نفسى هــذه بداية الصراع وأرجو الله الاعانة والتوفيق .. وبعــد اتمــام الاجراءات الجمركيــة تحركت بنا السيارة .. وصــلنا طرابلس وبعــد أيام من وجــودى فيها عرفت تعدد الاحزاب بصورة غير مرضية حتى لقد توجست خيفة فى نفسى مــن ذلك لان التعدد تشتم منه رائحة الانانية قاتلها الله .. وحب الظهور ولو شكليا وليس هذا وحسب ولكن ..

ولــكن يفهم منه أيضا أن الذين يقدمون على ذلك التعدد فىظروف كتلك الظروف يتضح جليا انهم لايشعرون بخطورة الموقف وثقل المسئولية .. أو كأنهم يقصدون من عملهم ذلك أنهم يقولون للمحتل ها نحن هنا فلا تنسى وجودنا .. ولهذه الاســباب كلها صممت على البقاء مستقلا عن الاحزاب .. كل الأحزاب .. وأكون معينا بكل جد واخلاص لأى عمل وطنى مخلص أيا كان مصدره حسب فهمى واجتهادى .

وفعــلا بقيت مدة لاأنتمى لأى جهــة من تلك الجهــات الحزبيــة التى بلغ تعدادها سبعة أحزاب فى اقليم طرابلس الذى لا يتجــاوز عدد ســكانه مليون نسمه اذ ذاك هــذا خلاف ما يوجد منهــا فى اقليمى — برقة — وفزان — وفى بحر المــدة التى قضيتهــا فى طرابلس قبــل مجىء ((هيئــة تحرير ليبيــا)) أخــذت فى الاتصال ببعض جهات الدواخل فى مناســبات الاسواق وغيرها لكى أعرف مايدور على مايدور على ألسنة المواطنين على الطبيعة هذه هى أعمالى فى تلك المدة الاولى .

وبما اننى حديث العهد بالبلاد فمعارفى من النـاس فيها كانت قليلة ، لذلك فقد كنت كثير التردد على الحاج محمد يونس الدريكشى فى مكتبه بسوق الربع لتمضية الوقت .. ولقد كان يجذبنى اليه سببان اثنان هما :

أولا - هو اننى كنت أعرفه من قبل اذ قد تعرفت اليه منذ سنة ١٩٣٦ م فى تونس .. والشىء الثانى هو ما عرفته فيه من الاحساس الوطنى والشعور القومى من قبل لايزال كما كان فى رأيه وتفكيره عندما جئت الى طرابلس سنة ١٩٤٨ م فلذلك اطمئننت له ومع ذلك فهو يجلس معه ويتردد عليه الكثير من المواطنين من مختلف النزعات الفكرية والاتجاهات السياسية والمبادىء الحزبية ولقد وجدت فى ذلك فرصة مناسبة للتعرف على الكثير من شباب ذلك الزمن والاطلاع على الافكار .. ولا غرو فان غيابنا عن البلاد كان يمتد الى ربع قرن وهذا جيل جديد .

انتسابى الى الجبهة الوطنية المتحدة بطرابلس

ففى يوم من أيام وجودى فى طرابلس من تلك الايام الخوالى بينما كنت كعادتى جالسا بمكتب ((الحاج محمد الكريكشى)) واذا برجل لا أعرفه وقف أمامنا وأفشى السلام . ثم ناولنى ورقة مطوية وبدون ظرف .. ثم انصرف الرجل لشأنه ولما فتحت الورقة فوجدتها مرسلة من قبل المرحوم « الطاهر أحمد المريض » وفيها يطلب منى موافاته فى الحال الى مركز ((الجبهة الوطنية المتحدة)) بشارع عمر المختار لامر هام .

ولقد ترددت كثيرا أن أذهب اليه ولم يكن ذلك لشخصه كلا . وانما قد توقعت بأنه سيطلب منى الانتساب الى الجبهة .. وأنا كما ذكرت عولت على عدم الانضمام لأى جهة حزبية وليس هذا الموقف أى التردد فى اجابة طلب الطاهر المريض ناشئا عن أسباب تعدد الاحزاب كما ذكرت من قبل وحسب .. وانما هناك أشياء أخرى هى أكبر مانعا لدى . وهذه الاشياء هى وجود عناصر معينة معروفة لا يمكن لى العمل معها ولا الاطمئنان لها بالنظر الى ماضيها وحاضرها وما تهدف اليه فى سرها .

من أجل ذلك ترددت كثيرا فى الذهاب اليه كما قلت غير أن الحاج محمد الكريكشى خالفنى فى الموقف اذ طلب منى تلبية النداء قائلا : ان الواجب يفرض عليك الاتصال به ومقابلته .. وحتى لو كان الامر كما تبادر اليك فهو ليس بمانع .. فان القبول وعدمه لم يكن مرتبطا بالمقابلة .. ولقد اقتنعت بهذا الرأى وتوجهت الى « مركز الجبهة الوطنية المتحدة » بشارع عمر المختار بناية بن زقلام .. وفيها وجدت الطاهر المريض ـ ومحمد ابو الاسعاد العالم ـ رحمهما الله .. واحمد عون سوف .

جلسنا فى احد مكاتب الجبهة .. وبعد مقدمة من الكلام عن أحوال الاخوان فى تونس وأوضاعهم .. فاتحونى برغبتهم فى انتسابى الى الجبهة معهم ـ أو هى هيئة التحرير التى حلت محل الجبهة .. فأجبتهم : بأننى مع كل عامل مخلص ولكننى عزمت على البقاء خارج الاحزاب الا أن الجماعة لم يقنعهم كلامى هذا وطالبوا بالحاح قبولى الانتساب بطريقة رسمية ولقد استمر الاخذ والرد .. فقال المرحوم الطاهر المريض : أظن أن لك شيئا فى نفسك ولا تريد مصارحتنا به ولعله هو المانع الوحيد فقلت لا ـ لا شىء ..

سكت قليلا يفكر ثم التفت الى يمينه حيث كان يجلس ((المفتى)) وقال هل تسمح لنا يافضيلة الشيخ انت واحمد بك بالانفراد لحظة .. ونهض الشيخ المفتى ـ وأحمد عون سوف ـ وانتقلا الى مكتب آخر .. ثم نهض الطاهر المريض وأوصد الباب وعاد فاستقر مكانه وطلب منى ابداء الاسباب المانعة فقلت ان هذه الاسباب تهمنى أنا وفى اخراجها احراج للغير ، وهى قد لاتهم غيرى مادام هذا الغير لايشعر بها تلقائيا ولذلك فأنا لاأود التصريح بها .

وعلى هذا أرجو أن تتركونى بعيدا عن جو الاحزاب .. وأنا على كل حال معكم وتحت طلبكم ما دمتم ... فقال الطاهر ليس هذا الذى أريده منك « يافلان » فأنا أريد ان توضح لى الاسباب المانعة لك من الانتقاء معنا داخل نظام الجبهة ((والحديث بالامانات)) وعسى أن يكون ما تفكر فيه هو مجرد ظنون . أو اعتمادا على أقوال كاذبة أو مواطن جاهل .. فقلت له : لقد أحرجتنى يا طاهر بك كلامى سوف يغضب بعض الناس وقد يغضبك انت نفسك فقال تكلم بصراحة فقلت أقول الحق فأنا مع احترامى لجماعة الجبهة كأشخاص الا اننى أرى بينهم عناصر مختلفة الاهداف متعاكسة الغايات وما تخفيه نفوسهم أفظع . أنهم مزيج من العناصر تشكل خطرا على مستقبل البلاد .. ولقد زاد الطين بله وجود عنصر من هذه العناصر هو أشد عداوة لنا ولقوميتنا ذلك هو : اليهودى « زاكينو حبيب » الذى يحتل مكانه بين عناصر الجبهة كعضو بارز فيها .

أفى مثل هذا الجو .. وهذا الخليط المريب تطلب منى يا طاهر بك . أن أعمل .. ؟ ! أقول الحق أننى لا أستطيع العمل مع مزيج لا أطمئن اليه وجو لا ثقة لى فيه . . ولا أنسجم معه . . منذ فهمت الوضع وأنا أفكر ما هو السر فى هذا التكوين . وما هو السر فى سكوتكم عليه ورضائكم به . الامر الذى يجعلنى أشك حتى فيمن أحسن الظن فيه .. وعندئذ وضع يده على جبهته وأطرق برأسه هنيهة ثم رفعه .. وقال : انك والله لقد أصبت فيما قلت .. غير انه من الحكمة والانصاف لا ينبغى لك أن تسىء الظن بالكل ((فالحكم على الشىء فرع من تصوره)) وصدقنى اننى منذ مدة وأنا أفكر فى الامر غير أن الفرصة لم تسنح بعد .

ومن جهة أخرى يجب أن لاتنسى اننا لما عدنا الى ارض الوطن وجدنا هذه الجبهة قائمة على هذه العناصر نفسها ولذلك فلا نستطيع والحالة هذه تصفيتها الا بعد المخالطة ومعرفة جوانب القوة والضعف فيها حتى نعرف من اين نبدأ . أما الآن وقد مرت هذه المرحلة واتضح لدينا كل شىء فنحن على استعداد للتصفية . . ولهذا نود ان تدخل معنا انت وغيرك من الاخوان المخلصين لكى نستطيع ان نتحرك فى قوة واطمئنان لمجابهة العناصر المنحرفة .

هذا وانني أعاهدك اذا قبلت فانني قبل مضي أسبوع واحد من انتسابك سنرسل الي هـذه العناصر التي تعنيها اقالاتها من الجبهة .. وأنا اذ أعاهـدك بذلك فانني أعني ماأقول .. وعلى هـذا الأساس قبلت طلبهـم بخصوص ثلاثة عنـاصر معينيـن وفعلا فلقد أبر الطاهر المريض بوعـده . ففي اليوم الرابع من انتسـابي أرسـلت الاقالات الى العناصر المقصودة ولنترك ذكر الاسـماء حتى يحين وقتـه .. وعـلى كل أقول بأنها قد بقيت بيننا عناصر كثيرة موبوءة ولكنها دقيقة في نفاقها وخبثها تتصيد الفرص للظهور على المسرح .

وبعـد هـذه التصفية بمدة علمنا بوصول سفير ايطاليا في دمشق الى طرابلس واجتماعه ببعض الشخصيات ثم غادر طـرابلس .. وبعد ذلك بفترة غير طويلة تشكل في طرابلس حزب أطـلق على نفسه ((حزب الاستقلال)) وما كان من الجبهة الوطنية ـ أو هيئة تحرير ليبيا ـ « اذ انهما قد اندمجتا في بعضـهما » الا أن وزعت من عناصرها أفراد على المساجد ليلقى كل منهم بيـانا بشأن تشكيل حزب الاسـتقلال وشرح ظروفه وملابسـاته وذلك على اثر صلاة الجمعة .. ولقد كنت أنا من بين تلك العناصر .. وكان نصيبي « جامع السنوسية » بشارع عمر المختار ـ ومن المفارقات التي تذكر للتاريخ هو انني لما صعدت على المنبر بعد صلاة الجمعة وطلبت من المصلين الانتظار والاستماع وتكلمت في الموضوع بكلمات مختصرة ولكنها قوية . وعند الانتهاء عن كلمتي سمعت أحد المصلين في الخلف يقول : ((هالتونسي بخرب البلاد ! !)) .

اعلان المؤتمر الوطنى العام

وانصهار الاحزاب فيه

بعد مدة لا تتجاوز الشهر باى حال من قيام ((حزب الاستقلال)) مضت هذه الفترة فى اتصالات الزعيم السعداوى برؤساء الاحزاب لتقريب وجهات النظر واقناعهم بالانضمام الى بعضهم لتوحيد الجهود نظرا للخطر المحدق بسبب تصارع المصالح الاجنبية ومساعى الوفود السياسية ومواقف العناصر « الوطنية » التى ترفض على حبلين وتلعب فى ميدانين بل أكثر من ميدانين ويخيل لها أنها تضحك على الطرفين وهدفها أن تكون مع الغالب أى كان ولا يهمها مع مصالحها الخاصة وطن ولا وطنيون ٠

ولقد نجحت مساعى السعداوى الى حد اذ قد انصهرت الأحزاب كلها تكتلت وأصبحت تحت عنوان (المؤتمر الوطنى العام) ولم يشذ عن ذلك الاتحاد الا حزبان اثنان ٠ اتفقا من قبيل الصدف فى عدم الانضمام ٠ علما بأنهما يختلفان فى الجوهر ٠ اختلاف فى الهدف وفى الاتجاه وهذان الحزبان هما : « حزب الكتلة الوطنية » « وحزب الاستقلال » ٠ فالكتلة الوطنية فيما يبدو لى ان السبب فى موقفها ذاك وعليه عولت فى تقييمى للموقف ٠ هو أن سبب عدم انضمامها يرجع الىأمرين اثنين : الاول هوالطموح الجامح فى بعض عناصرها الى تزعم الشعب وقيادته دون شريك لها فى ذلك ولا ناصح ولا معين الا اذا كان تابعا لها ، وهو طموح يفتقر الى أسس أساسية صلبة قوية تحفظه من الانزلاق ٠ وارادة وعزم قويين تمكناه من الصمود والاصرار أمام مختلف الزوابع التى تصطنعها الجهات المضادة الاطاحة بالخصم ٠ فهى زوابع مختلفة تبدو لينة الملمس جميلة المنظر مغرية المنطق ولكنها قضى مبرم ٠

الثانى كراهية هذا الحزب (الكتلة) للملك ادريس السابق فالكتلة من أجل ابعاد (ادريس) عن حكم البلاد تضحى بالوحدة الوطنية ٠ أى انها تضحى باقليم (برقه) وانفصاله عن طرابلس دون تردد ٠ وتركه لأدريس ومؤيديه من العناصر الضالعة ومن ورائهم الانجليز الذين يزودونهم بالافكار ويعدونهم بالكراسى ليتمكنوا هم من غرس نفوذهم وحكم البلاد فى ذلك الجزء من الوطن دون أن يكون للجزء الثانى الذى هو اكثر عددا وأحكم نضالا وأعمق تفكيرا أى حق فى الدفاع عن ذلك النصف الذى يصبح حاجزا قاتلا بين شرقى الامة وغربيها ٠ واذا ماوقع ذلك فاننا نكون قد ارتكبنا جريمة فظيعة لايغتفرها لناالتاريخ فىحق الامة العربية وضدأنفسنا أيضا وهذا هو الهدفالذى يسعى له الاستعمار الانجليزى ويهدف اليه ٠ ومن هنا يلوح لى ان نظرية (حزبالكتلة) هذه (فهى وان كانت على حسن نية وسلامة طوية ما فى ذلك من شك) فهى كما يبدو واضحا نظرية قصيرة المدى محدودة الزمن فقيرة من بعد النظر ٠ فهى لاتجعل فى حسابها ماسوف يحمله المستقبل فى طياته من الاحداث الخطيرة فى حالة الانفصال ٠

أما حزب الاستقلال فهو حزب الاستقلال المعروف٠فان اهدافه وعناصره وظروف تشكيله معروفة لدى الجميع في‌ذلك العهد ٠ فهذا الحزب هو عبارة عن‌مجموعة لاتتقيد بمبدأ ٠ وانما هي تحركها نوازع الانتهازية وتجمعها المطامع المادية ويدفعها حب‌السلطة وعشق الكراسى ٠ فهي تسير الى هذه المغريات بأى طريق يفتــــح لها ٠ وبأى ثمــن يطلب منها ٠

ان هذه المجموعة تتصل بجميع الجهات الأجنبية تفتش عن الابتسامة وتبحث عن الرضا والقبول ٠ وهى غير ثابتة فى جهة معينة ، ولــكنها تميل حيث يميل الريح ، فهذه المجموعة شاخصة بأبصارها وأسماعها وبكل يقظة وانتباه الى كفة ميزان الصـراع السياسى فى ذلك المعترك المحتدم بين‌الاستعمار واستعمار آخر وبينهما وبين‌الوطنيين فكل مالاح لها رجحان جبهة من الجبهات المتصارعة أسرعت فى خفــة وسرعة وتملق الى الالتصاق بهذه الجبهة لكى تجلسها على كراسى مزعزعة وضــعت على جثــة آمال الشعب التى شاركوا فى اغتيالها ٠

فلقد كانت هذه المجموعة المسماة « بحزب الاســتقلال » فى أول الأمر ذات ميــول ايطالية بصورة واضحة ٠ وقد أغرقت نفسها بالوعود والتعهــدات من أنها فى امكانها أن توجه الشعب الليبى نحو ايطاليا لكى تعود لحكم البلاد ٠ ولقد تمكنت بهذه العهود بأن استدرجت حكومة ايطاليا حتى عمدت هذه الى تخصيص مبالغ ضخمة من الأموال لغرض الدعاية لاستمالة الشعب الليبى وجعلت مركزا فى طــرابلس تحت شــخصية ايطالية معروفة (جلمبيرتو) وقد أخذت هذه المجموعة وغيرها تتظاهر لهذه الشخصية بقوائم وهمية من الانصار ، وهى بذلك تبتز تلك الأمــوال المرصــودة ٠ ولقد عمــل (حزب الاستقلال) كثيرا لفائدة ايطاليا ٠ ولكنه فشل فشلا ذريعا ذلك لأن الشعب منتبه الى تلك المؤامرة ولقد ضاعت تلك الامــوال المرصــودة سدى وكانت النهــاية المحتومة لتلك الشخصية الايطالية هى الانتحار الشنيع بعدما نضبت الأموال وخابت الآمال وخرجت ايطاليا وعملاؤها بيد فارغة وأخر لاشيىء فيها ٠

ولما انهار مركز ايطاليا فى هذا الصراع المتأجج بين المستعمرين مع‌بعضهم ٠ وبينهم وبين الليبيين بعد هذا شعرت مجموعة حزب الاستقلال بأنه لا أمل لها فى رجــوع ايطاليا الى ليبيا وتأكدت من نضوب المعين المادى ٠ وفهمت ان الـكراسى والوصول اليها عن طريق ايطاليا أمر مستحيل ٠ وفى هذه الأثناء أعطت ظهرها لايطاليا وولت ووجهها نحو الاسترلينى ٠

وحيث أننى ذكرت هذا فمن الحقيقة والانصاف وتصحيحا للتاريخ يجب على أن أقول : ان هذه المجموعة الآنفة لذكر ليست وحدها فى ميدان المساعى الخبيثة والمطامع الأشعبية ليست وحدها فى هذا الميدان بل عندما انتقلت من الاتجاه الايطالى وأعطت وجهها نحو (جون بول) فقد سابقتها فيئات عديدة من المنافقين أولئك الذين يتظاهرون بالانتماء الى المؤتمر الوطنى العام ٠٠ وهم يروحون ويغدون على مقره فى وضح النهار حفاظا على الصلة فيما اذا فاز الوطنيون ليكونوا هم فى الطليعة ، وهم لايدرون ان عيون الشعب كانت لهم بالمرصاد فحركاتهم مكتشفة ومسجلة وأسماؤهم معروفة ٠ منذ ماكانوا يتسللون بالليل وفى ظلامه الدامس الحالك الى مركز البسمات الساخرة والوعود المغرية فى احدى دور شارع ميزران وغيرها من الأماكن المعروفة ليعطوا ماالتقطوه – ويتلقوا جديد التوجيهات ٠ من ذلك المارد الذى يوعدهم ٠٠٠ وما يوعدهم ٠٠٠ لا غرورا ٠

جولة دعائية فى مديريات

محافظـــة غـــريان

ففى شهر فبراير من سنة ١٩٥٢ وقد كانت الانتخابات الاولى لأول مجلس نواب فى ليبيا قريبة الوقوع ، تلك الانتخابات التى سفكت فيها دماء طاهرة زكية وشردت فيها عناصر مخلصة أبية وسجن فيها أحرار المواطنين وأهين فيهـا الشعب بأكمله الا العناصر الموالية للوضع الضالعة مع الأجنبى تلك العنـاصر التى ظنت فى مخيلتهـا الفاسدة وتفكيرها العقيم. أن الليل سيدوم • وأن الظـلام سيسود وأن الفجـر لن يبزغ • وأن الصبح لن يشرق • وعلى أساس من هذا التفكير اليائس من •• اتخذوا مواقفهم الشائنة وعملهم المخرب الفظيع •

قلنا كانت الانتخابات لأول مجلس نواب فى ليبيا قريبة الوقوع • ولذلك قمنا من طرابلس فى جولة دعائية فى محافظة غريان • وفى سـيارة (جيب) تابعـة للمؤتمر الوطنى ـ وكان يسوقها شاب جرىء عنيف فى القيادة اتجهنا نحو الجبـل • وصلنا قرب العزيزية • فى أرض حمراء غير مزروعة اذ ذاك بشيىء تقع على شـمال الذاهب الى العزيزية من طرابلس • فى هذا المكان بالذات وجدنا اربعة اشخاص لازلت أتذكر منهم ثلاثة وضاع من ذاكرتى رابعهم • والثـلاثة هم : (•••) و (•••) و(••) وقد أوقفوا سيارتهم بجانب الطريق وتوزعوا فى تلك الارض الحمراء ـ وكان أحدهم عنده بندقية من نوع (افلوبر » وهو يتصيد العصافير •

وحالما رأيتهم عرفتهم • ولما كان الشاب سائق السيارة عنيفا فى قيـادته كما قلت فقد طفرت بنا السـيارة حتى تجاوزنا سيارة الجمـاعة بمسـافة • وعنـدها هتفت بالشاب السائق « قف • قف » فلما وقف قلت ارجـع حيث سـيارة الجماعة • فعاد خلفيا وبقوة مزعجة حتى وقف حذو السيارة • أما الجماعة فلما شاهدوا رجوعنا عادوا كلهم الى حيث سيارتهم • نزلنا نحن من سيارتنا وبعد تبادل التحية معهم جرى بيننا كلام كثير • وأنا أختصر منه مايلى :

سألنى أحدهم قائلا : الى أين •••؟

قلت : الى الجبل

قال : ماذا ستفعل هناك •••؟

قلت : لدعاية الانتخابات

قال : لمن تدعو لنفسك أم لغيرك •••؟

قلت : للمؤتمر وأتباعه

قال : هل عندك سلاح •••؟

قلت : طبعا عندى سلاح

قال : أرينيه

قلت : لا • أما هذا لايمكن

قال : لماذا ؟ هاأنا أطلعك على سلاحى وأخرج المسدس ثم أخرج الرخصة •

قلت : أنا ليس لدى رخصة

وقال : وهذه الرخصة

قال : لماذا لاتجعل رخصة مثل •••؟

قلت : أنت يابك من المقربين وأنا من المغضوب عليهم من طرف السلطة

وعندئذ نظر الى وقال هذا من رأيك

قلت : أجل أعرف ذلك جيدا وأنا به راض

والى هنا تقدم آخر وهو (•••) وقال : أترك عليك هذه الأتعاب واترك الجبل وأريح نفسك خير لك وتعالى الى طرابلس رشح فيها نفسك وأنا أضمن لك دائرة تفوز فيها بالتزكية • وقد أقسم الايمان المحرجة أن لايزاحمنى فيها أحد • فقلت له أنا لاأرشح الا فى الجبل • ولا أكون الا عن طريق المؤتمر ولا يغرينى النجاح بالتزكية فأنا أسير على المبدأ والفوز والفشل بيد الله ، ثم ان الدعاية التى أقوم بها ليست لى أنا شخصيا وانما هى للمؤتمر وأتباعه ، وبعد هذه المحاورة المختصرة جدا ركبنا سيارتنا وتركناهم هناك وواصلنا سيرنا الى غريان •

وصلنا غريان وقفت السيارة أمام محطة بنزين للتزود منها • واذا بجندى بوليس عربى وحينما نزلت من السيارة تقدم منى وقال بأدب واحترام تسمح تجى معى للمركز اذا لم يكن لديك مانع • قلت لماذا •••؟ قال لاأدرى الضابط الانجليزى يطلبك • قلت نذهب بالسيارة أم على الأرجل • قال بالسيارة أحسن • وصلنا المركز وصعدنا الى مكتب الضابط الانجليزى وحينما وصلت أمامه حييته برفع اليد وكان مطرقا فلم يجب على التحية •

وبدلا من رد التحية بادرنى بالسؤال التالى : هل عندك سلاح ••؟ قلت لا • فنهض من مكانه وأخذ يفتشنى فلم يجد شيئا • وبعد ذلك قال : فين السيارة •• ؟ فأجابه الجندى هى أمام المركز ، فنهض الضابط واتبعناه ، وأخذ يفتش السيارة فلم يجد شيئا (والواقع ان مسدسا فى مكان ما • من السيارة • ولكن الله أسدل ستره) وعدنا الى المكتب وأخذ يسألنى بشيئ من الشدة أنت رايح فين ••؟ قلت كل هذه المحافظة • قال على شان ايه ••؟ قلت على شان الانتخابات • قال : أنت بتدعو لمين••؟ قلت للمؤتمر ، قال ده يعنى السعداوى ، قلت لا • للمؤتمر — السعداوى لايترشح • وهكذا فقد كانت أسألته كثيرة ولكنها تافهة •

ثم عاد الى موضوع السلاح وقال : أحسن تقول السلاح بتاعك فين • قلت أنا يأفندى ذاهب الى الدعاية ولست ذاهبا للحرب فماذا افعل بالسلاح • وهنا أطرق برأسه قليلا ثم قال : لكن الذى قال لى لايكذب ، قلت أنا لم أقل لك أحد يكذب ولكن هاأنا أمامك والسيارة عندك

والى هنا قال لى : روح فى شغلك أنا لازم أكون وراءك • فاهم •؟

واتماما لهذه القصة أود أن أقول أن هذا الموقف المصحوب بتلك الاشارة من الضابط وهى قوله : « الذى قال لى لايكذب » جعلنى أشك كثيرا فى تلك الجماعة التى وجدناها فى طريق العزيزية • ولقد شككت بصورة خاصة فى صاحب المسدس بالذات • غير أننى بعد عودتى من الابعاد فى يناير ١٩٦١ م التقيت بالرجل المشار اليه ، وقدكان اللقاء فى ظرف ووضع بالنسبة له لايخشى فيهما أحدا التقيت به وأعدت له الحكاية • وقد قلت له هل أنت الذى فعلت «كيت وكيت» الآن وقد مضى كل شيئ أسألك بالله أن تصدقنى • ولكنه نفى ذلك نفيا باتا وعند الله تلتقى الخصوم •

موظف يحـاول الاغـراء

لقد انتهينا من اجراءات ضابط البوليس بغريان وواصلنا السـير مع الطـريق الرئيسية المتجهة الى الجهة الغربية ، وعلى سمت احدى المديريات ، وأغلب الظن بين مديريتى الزنتان والرجبان التقينا صدفة بأحد حكام تلك المحافظة (ولا شك عندى انه كان فى جولة معاكسه لمساعى المؤتمر الوطنى العام) فوقف ووقفنا ونزلنـا وبعـد السلام التقليدى أخذنى هذا الحاكم الموظف وهو السيد «...» أخذنى على حده بعيدا عن تجمع المجموعتين ، وقال لى : الى متى وانت تجرى وتتعب الا ترى أن النـاس كلها تعمل من أجل مصالحها ، وأنت صاحب عائلة فلماذا لاتفكر فى مصـلحتك ومستقبل أولادك كغيرك من الناس ، وأنا لو لم يهمنى أمـرك ماقلت لك هـذا الـكلام ولا أقوله لغيرك .

قلت : أتظن أننى لاأفـكر فى مصـلحتى ..؟ كـلا فهى أول مايهمنى ولـكننى لم أجدها . واننى أعتقد انها تصرفات الاقدار ، ولعـلى وقتها لم يحن بعد . وقـد نشط الرجل عند سماعه هذا الكلام . وقال لى اختر المـركز الذى تريده ـ اقترح أى مركز فى الحكومة وأنا أضمنه لك .. . فأظهرت استعدادى وأجبته وانا أبتسم بقولى : وهل أمر البلاد عندك حتى تستطيع أن تضمن لى ماأريد ، فقال : ولـكننى أمرت وأخـذت التأكيدات التامة وأنا مكلف . وهنا رجعت الى الجد وقلت له اسمع ياأخى فمع شكرى لك وتقديرى لعواطفك نحوى . فأنا كل حياتى وعملى فى الهجرة وقفا على هذه القضية واليوم سنوات فى هذا الصراع داخل البلاد تاركا عائلتى فى الخارج ، ويعلم الله بما قاسيته وأقاسيه أترى بعد هذا كله يهمنى الحصول اليوم على مـركز أو وظيف مهما سمت ..؟

أو هل تظن أن مثل هذه الاغراءات تصرفنى عن العمل لفائدة وطنى وحـرية بلادى وتبعدنى عن اخوانى . وقد عملنا معا فى الخارج والداخل وتعاهدنا على العمل المخلص الى أن نلقى وجه الله مهما اشتدت علينا الظروف . وكيفما تكون النتيجة . فلا يمكن لى والحالة هذه بأى حال من الأحوال أن أتخلى من أجل مصلحة خاصة وتافهة تحصل اليوم وتطير غدا .

هذا وأقول لك الحق فأنا تسيطر على فكرة قد تكون عند غيرى شـاذة أو فاسـدة تماما ، ولكننى أومن بها وأعيش وأعمل على أسـاسها ، ولا أدرى أكان ذلك من حسن حظى أو من سوءه .

وهذه الفكرة هو أنه اذا وفق الله العاملين المخلصين لخير الوطن واستقلت البلاد ، فأنا أرضى بأى مستوى من العيش ويكفينى أن أكون مستورا فى حياتى أكلا ولباسـا

وسكنا وذمة وذلك لاعتقادى أن الحياة ليست كلها مادية ، وهذا دليل على اننا حينما كنا نعمل لاستقلال البلاد لم يكن ذلك لرغبة فى مراكـز وزارية ولا وظائف ادارية ٠ ولا لرغبة مادية ، فأنتم الذين ستتولون حكم البلاد نظرا لما لـكم من الخبرة والمعرفة بأوضاع البلاد ٠

وكل مانرجوه منكم هو اعانتنا بعدم الخضوع المشين للاجنبى المحتـل خضـوعا يجعله يستخف بالجميع ويحاربنا ببعضنا فيسيطر علينا ونصبح خرجنا من سيد ودخلنا تحت سيد آخر بعد هذا الكلام الطويل جاء الجواب من صاحبى ٠ جواب قاطع حاسم لم يترك لى مجالا للكلام بعده ، فلقد قال : اسمع يافلان ٠ أنا أخضع للانجليزى فيما يريده ويطلبه وأنا بدورى أخضع لنفسى ستون واحدا من الذين هم تحت حكمى فيما أريده ٠؟! منهم هكذا كان الجـواب بعد تهـذيب العبارات وتلطيف المعنى : والى هنا افترقنا وسـار هو ومجموعته مشرقا وسرت ومجمـوعتى مغـربا ليقوم كـل منا بواجباته التى رضى بها مذهبا له ٠

الجـولة النهائيـة

قبيل الانتخابات بأيام قليلة طلب المرحوم البشير السعداوى ان أقوم معه بجـولة واسعة لحث المواطنين على الاستعداد والصمود وهى آخـر جـولة للدعاية • ذلك أن وجود السعداوى فى الجولة واتصاله الشـــخصى يبعث فى المواطنين روح الايمـان بالموقف ويزودهم بطاقة اكبر من الثبات والصمود فى مجابهـة وتحدى تيار الدعايات والتهديدات والاغراءات التى يقوم بها الاجنبى ويشيعها بواسطة بعض الموظفين وأذناب الادارة والمتصيدين للمراكز والمفتشين عن الحضوة والدرجات واللاهثين وراء المادة •

ركبنا سيارة السعداوى الخاصة واتجهنا نحـو الجبـل ، وقد تجولنا فى بعض المديريات التى كان يجب الاتصال بها اكثر من غيرها • ثم عدنا الى عاصـمة المحافظة قصدنا الفندق • وبعد تناول الغداء وفى فترة الراحة وفى غمـرة من الحـديث بينى وبينه • قلت : يابشير بك عندى مشروع يدور فى رأسى منذ مدة أود أنأعرضه عليك لترى فيه رأيك فقال هات ماعندك فنحن فى أمس الحاجة للمشاريع •

قلت أنا احس بخذلان بعض الاخوان لنا من مدة والواقع ان اكثرهم ليســـوا من عناصر المقاومة وانما هم من عناصر الطمـــع والانتهازية • ومما زاد الطين بله تلك الجريدة التى خلقها الانجليز ويمونها وليس لها من العرب الا الاسم فهى مدعمة بجميع الامكانيات وبكل أسف فقد تجاهلت حقوق الوطـن والمواطنين وتهاوت الى الحضيض وداست على الضمير ولقد كانت أكثر امعانا وأشد ضررا على الحركة الوطنية وأشـد عداوة لعناصرها من الاستعمار نفسه وعلى موهبة كبيرة من خلق الاشاعات المفسـدة وبراعة فائقة فى اختلاق الأراجيف والاقوال الزائفة وبالجملة فقد كانت مجـــردة من كل احساس وطنى • وشعور قومى الا وهى جريدة (•••) لصاحبها الاسـتاذ القدير (•••)

وهكذا فقد سلط الانجليز على الحركة الوطنيـة عناصر من جنسها عملا بالقـول القائل : (الشجرة لايقطعها الا جزء منها) والانجليز أصحاب مكر ودهاء • فأنا أشعر والحالة هذه بخطر كبير • لذلك فاننى أرى بعد اتمام هـذه الجولة أن نختـــار أى مجموعة من القبائل عرفت بالحميـــة والعزة والشــــهامة وأن نبقى بها حتى تنتهى الانتخابات وتتضح النتيجة • وفى اعتقادى أن موقفا كهذا سيكون له تأثيره فى مجرى الانتخابات • وسوف يحسب له الانجليز ألف حساب • واذا ماجرت الأمور عـلى غير مايجب أن تكون ، نستطيع أن نهدد الموقف بصورة مؤثرة •

ولقد سكت المرحوم بشير زهاء عشر دقائق ثم قال يا (فلان) الأفضــل أن نعود الى طرابلس فالشعب كله معنا والأحسن أن نكون معه حتى نتصـل بالناس ويتصلوا

بنا وقد يحتاجوا الينا فلا يجدوننا فيظنون بنا الظنون ويهتبل العملاء الفرصة فيطلقون الاشاعات فتنهار عزائم المواطنين ونكون نحن السبب فى ذلك ٠

نهضنا من هناك وانحدرنا من (أبى غيلان) الى (سوانى بنى آدم) ومنها اتجهنا الى « فندق بنغشير » حيث أخذنا طريق (ترهونه) ومنها الى (القصبات : مسلاته) ثم واصلنا السير الى (مسراته) مرورا (بالخمس) (وزليتن) وبعد اتصالات سريعة عدنا فى طريقنا الى (الخمس) التى وصلناها حوالى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل قصدنا رأسا الى منزل رجل الخمس الاول فى عصره المجاهد المخلص الحاج عمر النعاس رحمه الله ٠

طرقنا الباب فخرج لنا الحاج عمر نفسه ورحب بنا وعندها قال له السعداوى رحمه الله (وهما صديقان من عهد الصغر) لقد أزعجناك ياحاج عمر فلا تؤاخذنا فان ظروفنا هى التى أجبرتنا (وانت خبير بمثل هذه الظروف) فاجابه بقوله : (انا عارف مادمت أنت حى يابشير أنا مانرتاحش) فأنا وأنتم فى سبيل الله ٠

بتنا تلك الليلة فى منزل الحاج عمر وفى الغد وبعد اتصالات فى الخمس عدنا الى طرابلس ، وقد كان هذا اليوم هو يوم ١٦ فبراير ١٩٥٢م ومن الغد ذهبت الى زيارة (الشيخ المفتى السابق محمد أبو الاسعاد العالم) رحمه الله جلست معه حصة فى أحاديث حول الوضع ثم نهض وغاب عنى قليلا ثم عاد وناولنى مبلغ عشرين ألف فرنك (مال) وهى عملة أوجدتها الادارة البريطانية على أنقاض العملة الايطالية واختفت باختفاء الادارة البريطانية قانونيا ٠

ناولنى هذا المبلغ دون أن أطلبه أو أشكو له الحال جزاه الله عنى خيرا قلت : لماذا هذا يافضيلة الشيخ ٠٠٠؟ فقال لعلك ناقص مصروف فأخذتها منه ٠ وبعد حديث زهاء ربع ساعة قال لى هل أنت تريد أن تكون معى أو مع السعداوى ٠٠ ؟

ولقد استرعت انتباهى هذه الجملة ، فقلت ماهذا الكلام يافضيلة الشيخ ٠٠؟ هذا كلام لم أسمعه منك من قبل ! ألسنا كلنا جميعا وعلى مبدأ واحد ٠٠؟ فقال : كان ذلك فيما مضى أما الآن فلا ٠ قلت فلماذا هذا التبدل المزعج ٠٠؟ فقال : أن البشير لايريد أن يسمع كلامنا ، ونحن أعرف منه بأوضاع البلاد وأهلها فالناس تجرى تحتنا ولا نستطيع أن نترك لهم الميدان ٠ والبشير بسيرته هذه سيضيع علينا المصلحة ، وعلى كل فأنت اذا كنت بجانبى فانك ستربح قريبا واذا كنت مع البشير فسوف تخسر أنت والبشير وأنت اختار لنفسك ، فقلت أن أمرا كهذا لايمكن أن يكون الجواب عليه ارتجاليا ، فقال : طيب عندك الى غد ومن هنا افترقنا ٠

الانتخابات المشئومة (فبراير ١٩٥٢م)

لم أرجع من غد ذلك اليوم الذى تقابلت فيه مع الشيخ المفتى • وفى الواقع اننى قد تعمدت ذلك التخلف حيث أننى فهمت واقتنعت أن الرجـل قد ترك الصف نهائيا ولا ينتظر أن يعود اليه بعـد ذلك الكلام الذى سـمعته منه • وقد أخبرت البشير بذلك فى حينه •

وفى اليوم الموالى وهو يوم ١٩٥٢/٢/١٩م وقعت الانتخابات • تلك الانتخـابات المشئومة التى أزهقت فيها الـكثير من الارواح ، وتضررت فيها كثير من العنـاصر • فترملت نساء وتيتمت أطفال • والذى يؤلم النفس « ويجب اثباته فى التاريخ وفضـح الأسماء فى الوقت المناسب » ان الكثير من مواطنينا الموظفين والمسئولين فى الحكومة اذ ذاك فى العاصمة وفى الدواخل كانوا فى تلك المناسبة الأليمة ينظرون من الشرفات فى مكاتبهم ومن نوافذها الى اخوانهم يتساقطون صرعى هنا وهناك بين قتيل وجريح فى سبيل وطن الجميع وحرية الجميع وآلاف من أحرار الشعب يسافون الى السجون وهم ينظرون بعين الرضا ، بل كل شيىء يقع بطلب منهم وباسمهم • وعليهـم يحمل الجرم الاكبر والنصـيب الأوفر من تلك المآسى ، وقعت تلك المصـائب على رؤوس الشعب ولم يحدث ان استقال أحد احتجاجا على مايجرى ، ولا قال أحد منهم اللهم أن هذا منكر قولا علنا • نعم بدون شك أن بعض العناصر من الموظفين والمسئولين يتألمون وغير راضين • ولكنهم لم يجراؤا أن يفعلوا شيئا •

فلقد وقعت مجازر رهيبة و بصـورة خاصـة فى كل من مسراته ـ والزاويه ـ وصبراته ـ وفندق بنغشير ـ وسوانى بنى آدم ـ وجنزور ـ وترهونه • وصبراته وأنا حينما أذكر هذه الاماكن • لا أعنى ان الجهات الاخرى كانت سليمة كلا بل فيها معارك وضحايا • ولكن كانت فى الاماكن المذكورة المعارك أعنف والضحايا أكثر والضغط أشد وان المكلفين بالعمليات فى هذه الاماكن كانوا أكثر اجراما من غيرهم الا من رحم ربك ، ولقد اتضح لدينا اليوم نحن الذين عشنا تلك الظروف ان أولئك الذين أجرموا فى حق الوطن والمواطنين معا • قد لاقوا أكثر تسامحا وأخف حكما من غيرهم • ولعل ذلك كان بسبب عناصر وطنية نظيفة ، ان كان ذلك أقول : ألا قاتل الله وطنيـة تنهـار بسبب الصداقة والقرابة والمحسوبية •

وفى هذا اليوم يوم الانتخابات كنت فى ساعة مبكرة فى مقر المؤتمر انتظارا لبدء التصويت ، ولقد بدأ فى الساعة الثامنة من ذلك الصباح ، وفى حوالى الساعة العاشرة بدأت التليفونات تصل من كل الجهات وبدون انقطاع مخبرة بأحداث ومآسى تذوب لها القلوب كمـدا ، ولما تكاثرت الضحايا فى كـل مكان اتصلت هاتفيـا بالمرحـوم

السعداوى وأعدت له ماوصلنى من الاخبار فتأوه وقال : « لقد اشتد الامر وليس لنا اليوم الا عناية الله » وفى حوالى الساعة الثانية ضهرا التحقت به فى بيته فى «قرقارش» وأخذنا فى استعراض الحالة • وفى حوالى الساعة الرابعة بعد الضهر دق جرس الهاتف واذا بأحد الاخوان يقول : ان جماهير الشعب متجمعة حول مقر المؤتمر والبوليس يتحرش والموقف ينذر باضطرابات خطيرة فأسرعوا بتلافى الموقف ، وهنا قال لى البشير: فمن المستحسن يافلان ان تذهب الى المواطنين وتحاول صرفهم بطريقة ما ، حتى لايزداد الخرق اتساعا والمأساة سوءا حتى تتبين الامور على أساسها ونتخذ طريقنا •

نهضت فى الحال ولما وصلت مقر المؤتمر وجدت الجماهير فى هيجان شديد وتحد خطير والجو ملتهبا فى انتظار نتيجة الانتخابات التى كانوا لايشكون فى أنها ستكون فى صالح الشعب (هى حقيقة ثابتة لو كان هناك قليل من العدل) صعدت الى شرفة المؤتمر المطلة على تجمع الجماهير الثائرة الصاخبة ومنها قلت : المعركة لاتزال فى بدايتها والجو غامض • ويبدو أن فى الأمر ريبة وأن أخبار الدواخل مقلقة • لذلك يرجى من الجميع التفرق كل الى شأنه حتى تتضح الأمور وعندئذ نعلن موقفنا للجميع وسوف لاتألوا جهدا فى مقاومة الظلم والاستبداد •

وعلى أثر هذه الكلمة تفرقت الجماهير • عدت انا الى (قرقاش) وأخذنا نفكر فى الأمر ثم عدت الى غرفتى فى « فندق طرابلس الغرب » ولقد بات كل منا تلك الليلة فى قلق شديد • وفى صباح اليوم التالى نشرت الجرائد نتيجة الانتخابات وأعلنت عن أسماء الأشخاص الذين اختارتهم السلطات المسئولة فى حكومة شكلية وادارة فعلية أجنبية ، ولم تأخذ من مرشحى المؤتمر الا سبعة أشخاص خمسة من العاصمة • وواحد من الفرناج وآخر فى الزاوية ، لذر الرماد فى العيون • ومن هنا من هذا اليوم انطلقت المظاهرات فاجتاحت طرابلس وغيرها ولقد كانت المظاهرات على غاية من الشدة والعنف •

ولقد دوى فى هذه المظاهرات صوت الرصاص • فرددت صداه أجواء البلاد فى كل مكان وهو يخطف أرواح المواطنين المتظاهرين ضد الظلم الفادح والاستبداد العنيف والتزوير المفضوح • ولقد استمر الشعب فى تحدى كل الصعاب مستخفا بكل التهديدات والتنكيل رافضا جميع الاغراءات مستخفا بأولئك العملاء الذين يعملون بخسة ونذالة فى اخضاع شعبهم للعبودية المزدوجة • ولقد توالت هذه المظاهرات لمدة ثلاثة أيام كانت فى خلالها تزداد قوة وعنفا من ساعة لأخرى رغم سقوط الضحايا فى كل مكان واكتضاض السجون بالمواطنين وهكذا كانت المظاهرات فى الايام التى حضرتها شخصيا • وهى ثلاثة أيام •

ولقد توالى القاء القبض على العناصر الوطنية المتحركة وجيء بها من كل أنحاء البلاد لقد امتلأت السجون بهم نتيجة لتلك التصرفات التى لاتمت للقانون ولا للعقل ولا للمنطق ولا حتى للانسانية بأى صلة ، ولكن أنى لعناصر منحرفة أو استعمار جشع أن يعرفوا هذه المحاسن .

ولقد قال واحد من هؤلاء الأذناب الذين يعبدون الاستعمار قال فى مناسبة حديث : (لو كنت أنا أحكم لعلقت السعداوى وجماعته فى ميدان الشهداء خمسة عشر يوماليتفرج عليهم الشعب) قال ذلك ليسمع الانجليز كلامه فيرضون عليه ويبتسمون له . وهذا القائل هو : (...) وهو لايزال حرا طليقا حى يرزق وفى نعمة اكتسبها ...!

هذا نموذج من العناصر التى أتت بها السلطة الحاكمة بعدما تعهدوا لها بواسطة أصدقائهم من عملاء الدرجة الاولى كى يفرضوا على شعبهم ماتطلبه هذه السلطة الأجنبية ، لتجلسهم على كراسى ملوثة بدماء الضحايا ودموع اليتامى ودماء نديب الأرامل من مواطنيهم فأصبحوا عملاء لها خاضعين تأكل بأيديهم ماتشاء وتمسح خبثها فى وجوههم التى يقابلون بها شعبهم بلا خوف من الله ولا حياء من عباد الله ، هذا الخضوع المشين من أجل ابتسامة خادعة ولقمة هزيلة من العيش المسموم ، ومن مال شعبهم الذى باعوه .

ونتيجة لزيادة التظاهرات وغضب الشعب وسخطه فقد أعلنت حالة الطوارىء ومنع التجول من الساعة الخامسة مساءا حتى السابعة صباحا ، وفى عشية يوم ١٩٥٢/٢/٢١م ذهبت الى منزل المرحوم السعداوى وجلست معه حصة طويلة فى استعراض الحالة وما ينبغى لنا اتخاذه تجاهها حتى ذهب من الليل أوله ، ولما هممت بالرجوع الى طرابلس اعترضنى السعداوى قائلا : الآن وقد ذهب من الليل أكثره والانجليز وغيرهم يتربصون لهفواتنا فالأحسن أن تكمل الليل هنا وفى الصباح نذهب معا فأجبته لذلك ، ولما كان التعب قد أخذ منى مأخذه فقد رحت فى نوم عميق وفى الساعة الرابعة صباحا تقريبا من يوم ١٩٥٢/٢/٢٢م انتبهت فى انزعاج على صدى صوت مزعج مرعب لكأنه صدى انفجار قنبلة انفجرت بالقرب منى .

وليس انفجار القنابل فى ذلك الوقت بالشيىء الغريب عنا . والواقع أن ذلك الصوت كان صدى تحطيم أبواب المساكن التى نحن بها ، ولقد كان المقتحمون من الجيش الانجليزى وضباط من البوليس العربى الوطنى بطريقة مفاجئة ارهابية مزعجة ، وما كدت أرفع رأسى حتى وقف أمامى ضابطان أحدهما انجليزى والثانى عربى شاهران السلاح وأصبعيهما على الزناد ، ولما رأيتهما قلت : ماذا حدث .. ؟ فصاح بى الانجليزى بقوله « أونى » قلت ماذا تريد .. ؟

قال : « انت موش فاهم الناس بتموت » قلت : وهل أنا القاتل ٠٠؟ فصــاح الانجليزى بقوة وحدة « ده كل عــلى شانك أوعى » فنهضت من مـكانى وخـرجت من الحجرة الى وسط « الفيلا » فوجدت مجموعة من الضباط من الجنسين يجوسون خلال المنزل كأنهم يفتشون عن أشـياء مسروقة أو انسـان مجرم اختفى هنـاك ، ويدخلون ويخرجون من غرفة لأخرى ٠

وفى لحظة قصيرة انتهى كل شيىء وأخذوا كل واحد منا فى سـيارة منفردا ومـع كل واحد ضابطان عربى وانجليزى ٠ هذا الوضع بالنسبة لى ولا بد ان يكون الآخرون كذلك بانفراد ٠ أما نوع السيارات فلم أتبينها أهى مصفحات أو غيرها لأن الجو حالك بظلامين اثنين يخيمان على النفس والعيون ظلام ليالى الشتاء المكفهرة بالسحب الكثيفة المتراكمة مع طقس شديد البرودة جدا فى ذلك الصباح ، وظلام نفسانى انفعالى نتيجة لتلك المظالم المسلطة علينا من الأجانب ومن اخواننا أيضا ٠ وصدق قول الشاعر حين يقول : « وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ٠٠٠ الخ »

تحركت بنا السيارات ، ولمـا كان الظلام حالك جـــدا فلم أتبين اتجـاهنا فسألت الضابط العربى الذى كان بجانبى الى أين ٠٠ ؟ فقال : لاأدرى ٠ وبعد حـوالى نصف ساعة وصلنا الى مطار طرابلس الدولى ٠ وفى المطار أرادوا أن يركبـونى الطـائرة مع الاخوان : : البشير ـ ونورى ـ ومحمد خليفة شعبان) الى مصر غير اننى أظهرت لهم امتناعى بحجة اننى ليبى أصلا وقانونا ، وان المادة ١٨ من الدستور لاتبيح لكم اخراجى من البلاد ، واذا كانت لديكم على أى مآخذ فحاكمونى ٠

وحينما أخــذوا الاخوان المذكـورين الى الطـائرة ٠ جلست أرضـــا ورفضـت الذهاب الى الطائرة ، فتركونى فى مكانى ، وبعــدما ركب الاخــوان وأقلعت الطائرة أعادونى وكانت العودة الى السجن « سجن باب منفشر » ولقد حمدت الموقف وشكرت الله على المآل اذ حسبته انتصارا لى حيث لم يقع اخراجى من البلاد ٠ وفى السجن جىء لى بكتب قديمة غير ذات موضوع فطلبت مجلات وجرائد جديدة فقيل لى هذه ممنوعة ٠

ولقد صادف أن البوليس الذى وضعوه لحراستى على السطح شاب أعرفه بل هــو من بلدى وكنت أطمئن اليه سلمته ورقة مكتوبة رجـوته أن يسـلمها للسيد أحمــد أبو عرقوب لتنفيذ خطة معينة ٠ فيها هذه العبارة « نفذ عمليــة سرت » ولـكن حامل الرسالة أفادنى من الغد بأن أبا عرقوب قد اختفى ولا وجود له فى المجتمع ولا يعرف مصيره ٠ وفى اليوم الثالث من وجودى فى السجن نودى على الى مكتب مساعد مـدير السجن وهو ضابط بوليس عربى فأعلمنى بأن هناك قضية ضـدى بسبب حضـورى مظاهرات يوم ١٩٥٢/٢/٢٢م وما قبلها باعتبار اننى هيجت الجمـاهير فقبلت هـذا مسرورا وحسبته تعزيزا للانتصار الذى توهمته من قبل ٠

وقد نمى الى أن السجن قد امتلأ بالمواطنين • وعندما أخـذت أفـكر كيف السبيل لأرى هؤلاء الناس ، وفى اليوم الموالى طلبت الطبيب بحجة حدوث آلام طارئية أحس بها فى معدتى • وفى حوالى الساعة العاشرة من اليـوم الذى بعـده جاءنى جندى بوليس وأخذنى على الطبيب • وفى الطريق رأيت جموعا كثيرة من الاخوان • وقـد رأيت من بينهم (محمد محمد عباس) (والحاج عمر النعاس) رحمـه الله • وهـذا فى حـوالى الثمانين من عمره أو أكثر قليلا • والاستاذ مصطفى بعيو وغيرهم • وبعد الكشف عدت الى مكانى •

التراجـع عن محاكمتى

اتضح من بعض المعلومات والقياسات بأن تراجع السلطة عن محاكمتى سببه هو أن الاخوان الذين هم فى الحـكم اذ ذاك هم الذين طالبوا الادارة البريطانيـة بابعادى خارج البلاد بدلا من محاكمتى • أما الاسباب التى دعتهم الى هذا الموقف هو انهم قـد تواهموا ان وجودى داخل البلاد حتى وان كنت فى السجن قد يسبب لهم أتعابا بسبب استمرار الأمل وروح المقاومة فى نفوس الشعب • كما انهـم يعتقدون أنه عند انتهـاء مدة السجن وخروجى منه قد تتجدد الاضطرابات •

وهو تفكير لايخلو من واقعية ذلك أن الشعب كان فى هاتيك الظـروف على أشـد حالات الانفعال والهيجان والكراهية لتلك الألاعيب • وهو واع لما يراد به • الا أنه قد فقد القيادة ، فلو أن تلك العناصر التى كانت تتزاحم على الظهور وتتصدر اجتماعات الهدوء والراحة لو انها واصلت المسيرة بالشعب لسقط بيد الانجليز وعمـلائه • فلقد كانت حكومة ذلك العهد الموالية للأجنبى على قاب قوسين من السقوط نتيجـة غضب الشعب وسخطه • ولكن بهروب العناصر المتزاحمة على الزعامة من مسئوليتها فىقيادة الحركة الى النهاية وابعاد العناصر المسئولة الاولى حصلت الضربة القاضية عـلى آمال الشعب • وفاز الضالعون • ولكن الى حين •

ان العناصر التى بنيت عليها قولى فى التحول عن محاكمتى الى ابعادى وقولى أن ذلك كان بطلب واصرار من عناصر الحكم الشـكلى الضـالعة • أولا نمى الى من بعض المصادر العليمة فى هذا الشأن انهم طلبوا ذلك

ثانيا : فعندما كانوا يفكرون فى ابعادنا بالجملة • قد اعترضتهم ـ أو نصحتهم شخصية انجليزية بعدم ابعاد السعداوى وتركه فى البلاد كسلاح فى يد حكومة البلاد تهدد به عند وقوع أى خلاف بينها وبين الادارة البريطانية ، ولكن أولئك الذينلايهمهم الا جلوسهم على الكراسى ورضا الأجنبى وغرس نفوذه ليحميهم أولئك (سـامحهم الله فيما يخصنى شخصيا) هم الذين رفضوا واصروا على الابعاد قائلين ان السـعداوى يحمل جواز سفر سعودى • وقد أعادها عنصر منهم أمام محكمة الشعب فى عهد الثورة عندما سئل لماذا أبعدتم السعداوى • فاضطرب وغاب عنه التفـكير فقال لأنه يحمـل جواز سفر أجنبى !أى سعودى • وغاب عنه ايضا ولعله من رهبـة المحكمة غاب عنـه أن قوله هذا حجة عليه وليست له • لأن المرحوم (منصـور بن قداره) كان وزيرا الى أواخر أيام حياته وهو يحمل جواز سفر اردنى • فلو سئل عنه لـماذا كان وزيرا اظن انه سيقول كما قال فى الاول « لانه يحمل جواز سـفر أجنبى أعنى اردنى » والعـذر رهبة المحكمة •

وهكذا فقد بدأ للحكومة «الوطنية» اذ ذاك أن الابعاد أفضل وسيلة لاستقرارها وأضمن طريقة لراحتها وبقائها على كراسى الحكم أطول مدة ممكنة • ولهذه الاسباب الآنفة الذكر بعد اعلامى رسميا بواسطة مساعد مدير السجن فاذا هم فى يوم من تلك الأيام دون مقدمات ولا مايدل على التراجع جاءنى جندى بوليس عربى وقال لى تعالى معى اتبعته حتى مدخل السجن •

وأمام المدخل وجدت سيارة واقفة ولما تأملت فى داخلها رأيت أمتعتى التى فى الفندق كلها داخل السيارة • وفهمت من ذلك أن فى الأمر ابعاد • بقى لى أن أعرف الى أين سيكون هذا الابعاد وفى أى منطقة من مناطق ليبيا ، وما ظننت قط أن الابعاد سيكون خارج ليبيا اعتمادا على جدالى واحتجاجى بالمادة ١٨ من الدستور وبارجاعهم اياى من المطار حتى لقد توهمت بأننى قد انتصرت وانهم قد اقتنعوا بالحجة •

ركبت السيارة التى بها امتعتى مع الانجليزى حتى وصلنا أمام (سيدى عيسى) أدخلنى الانجليزى فى حجرة بها كرسى وطاولة وجلست انتظارا لما ستجرى به الأقدار • وغاب عنى الضابط قليلا وعاد • فوقف أمامى ، ثم قال هل عندك فلوس••؟ قلت : نعم وأخرجت كل ماعندى ووضعته على الطاولة فقال : لمن تريد ان تترك فلوسك ••؟ قلت لماذا أترك فلوسى عند الناس ••؟ قال اذا تريد • قلت طيب ولكن بودى أن أعرف لماذا •؟ ولما لم يجبنى قلت له هل فى المسألة اعدام ••؟ قال : لا ، قلت اذن عرفنى لماذا أترك فلوسى فسكت •

وهنا قلت هل ستخرجونى من البلاد قال أيوه • قلت ألم أقل لكم اننى ليبى وان الدستور الذى وضعتموه لنا أنتم لايسمح لكم باخراجى من بلادى فلماذا لاتحترموا الدستور ••؟ فأجابنى بشيىء من الحدة : «ده موش شغلى» فقلت اذن حول لى الفلوس على البلاد التى تريدون نقلى اليها فقال ـ موش ممكن ظروف حرب تحويل الفلوس صعب ـ قلت عجبا للانجليز صدق من قال : (الانجليز يقتلون الانسان ويمشون فى جنازته) وبما أنه يتكلم العربية ويفهمها قال : ازاى بتقول كده • قلت طبعا ياأفندى لم يصعب عليكم اخراج الانسان من بلاده وتبقو أنتم فيها • ويصعب عليكم تحويل الفلوس من بلد لآخر •• ؟•!

وهنا بهت الرجل وقال بغضب واضح : «ده موش احنا أمر حكومة بتعاكم» ومد يده وأخذ الفلوس فقلت اسمع ياأفندى خلص الفندق ايجار الغرفة وجيب لى فاتورة • وخلص المطعم الذى كان يرسل لى الاكل فى الحبس وحول الباقى ، سمع منى هذا وأخذ الفلوس وراح • وجاءنى بتحويل على تونس وهنا اتضح لى الاتجاه تماما •

ركبنا وتحركت بنا السيارة من سيدى عيسى بدون توقف الى أن وصلت (زواره) فقصدت بنا مركز البوليس ونزل الانجليزى لاتمام الاجراءات • وبنزول الضابط

الانجليزى دخل احد المواطنين وهو رجل طويل القامة ذو لحيــة سوداء كثيفــة يرتدى اللباس الوطنى (حولى) وفى آخر أيام الشباب ومبدأ الكهولة حينئذاك حسبما يبدو لى وأظن ظنا قريبا من اليقين ان هذا المواطن هو السيد «٠٠٠» وقال بصوت مرتفع وكأنه يريد أن يسمعنى كلامه ٠ وهو يوجه كلامه الى الضابط الانجليزى قائلا : (موش قلتلك احنا ناس باهيين مانشوشوش عــلى الحكومة) وكم تأســفت وتمنيت أن لاأسمعها من مواطــن ٠

وقد دخل هذا المواطن حيث دخل الانجليزى الى المــركز ، وبعــد لحظة خــرج الانجليزى وتحركت بنا السيارة التى وصلت الى قصر (الشوشه) وهذا القصر يقع بعد الحد الفاصل بين الاراضى الليبية والتونسية بحــوالى ثمانية كيلو متر داخــل الأراضى التونسية ، وحذوه يقع الحاجز العمودى القاطع للطريق والذى يكون عادة فى كل الحدود ليقف عنده المسافرون الذين يجتازون الحدود من بلد لآخر ٠



فى الأراضى التونســـية

وصلت السيارة الى (العامود) ووقفت وكان حذو العامود(سبايس) عربى تونسى فقال له الانجليزى افتح وأجاب (السـبايس) لحظـة لأخبر (الباشاوش) وذهب السبايس يهرول مسرعا نحو القصر والقصر قريب جدا من المكان • ولكن الانجليزى لم ينتظر فاقتحم (العامود) بسيارته فطيره جانبا ومـرت دون توقف حتى وصـلنا (بنقردان) فى حدود الساعة الواحدة والنصف ظهرا تقريبـا وقد قصـد بنا (البيرو) مكتب الحاكم الفرنسى • ولما دخلنا المـكتب وجدت الحاكم الفرنسى شـخصا مالطيـا متجنسا بالجنسية الفرنسية أعرفه جيدا • اذ كان يسكن بالمنطقة التى أسكن بها(حلق الواد) وعندما وقفنا أمامه سلم له الانجليزى رسالة وتكلم معه ماشـاء • وعندها قلت للمالطى والانجليزى واقف يسمع اذا تريد منى أى شيىء فتكلم مع الانجليزى قبـل ذهـابه •

تركنى الضابط وعاد من حيث أتى • وبعـد ذهابه بحوالى نصف سـاعة سألنى المالطى قائلا : أنت طرابلسى أم تونسى ••؟ فقلت له لاأدرى • فقال : كيف لاتعرف نفسك من أى بلد أنت •• ؟ قلت من أين لى أن أعرف • وهذه ليبيا أطردتنى ـ وهذه تونس تتردد فى قبولى وتتجاهلنى • وليس معى أى أوراق تثبت أو تدل على هويتى•؟ قال : وأنا كيف أفعل الآنمعك ••؟ قلت له : انت حر فى تصرفاتك أما أنا ليس لك على ألا ثلاثة أشـياء أستطيع ان أوجيبك عليها وأوطيعك فيها ولاشىء غير ذلك • قال وماهى •؟ قلت هى : اذا تريد اعادتى الى طرابلس أقبـل شاكرا • واذا تريد نقلى الى تونس أقبل حيث لا خيار لى • واذا أردت أن تبقينى هنا أقبل وأمرى لله •

ثم نودى على أفراد من البولس وطلب تجهيز سيارة ونقلى الى (قابس) الا أن أفراد البوليس امتنعوا قائلين انهم لايستطيعون الذهاب فى ذلك الوقت • ولهـذا الامتناع سبب وجيه جدا ، ذلك ان المقاومة التونسية ضد الاحتلال الفرنسى كانت قد بدأت من أشهر مضت عن ذلك التاريخ ولقد كانت هذه الحركة على درجة كبيرة من النشـاط والخطورة والانتشار • وكان من نظامها المعمول به أنها تركن للهـدوء والانزواء كـل يوم من شروق الشمس الى منتصـف النهار فتجد الحـالة عادية والناس فى قضـاء أمورهم • ثم تنطلق بعد الضهر وكامل الليل حيث يخيم على كل شـبر من (المملـكة التونسية اذ ذاك) والخطر يهدد كل من تحرك من الطرفين •

هكذا كانت الحالة يوميا كاملمدة المقاومة ، فعند انطلاق الحركة يصبح الانسان اذا خرج من بيته لايعرف اهو يعود اليه يومها او بعد أيام أو لايعود نهائيا • ولهـــذا

السبب امتنع أفراد البوليس من الذهاب فى ذلك الوقت • وبعد أخذ ورد بينهم فى الموضوع تقرر تأجيل الأمر الى غد ذلك اليوم • وعندها أدخلونى فى غرفة من غرف (بنقردان) العتيقة وجىء لى بحصير فقط ولا شىء غير ذلك •

ولقد علم أفراد من الوطنيين فى بنقردان من بينهم آل (قريصيعه) حاولوا الاتصال بى ولكنهم منعوا ، الا شخص واحد ليبى من غريان جاءنى ليلا وجلس معى حصة ثم انصرف • وفى صباح اليوم التالى جىء بسيارة اركبونيها مع جنديين بوليس وسارت بنا الى قابس حيث وصلناها فى نفس اليوم • وقصدت بنا مركز البوليس (الكوميسارية) فسلمونى الى هذا المركز وقد مكثت به مايزيد عن خمسين ساعة •

ويالها من أيام وليالى • أيام قابس ولياليها • كامل المدة المذكورة وأنا جالس على مقعد (بنك) من الخشب دونما أكل ولا غسيل • أما الحلاقة وأما تغيير الملابس فهذا أمر لاأفكر فيه ولاأطمع به فى تلك الظروف ، ولقد كانت تلك الايام والليالى أثقل على نفسى من الرصاص • فلقد كانت البلاد فى هاتيك الظروف الرهيبة مسرحا لحوادث نشرت الخوف والهلع بين الناس اذ كانت الاخبار المزعجة تتراءى فى كل لحظة فكل داخل يأتى بخبر جديد •

انفجارات متوالية ، هذا خزان نسف وانفجار فى مكتب نسف محطة اغتيال شخص وهلم جر وهكذا كانت الحال طوال النهار فيما بعد الضهر وكامل الليل • وأعوان الامن فى ذلك المركز لايستقر لهم قرار وهم بين خارج وداخل • وأنا جالس على ذلك المقعد أودع الخارج وأستقبل الداخل بنظراتى البائسه ولم يسألنى أحد منهم من أين ولا عن سبب وجودى بينهم أو احتياجاتى •

وفى اليوم الأخير وعندما عضنى الجوع بنابه المؤلم الحاد ، وضغط الضماء بكماشته الكالحة على كبدى فقد عيل صبرى وراحت كبريائى • ولم يبق فى قوس الصبر منزع نهضت من مكانى حانقا الى مكتب كان قريبا منى وقد كان به ثلاثة أفراد من البوليس فيما أتذكر وقد قلت لهم بشيىء من التأثر : أنا من يومين وليلتين هنا أمامكم لم أذق فى خلالها طعاما ولا حتى الماء •

(والحقيقة ان الماء غير مفقود ولكن كما يقولون (الماء سلطان لاينزل الا على الفراش) والفراش هو المفقود بالنسبة لى •) فلم لم تسألونني ولم تفكروا فى أمرى • ولم تسألونى عن سبب وجودى بينكم وعن احتياجاتى وأنتم ترون حالتى • وكم كانت خيبة الأمل مرة وشديدة الوقع على نفسى حينما أجابنى أحدهم بقوله : نحن لانعلم عنك شيئا فالذين أتوا بك هم المسئولون عنك •

وبهذا الجواب لم يبق أمل فى مساعدتهم فقلت لهم اذن أستطيع الخروج للتفتيش عن غداء وأعود اليكم ، فقالوا لانسمح بذلك حتى يأتى الذين جاءوا بك ، وهنا اشتد

بى الغضب فقلت لهم : هل أنتم مسلمون ..؟ فقال أحــدهم أفى ذلك شــك . قلت كبير . وأردفت قولى هذا بسرعة « ألا تعلموا أن الله عذب امرأة أدخلها النار من أجل قطة حبستها فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من حشائش الارض..؟» وأنا كما ترون من بنى آدم ومع ذلك أخوكم مسلم تعاملوننى هكذا .

قلت هذا وعدت الى مكانى . وبينما أنا أفكر بعد سماعى ذلك الجواب اليائس . اذ التحق بى أحدهم وجلس حذوى وقال : سامحنا ياخويا انت ترى الحالة التى نحن فيها . أتدرى انه بيننا من لم ير أولاده من يومين وثلاثة . وبعد حديث عن هذه الحالة السائدة هناك قال لى : أين قبض عليك ولماذا ومتى ..؟ فقلت أنا لم يقبضوا على بل سلمونى الانجليز للفرنسيين وأنا من طرابلس أبعدتنى سلطات البلاد ، وهنا أطرق برأسه قليلا يفكر . ثم قال لعلك من جماعة الســـعداوى .. ؟ فقلت من صــميمها . فقال : كناسمعنا أخباركم فى الراديو ولكن سمعنا من جهة أخرى انهــم أخرجوكم الى مصر ، قلت صحيح ابعدوا الجماعة الى مصر . وأنا وحدى جاؤا بى الى تونس .

وبعد أن تحادث معى قليلا تركنى وخرج ثم عاد بعد قليل ومعه شىء من الأكل الخفيف ، وفى منتصف النهار نفسه جاءنى بشىء من الأكل (السوقى) وقبل المغرب بقليل من هذا اليوم نقلنى جندى بوليس من هذا المركز وسلمنى الى مركز الجندرمة فى نفس البلاد ، وفى نفس الوقت أدخلونى (الجندرمة) فى مخزن واسع الأرجاء جدا ملآن باللوح فى أشكال مختلفة من كراسى وطاولات وسلاليم وأشــياء أخرى كثيرة . وأمضيت تلك الليلة فى ذلك المخزن .



مع الجندرمه من قابس الى صفاقص

قلت أمضيت تلك الليلة فى ذلك المخزن تحت رقابة الجندرمة • وفى حوالى الساعة التاسعة صباحا جاء الجندرمه وفتحوا الباب ووضعوا فى يدى الحديد المتصل بسلسلة يمسك بها أحد أفراد الجندرمه • قلت فى نفسى لعلهم اعتبرونى خطأ من عناصر المقاومة التونسية والا لماذا يضعوا الحديد فى يدى كأننى مرتكب جريمة • لذا فقد قلت لهم لماذا هذا الحديد فى يدى وأنا لم أرتكب شيئا عندكم ••؟

ولقد أجابنى الماسك بسلسلتى بقوله : لاتخف ليس لنا عليك شيىء وانما هذا نظام الجندرمه لايقع بأيدينا أحد وننقله من مكان لآخر ولو خطوة واحدة الا فى الحديد بصرف النظر عن كونه مذنبا أو غير مذنب ، سرت معهم حتى مدخل المخزن واذا بسيارة كبيرة واقفة وبها مجموعة من الاخوان التونسيين ولما دخلت السيارة رأيت أولئك الاخوان كلهم فى الحديد مثلى وكلهم مقبوض عليهم فى حوادث المقاومة •

تحركت بنا السيارة فى اتجاه صفاقس بصحبة أفراد من الجندرمة • وحينما وصلنا الى صفاقس وقفت السيار أمام (الكوميسارية) : مركز البوليس • أنزلونى فى هذا المركز وقد أدخلونى فى أحد المكاتب • أما الاخوان التونسيون فقد واصلت السيارة سيرها بهم الى جهة ما ، دخلت المركز وجلست على كرسى فى زاوية من المكتب •

ولقد أجابنى الماسك بسلسلتى بقوله : لاتخف ليس لنا عليك شيىء وانما هذا ولا داعى الى أن أقول انهم مسلمين لان منطقة المغرب ابتداء من حدود ليبيا الشرقية الى مياه المحيط فى المغرب اذا قيل أنهم عربى عرفوا انه مسلم — قلت وجدت أربعة من أفراد البوليس جالسين حول طاولة يلعبون الورق (كارطه) فجلست منفردا فى انتظار ماستجرى به الأقدار • وبعد راحة قليلة تقدمت الى أولئك الاخوان وبعد التحية طلبت منهم أن يأتونى (بكأس من الحليب وربع خبزة) فلم يجاوبنى أحد منهم فالححت فى طلبى ووضعت الفلوس أمامهم وقلت لهم ارسلوا من يأتينى بطلبى وأعطوه أجره الذى يطلبه •

وهنا أجابنى أحدهم بقوله ممنوع دخول القهوة للمركز ، ولكننى لم أقتنع بهذا الجواب • وماذا أفعل وأنا أحس بآلام الجوع الا أن أزيد فى الألحاح حتى شغلتهم عن لعب الورق • وهنا قال لى أحدهم : انتظر قليلا سوف يأتى بائع الشاهى وخذ منه ، قلت سبحان الله ماهذا التناقض اعلموا طيب فأنا من وجبتين لم أطعم فسكتوا عنى وعادوا الى لعب الورق ولم يتأثروا بكلامى •

رجعت الى مكانى وجلست مفوضا أمرى الى الله ، وبعد لحظة بينما أنا أفكر فى تصرفات الأقدار . اذ دخل شاب (مفتش بوليس) وهذا الشاب ليبى الأصل أى انه ينحدر من أم وأب ليبيين هاجرا من ليبيا . أما هو فقد ولد فى تونس وهـو يجاورنى فى المسكن فى (الكرم) بيتى وبيته متلاصقان اسمه (رحومه ضو) وتشاء الصدف أن يكون عمله فى ذلك الوقت فى (صفاقس) وفى نفس المركز حينما دخل هـذا الشاب وقف لحظة يتأمل من هذا الجالس الغريب حيث لم يتمكن من معرفتى بسرعة نظـرا لحالة التغير التى كنت عليها ، فمنذ دخولى الحبس فى طرابلس لم أحلـق لحيتى ولا رأسى ، ولم أغير ثيابى . مع توالى أيام الجوع والحالة النفسية التى أنا عليها بسبب ماوقع وما أنا عليه .

فكل هذه العوامل كان لها وقعها الشديد وتأثيرها الأشـد . ومع ذلك فمنـذ مايزيد على الأربعة سنوات مضت لم نتقابل فيها ، لذلك كله وقف لحظة يتأمـل . ثم تقدم الى وقال (عمى أحمد) قلت نعم ، قال : ماهذه الحالة ..؟ قلت : انها حالة الحرب يابنى ، وما أدراك ما الحرب ، فقال لقد سمعنا بكم فى الاذاعة .

وبعد ذلك سألته هل صحيح دخول القهوة هنا ممنوع ..؟ فقال لا من قال لك هذا ..؟ قلت هؤلاء الاخوان رجوتهم أن يأتونى (بكأس من الحليب وشىء من الخبز) فقالوا ممنوع . وقال فى شىء من الانفعال والجماعة يسمعون : لم يكن ممنـوعا أبدا ولكن هؤلاء الجماعة ، لعب الكارطه عندهم خير من مسلم قال هـذا وانصرف دون كلام آخر .

وبعد انصرافه رأيت الجماعة الذين يلعبون (الكارطه) ينظرون الى بعضهم وقال أحدهم (لازم يعرفه من قبل . وأجابه آخر : لازم أكون بنعمه موش غير يعرفه ماهو حتى هو طرابلسى) ولم يغب الشاب رحومه طويلا حتى عاد وبيده نصـف ليتر من الحليب وقطعتان من (البريوش) نوع من الخبز وعندها طلبت اليه أن يستأذن لى من (الكوميسار) كى أحلق وجهى اذا كان ممكنا فذهب لتوه وجاء بعـد قليل ليقول لى أنك ستسافر الى تونس ولم يبق من الوقت لوصول (لاتوراى) الا ربع ساعة ، وهـذه مدة لاتكفى .

فى الطـــريق الى تونس

وفعلا لم أنتظر الا قليلا حتى جاء جندى بوليس وأخذنى على محطـة « لارتال » وهناك سلمنى الى جندى بوليس يهودى ٠ وهذا صحبنى الى سوسه ٠ ومنها سـلمنى بدوره الى بوليس عربى الذى رافقنى الى تونس ٠ أما ((اليهودى)) فقد ذهب من سوسه الى القيروان حسبما قال لى البوليس العربى ٠ وقد وصلنا الى تونس ليلا ٠ ومن المحطة أخذونى الى المكتب الثانى «دوزيام بيرو» وهـذا اسمه بالفرنسية وهو يقـع فى نهج (البروفانس) ورئيس هذا المكتب رجل فرنسى ٠ قصير القامة نحيف الجسم يعرف العربية الدارجة بطلاقة اسمه (روبير)

ولقد وجدت فى هذا المكتب اثنين من البوليـس العـرب أعرفهما من قبـل هما السيدان : (محمد طبقه وابنه أحمد طبقه) ٠ ومحمد طبقه هذا شخصية معروفة فى عالم البوليس لدى الاوساط التونسية ٠ وبعد وضـع ادباشى فى زاوية من المكتب قادونى الى حبس الكوميسار المركزى أو « كوميسار فندق الفول » كما يسمـونه فى تونس ٠ وأدخلونى فى حجرة مربعة الشكل سعتها ستة امتار فى هذا العرض تقريبا وفى هـذه الحجـرة مكان فى عـرض ميتر واحـد وطول اثنين ميتـر تقريبـا محجوزة بحائط ارتفاعه ميتر تقريبا مخصص لقضاء الحاجة البشرية ٠ ولقد وجـدت هذه الحجرة مكتظة بالناس الى حد لايتصوره الامن رآها بعينه ، تضـم هذه الحجـرة خليطا تتمثل فيه جميع الطبقات من أعلاها علما ومالا وفكرا وزيا ، الى أسفلها ، جهـلا وفقرا وسذاجة وهنداما ٠

وحينما دخلت هـذه الغرفة لم أجد مكانا لأجلس فيه ٠ ولقد بقيت واقفـا زهاء ساعة حتى جاء أفراد من البوليس وأخرجوا مجموعة لنقلها الى مكان ما ٠ وحينئذ تمكنت من الحصول على مكان جلست فيه ٠ وهـؤلاء الناس يقع القبض عليهـم فى الشوارع بالمناسبة وبدون مناسبة ويودعونهم هناك رهن التحرى والتحقيق يحشرونهم فى تلك الغرفة حتى اذا ضاقت بهم تنقل مجموعة منهم الى جهة أخرى ٠ ولا تلبث حتى يأتوا بمجموعة أخرى من شوارع المدينة فتصبح الحجرة مكتظة كما كانت وهكذا دواليـك ليلا ونهارا قصد التأثير على المقاومة الشعبية ٠ ولـكن المقاومـة كانت تزداد صـمودا وقوة وعنفا ٠

والشىء الملفت للنظر هو أن جميع أولئك الناس لاترى بينهم حـزينا ولا خائفا ولا حتى متأسفا بل تراهم ينظـرون من فجـوات فى باب الغرفة للقـادم والغادى ويشتمون أفراد البوليس عند مرورهم ويهددونهم بالطرد فى المستقبل ٠ والحجرة فى اكتظاضها ودويها كخلية النحل فتراهم يرقصون ويغنون ليلا ونهارا كأنهم فى حفلات

صاخبة متواصلة لا انقطاع ولا فتور • فهذه الجموع الكثيرة والمتجددة باستمرار تجد بينها لابس الثياب الحريرية • وبدل الملف • والبدل الفرنجية الرفيعة وبدل العمل • وبالجملة تجد بينهم المتعلمين والمثقفين والتجار والصناع والجهلة والمصلين والسكيرين والعقلاء والمعربدين وعمال البناء والمجارى والكناسين والشحاتين •

وكل هذه الانواع فى انسجام بديع واتفاق فى آرائهم وصمود رائع واستخفاف بتلك التصرفات الاستعمارية • وحينما أقول طبقات الشعب التونسى أعنى بذلك كل عربى يوجد بالقطر التونسى فى ذلك الوقت • ذلك لأنالاستعمار لايفرق بين عربى وعربى آخر • ولو كان من مشرق الشمس او من مغربها • والواقع ان الفرنسيين قد اهتدوا الى حقيقة واقعية • ذلك ان العرب أنفسهم كأفراد أو شعوب ذلك هو واقعهم • فهم لايستطيعون الوقوف متفرجين حياديين من أى جهة كانوا تجاه معركة وطنية تحريرية تضطرم أوارها بين الاستعمار من جهة وبين حركة تحريرية عربية من جهة أخرى • وهى حركة فى حقيقتها تجزء من حركة قومية أوسع وأشمل من الاقليمية المنكمشة •

ولذلك فان هذه الدوافع الطبيعية التى تختلج فى نفوس العرب • كل العرب (كشعوب) أذابت الشعور بالاقليمية • وجعلت اعتبارها والاعتماد عليها فى مثل هذه الظروف والمواقف أمرا مستحيلا • بل خيانة عظمى • واثباتا لهذا القول ، أقول : انك ترى بين تلك الجموع المحشورة فى غرفة الحبس الآنفة الذكر • ترى المغربى والجزائرى والليبى والتونسى وأى عربى يوجد بالبلاد التونسية • وعلى أثر ذكر هذا الشعور القوى الذى يعتمل فى نفوس الشعوب العربية ، واثباتا لما تقدم • أود أن أذكر موقفا واحدا لأحد الاخوان الجزائريين كمثل حى وتأكيدا ملموسا •

رجل جزائرى بسيط عامل يومى من عمال البناء العاديينيتكلم العربية باللهجة الجزائرية بصعوبة جىء به فى احدى الدفعات التى يأتون بها الى ذلك المحشر • وقد كان من عادة المحبوسين السابقين كل مادخل عليهم جديد استقبلوه بوابل منالأسئلة: أين قبض عليك • وماذا فعلت • وهل قبض عليك وحدك أم مع آخرون ومن هو البوليس الذى قبض عليك ، وغير ذلك من الأسئلة •

وعندما وصل الأخ الجزائرى المشار اليه آنفا مع مجموعة من الاخوان استقبلوه السابقون بسؤالاتهم تلك فقال : كنت عائد الى بيتى عند انتهاء عملى وحينما وصلت الى نهج « كذا » طوقونى البوليس والجندرمة مع آخرين وأخذوا يفتشوننا ويطلبون منا بطاقاتنا الشخصية : « كارت دى دانديتى » ليتعرفوا على أشخاصنا • ولما اطلعوا على بطاقتى أعادوها لى وقالوا لى : أنت جزائرى فرنسى انطلق لشأنك • قال : فقلت لهم : (أنا عربى موش فرنسى نبغى الروح مع اخوانى العرب وين مابتدوهم هذه

هى عباراته بالضبط ولم تبرح ذاكرتى منذ نطق بها وسمعتها . وبمجر سماعى هذه العبارات من ذلك الرجل البسيط ارتفعت معنوياتى ونسيت كل ماقاسيته وتهيىء لى كأنما أزمة العالم العربى قد بدأت فى الانفراج . وهذه القصة قد وقعت قبل قيام الثورة الجزائرية كما هو واضح من تاريخ الحادث .

رجل بسيط يحمل فى يده (قفة) صغيرة فيها أكله فى محل عمله ، عامل بناء بسيط عادى يحمل بين جنبيه هذه الروح المتمردة والاحساسات العربية الطاغية على كل الاعتبارات والشعور الاسلامى الفياض كلها أدلة ناطقة على الروح المتوثبة للاتحاد والعمل التى تغمر الشعوب العربية طرا ، هذا موقف سمعته بأذنى ورأيته بعينى والآن وبعد الانتهاء من هذه القصة العارضة أعود الى الموضوع فأقول :

بقيت فى هذا الحبس ستة أيام بلياليها . وفى كل يوم يأتينى جندى بوليس صباحا لأذهب معه الى «المكتب الثانى» للتحقيق معى . وكل التحقيقات كانت مجرد سؤالات عن الاشخاص . فلان الليبى مع من ؟ فلان ماهو اتجاهه ؟. فلانجليزى ماهو عمله ؟ وهلم جر حتى اليوم السابع . وفى هذا اليوم عندما أرادوا اعادتى الى حبس الكوميسارية امتنعت فى عصبية وتصميم .

وبعد جدال عنيف تتخلله عبارات تهديدية أجابونى على طلبى على شرط أن أتردد على ذلك المكتب يوميا حتى ينظروا فى الامر . فقبلت منهم . ثم حذرونى بشدة من الاتصال بالصحافة أو الكتابة فيها وعدم الاختلاط بالتونسيين فى الاجتماعات وقبلت كل ذلك أيضا ، وعدت الى مسكنى (بالكرم) الذى لم أره منذ أربع سنوات مضت ولقد نفذت شروطهم فى التردد عليهم .

وفى يوم من أيام هذا التردد كان «المسيو . روبير » رئيس هذا المكتب يتحادث معى فى هدوء وانشراح وهو سريع الخاطر كثير الاهتمام بما أقوله له . وكان يسئلنى كيف بدأت الانتخابات وكيف حولت النتيجة الى صالح الادارة .. ؟ وكيف أبعدوكم ؟ ومن هم المبعدون كلهم و... ولقد تبادر الى من شكل هذا الحديث أنها كانت أحاديث استدراجية علهم يستنتجون من كلامى مايدل على مايظنونه فى ابعادى الى تونس .

وكما تبادر الى أيضا فى خلال الأحاديث أن أوجه لوما على موقف فرانسا فى شخص مندوبها فى مجلس هيئة الأمم بليبيا وان كان فى غير أوانه . فقد قلت له : (ان مندوب فرنسا كان دائما فى جانب الانجليز وهو موقف ماكنا ننتظره من فرنسا . ولذلك فنحن كليبيين نعتبر فرنسا شريكة عن قصد فى ظلمنا بموقفها فى جانب الانجليز واهدارها لحقوقنا دون أن تكون لها فائدة فى ذلك .

ففى اعتقادنا ان فرانسا لو اهتدت الى الوقوف فى جانبنا لخففت علينا من وقع الكارثة على الأقل • كارثة النفوذ أو التسلط الاستعمارى المـزدوج • فلو فعلت ذلك لكان لها فيه شرف • ومصلحة لمستقبلها • فالشرف هو أن تقف بجانب الحـق وأن تناصر الضعيف ، أما المصـــلحة هى اطمئنانها لمجاورتنا لأننا نحن شعب صـــغير وضعيف فلا خطر عليها منا • ونحن فى حاجة الى خبراتها وتجـارتها • كما انهــا فى حاجة الى أسواقنا وما لدينا من مواد الخام •

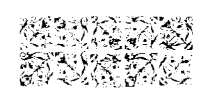
قلت هذا الكلام وكان (المسيو روبير) ينصت اليه فى عناية واهتمام واضحين • وعند الانتهاء أجابنى « المسيو • روبير » بعدما تنفس بقوة بقوله : (لسنا نحن الذين اخترنا ذلك الموقف ولكنه الدولار • الدولار هو الذى يريد ذلك • فلو كان الاختيــار لنا • كنا نود أن تكون ايطاليا هى التى تجاورنا ؟!) هكذا كانت عبــاراته بالتحــديد تماما • وما كدت أسمع منه هذه الجملة حتى قلت فى نفسى دفع الله ماكان أعظم •

وبعد أيام شعرت بوجود مراقبة تتبعنى وتحصى حركاتى واتجاهاتى باستمرار وعلى غاية من السرية والتحفظ • ولقد تضايقت من تلك الحالة • وأخذت أفــكر فى الطريقة التى تمكننى من معرفة أسباب هذه الحركة ، وبعد أيام التجيت الى أحد معارفى من الفرنسيين وهو من الشـخصيات ذات الدراية والاتصـال • التجيت الى هــذه الشخصية وصارحتها بأننى أشعر بتتبع لتحركاتى لاأعرف لها من سبب • ولـكننى تأكدت من وجودها • هذا فى الوقت الذى أعتقد أن فرانسا تعرفنى جيدا فما بالهـا اليوم تتجاهلنى • وعلى كل فالذى يهمنى من هذا الامر هو أننى أخشى أن يكون أحدا قد أبلغها عنى أخبارا زائفة • ان المتزلفين الذين لايتورعون عن أى عمل فى ســبيل مصالحهم الشخصية كثيرون •

هذا ولقد جئتك خصيصا فى هذا الموضوع • فكر صاحبى قليلا ثم قال ســوف ننظر فى الامر وعندها هممت بمغادرته • قال لى على كل غدا الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر تنتظرنى فى مقهى (الكوليزى) بشارع « جـول فيرى • سابقا » « الحبيب بورقيبه حاليا » وبعد أن شكرته ودعته وانصرف كل منا لشأنه • وفى الساعة الرابعة وقبل الموعد المحدد بنصف ساعة من بعد ظهر اليوم الموالى كنت جالسا فى المقهى المتفق عليه تحت ذلك السقف المتنقل فى انتظار صاحبى وفى نفسى الـكثير من الهواجس • ولقد كانت الدقائق عندى كأنها ساعات وفى الوقت المحـدد بالضبط وصـل صـاحبى فنهضت اليه وبعد تبادل التحية أخذنا نتحدث فى غير موضوعنا بينما كنت فى أشد الشـوق الى معرفة النتيجة التى جئت هناك من أجلها • ولـكننى استعملت عـــدم الاهتمــام •

ولما طال الحديث لم أتمالك أن سألته هل من جواب على موضوعى ٠٠ ؟ فأجاب بنعم ٠ ثم أردف قائلا ولكن قبل ذلك أود ان أنبهك الى شىء مهم جدا ٠ وهو انه نظرا الى الماضى فاننى أطمئن اليك ومع ذلك فلا أرى مانعا من أن أنبهك بأننى سأقول لك ماعلمته ويجب أن لاتعيده لأحد أى كان ٠ قلت : طبعا كن مطمئنا ٠ فقال : اسمع طيب الحكومة الفرنسية قد ساورتها الشكوك فى اعادتك الى تونس بعد أن ثبت هنا وهناك انك ليبى وان زملاءك أبعدوا الى مصر ، فهى بناء على هذا ترى فى ذلك سرا خطيرا والسياسة ذات وجوه لاتدوم على حال ٠

وهنا قلت له بتأثر واضح كيف ذلك وما هو هذا السر ياترى ٠ رجل مثلى طرد من بلاده مقهورا فى حقه فأصبح مغلوبا على أمره ٠ فابتسم قليلا وقال : انت تقول هكذا ومن حقك وواجبك أن تقوله ، ولكن الحكومة ترى ابعادك لايعدو عن كونه مسرحية الهدف منها تغطية الحقيقة المكلف بها لمصلحة الانجليز ٠ وليس فى السياسة غريب ٠ وعلى كل فأنا أنصحك بأن لاتهتم بهذا التتبع ولا تبدى قلقك لأحد وقريبا ينتهى كل شىء فهناك فى الجهة المختصة من كان موقفه فى صالحك ٠



انفرجت الأزمــة وتحــررت

وبعد حوالى شهرين انفرجت أزمتى المقلقــة بانتهاء ذلك التتبــع وذلك التردد المشروط فقد تحررت من كل القيود المرهقة المخيفة وأصبحت فى ظروف عادية ٠

وفى أوائل شهر يوليو من سنة ١٩٥٣ م ترامت الى الأخبار تقول أن المعاهــدة الليبية الانجليزية أو الامريكية (طال الزمن) ستعرض فى الشهر الداخل على مجلسى النواب والشيوخ لاقرارها ، وفى الواقع ان المعاهــدة كانت قائمة عمليا من قبــل وما تقديمها لمجلسى النواب والشيوخ لإقرارها الا اجراءات شكلية اقتضتها اعتبارات دولية وقانونية ، أما بالنســبة للشعب لبس الا لذر الرماد ٠ ٠ ٠ والشــعب يعرف ذلك ولكن ٠٠٠ وبالرغم من ذلك وبالرغم من اعتقادى أن العناصر الوطنية المعارضــة ٠ أو التى أعتقد انها ســتعارض هى أقلية ضــئيلة لاتستطيع أن توقف سير المؤامرة ٠ رغم ذلك رأيت من الواجب على ألا أترك الفرصــة تمر دون تذكير لتحميــــل المســئولية التاريخية على الذين لهم حق المعارضة والرفض وان نســجل للأجيال المقبلة تصرفات من قبلهم ٠

وفى الواقع أننى لاأعرف موعد اجتماع المجلس بالضبط والتحديد فذلك لأننى فى السنة الاولى والثانية من ابعادى لم أر أحداً من المواطنين فحتى الاخــوان الذين كانوا يفدون الى تونس فى فترة العامين كانوا على ماأحسست يتحاشون الاتصال بى خوفا من عيون حكومة ليبيا ، خصوصا كانت قد أذاعت بعض المحطات وكتبت جرائد الشرق أن الســعداوى سيعود الى الوطن ــ فلهذه الاسباب كانت عيون الحكومة وراء كل من يخرج من ليبيا ، ومن هنا كانت المعلومات الصحيحة مفقودة عندى فيما يختص باجتماع مجلس النواب ٠

ولذلك واعتمادا على تلك الاخبار التى ترامت الى من مصــــادر غير ذات دراية وخبرة بالموضوع فقد قمت بارسال برقيتين بتاريخ ١٩٥٣/٨/٥م احداهما للنائبين : الحاج مصطفى ميزان رحمه الله ، والحاج مصــطفى السراج باعتبــارهما نائبين عــلى الشعب حقا ولهما روح وطنية ٠ وهما من مرشحى «المؤتمر الوطنى العام» والبرقيــة الثانية للملك الســابق بوصفه المســئول الاول والقادر على تخفيف وطئة المعاهدة على الأقل حفظا لكرامة الدولة الفتية وحفاظا على حقوق الشعب اذا أراد ذلك ٠

نص البرقيتين

سيادة الملك ادريس المعظم ـ طرابلس •
المعاهدة الليبية الانجليزية والأمريكية ستقضى على الاستقلال وتذهب براحة الأجيال المقبلة • لذلك نناشدكم باسم العروبة والاسلام أن تنقذوا البلاد من شرورها ، وأن لنا فى حكمة جلالتكم وتاريخ أجدادكم مايطمئن قلوبنا ـ فى ٥/٨/١٩٥٣ م

==×==×==×==

النائب المحترم مصطفى ميزران ـ النائب المحترم مصطفى السراج

المهاجرون الليبيون بتونس يضعون ثقتهم فى وطنيتكم للقيام بما يجب من المساعى لرفض المعاهدة فان فيها ضياع الاستقلال وتأخر البلاد وان للشعب كلمته وللتاريخ حكمه ـ فى ٥/٨/١٩٥٣م

وبعد مضى الثلاثة أعوام تقريبا من يوم ابعادى ووجودى فى تونس اتصل بى الكثير من الاخوان ولقد هممت بذكر أسماء الاخوان الذين زارونى • والذين سمعت بوجودهم فى تونس فزرتهم أنا للسلام فقط • وبما أن بين هؤلاء وأولئك عناصر وقعت بينى وبينهم مواقف منها الكريم المشكور ومنها الخسيس المذموم • وبما ان ذكر أسماء المسيئين لم يحن وقته بعد فلذلك ضربت صفحا عن ذكر الاسماء من القسمين حتى لاأحرج الاخوان • وعلى كل فان الاسماء محفوظة ولن تضيع باذن الله حتى يحين وقتها •

أما الآن وفى هذه الظروف بالذات فان نشرها قد يعتبره الكثير والكثير جدا انه من باب الغمز والشماتة • وأننى حينما أقول هذا أقوله على معرفة واطلاع على نفسية الشعب التى يجتاحها تيار عاصف من العاطفة الجامحة التى طغت على كل الاعتبارات وغطت على كل الماضى بما فيه من اهمال وأخطاء وبيع الذمم ، واذا كانت هناك عناصر تود فضح الأشياء حتى فى غير وقتها فهى عناصر تعمل على دفع الانسان للوقوع فى الورطة مع الغير ثم هى تقف من بعيد متفرجة ضاحكة على الطرفين فهذه عناصر أرفض أن أعمل بآرائها •

الالتحاق بالمرحوم السعداوى
فى مصـــــر

ففى شهر نوفمبر من سنة ١٩٥٦م فيما أتذكر أو قبله بقليل وصلتنى رسالة من المغفور له البشير السعداوى يطلب منى الالتحاق به لأعمال هامة ، ولقـد أخذت فى الاستعداد للسفر فاستخرجت وثيقة سفر من تونس (خاصة بالأجانب) وبينما كنت على أهبة السفر اذ وقع الاعتداء الثلاثى على مصر فوقفت جميع المواصلات من والى مصر بطبيعة الظرف ، وعلى أثر انتهاء ذلك الاعتداء بأيام معدودات • أخذت الوثيقة وذهبت الى السفارة الليبية فى تونس • ولقد كانت السفارة حديثة العهد حتى أنها لازالت لم تتخذ لنفسها مقرا لأعمالها وانما هى بدأت تباشر مهمتها فى فندق (التونزيان بالاص) بتـونس •

ولقد كانت مجموعة السفارة تتكون من ثلاثة أشخاص هم : المرحوم عبد السلام البسيكرى وهو أول سفير لليبيا فى تونس • والشـــابان : (عبـد القادر انورفلى) (وفرج التربى) ذهبت الى السفارة فى هـذا الفندق فلم أجد المرحوم عبـد السـلام الذى كنت اعرفه ويعرفنى من أيام المؤتمر وجمعية عمر المختار ، وانما وجدت الشابين المذكورين • ولم تسبق لى معرفة بهما • كما انهما لايعرفاننى أيضا ولكنهما استقبلانى ببشاشة واستعداد •

والجدير بالذكر هو أننى قد غيرت اسمى فى الوثيقة بحذف اللقب المعروف به قصدا سألت الشابين عن السيد عبد السـلام • فقالا ماذا تريد نحن نقوم بالواجب ، فقلت : أريد تأشيرة سفر الى مصر عن طريق ليبيا • وقد استعدا لاعطاء التأشيرة • ولكننى خوفا من أن يقعا فى مأزق حـرج ، وربما خطير بسببى فقـد أوضحت لهما وضعى • فراجع أحدهما القائمة السوداء وعاد يسألنى هل عندك اسم آخر ••؟ فقلت أجل وبينت لهما فاعتذرا عن عدم اعطاء التأشيرة • ولقد كانا على حق فى اعتذارهمـا ولا لوم عليهما •

وفى ما بعد ذلك اليوم قابلت المرحـوم البسـيكرى السفير على حـده وخارج السفارة أى الفندق وبينت له حاجتى الملحة للسفر الى مصر عن طريق ليبيا لانها أقل كلفة • فقال : يافلان اظنك تتأكد لو أن الأمر بيدى لأعطيتك تأشيرة العودة الى ليبيا وليس المرور منها وحسب • ولـكنك تعرف ، وأرجو أن لاتظن بى غير ماكنت عليـه نحوى فشكرته ، ورحت رأسا الى سـفارة ايطاليا وأخـذت منها تأشـيرة • وركبت الطائرة الى روما حيث بقيت بها يومين •

ولقد كانت الطائرة التى ركبت بها من تونس انجليزية لايسمح لها بالذهاب الى مصر وبعد يومين أخذت طائرة ايطالية من روما ، وقد كانت أباحت مصر للطيران الايطالى بالنزول فيها وطارت بنا رأسا الى القاهرة ، أقمت فى القاهرة عشرة أيام اتصلت خلالها بالمرحوم الدكتور (محمد فؤاد شكرى) ومنه علمت أن السعداوى قد انتقل الى سوريا فعولت على الالتحاق به فى سوريا ٠

وفى خلال الايام العشرة رأيت أن لاأسافر دون الاتصال بالجهات المصرية ٠ فقابلت المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر ٠ ولم تكن مقابلتى هذه الا لحظة للسلام ، ثم قابلت (على صبرى) وكان اذ ذاك شابا يبدو انه وديع قليل الكلام ٠ وبعد محادثة غير طويلة احالنى الى (فتحى الديب) وكان فيما علمت مختصصا بالشئون العربية ولكنه يبدو لى انه غير مهتم ٠ ولم يكن فى مستوى السياسيين الذين يستطيعون التاثير على مخاطبيهم ٠ وأقول الحق اننى لم أستطع التفاهم معه وخرجت من مكتبه فى حالة نفسية غير التى دخلت بها ٠

وبعد هذه المقابلات ركبت الطائرة من القاهرة الى دمشق وفيها اتصلت بالمرحوم السعداوى فوجدت عنده تدابير وبرامج واستعدادات لحركة وطنية ليبية ٠ وبعد أيام من وصولى كتبنا مذكرة الى الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله أرسلت عن طريق السفارة المصرية بدمشق وبينما نحن فى انتظار رد المذكرة أصيب السعداوى بألم فى احدى رجليه تسبب له فى ملازمة الفراش وعلم شقيقه المرحوم (محمد نورى السعداوى) فجاءه من (بيروت) وبعد أن أقام معه أياما وأجرى له عدة كشوف طبية ٠ وأخيرا مجلس طبى من أربعة أطباء وبعد كشف دقيق ومداولات قرر هذا المجلس أن لا معالجة مفيدة الا ببتر الرجل ٠ فرفض أخوه ذلك ونقله الى بيروت وبعد ثلاثة أيام فى بيروت أعلنت اذاعة لبنان انتقاله الى رحمة الله يوم ١٧ يناير ١٩٥٧م

وهكذا فلقد دامت اقامتى بدمشق شهرين اثنين ٠ وفى أوائل فبراير ١٩٥٧م عدت من دمشق الىالقاهرة ٠ وفى عودتى هذه قابلت مرة أخرى (الاستاذ على صبرى) ولم أقابل غيره ، وبعد عشرة أيام أخرى فى القاهرة عدت بالطائرة الى تونس عن طريق اليونان وايطاليا ٠

وفد المساعى الحميده

رغم اننى قلت سوف لأذكر الآسماء فان تسلسل الحديث يضطرنى أحيانا الى ذكر بعضها بطريقة لاتحرج غيرهم . وهنا أذكر ثلاثة أشخاص يتكون منهم : (وفد المساعى الحميده ذلك انه حينما احتدم الخلاف الشديد المؤسف في الشقيقة تونس بين الزعيم بورقيبه (الرئيس بورقيبه) والزعيم صالح بن يوسف رحمه الله تبادر للحكومة الليبية ان ترسل وفدا للمصالحة بين الطرفين المتنازعين . ولقد وصل هذا الوفد الى تونس وهو يتكون من المرحوم : (محمد أبو الاسعاد العالم مفتى ليبيا) (وعبد الحميد عطيه الديبانى) (وابن حليم) وهناك اتصلوا بالجانبين ، ولقد كان جواب الزعيم بورقيبة اذ ذاك هو مايلى : لما كنتم تنشدون الاصلاح بيننا فلماذا أخرجتم السعداوى .. ؟ وما هو الفرق بين هنا وهناك .. ؟ ولماذا لاتصلحوا أمركم قبل اصلاح غيركم .

أقول هذا علما بأننى لم أحضر اتصالاتهم ومداولاتهم (طبعا) ولم أجتمع بهم ولا بأى منهم مطلقا . ولكننى علمت هذا فى تونس وفى نفس الوقت من مصدر تونسى أظنه على معرفة واطلاع ، ولقد رجع الوفد من حيث أتى .. وانتهى الخلاف بتغلب الديوان السياسى بزعامة أبورقيبة (الرئيس ابورقيبة) على الأمانة العامة بزعامة المرحوم (صالح بن يوسف) وعلى اللجنة التنفيذية للحزب الدستورى التونسى بزعامة المرحوم (محمد محيى الدين القليبى) .

بعد انتهاء ذلك الصراع تشكلت الحكومة التونسية وأعلن الغاء الحكم الملكى فى تونس بواسطة الاذاعة التونسية يوم الخميس ٢٦ فى ذى الحجة ١٣٧٦ هـ الموافق ٢٥ يوليه ١٩٥٧م هكذا وجدته مسجلا عندى .

وبعد قيام الحكم الجمهورى ساءت الحالة فى تونس من ناحيتين روحية واجتماعية فالناحية الروحية قد عمت الجميع كمسلمين ، وأما الناحية الاجتماعية فقد كانت خاصة بنا نحن الغير التونسيين ، اذ أصدرت الحكومة قرارا بمنع استخدام غير التونسيين الأمر الذى سد فى وجوه الجاليات المختلفة أبواب الرزق ومن هنا أصبحت الحياة صعبة والحالة مخيفة والمستقبل غير مريح .

ولكن والحق يقال فلقد وقفت الصحافة التونسية العربية والكتاب من الاخوان التونسيين وقفوا جميعا ضد هذا القرار وانتقدوه فى شبه هجوم وأنحو بلائمة على الحكومة لارتكابها هذا الشطط دون اعطاء مهلة كافية على الأقل حتى يتدبر الناس أمورهم فى فسحة من الوقت . ومن الجدير بالملاحظة والذكر ان المعارضة تركزت

بصورة رئيسية على الطرابلسيين أى : الليبيين الأمر الذى اضطر الحكومة الى تخفيف الوطأة فلقد أذيع تصريحا يقول : ان هذا القرار لايطبق على الطرابلسيين هذه الناحية الاجتماعية التى أشرت اليها ٠

أما الناحية الدينية فلقد استمر الامر بصورة مزعجة للمسلم ومما زاد الطين بله فلقد اغتنم الملحدون والمنحرفون والمغرورون الفرصة وأخذوا يعملون ويشجعون على هدم بعض قواعد الاسلام ، ونشرت بعض الصحف اعلانات تشير الى أبواب لمطاعم معينة لمن يريد الاختفاء عن أعين الناس فى أيام شهر رمضان ٠ وأمام هذا التيار الذى لم يدوم طويلا أصبحت فى قلق شديد ٠ فأنا لى أبناء صغار فى المدارس وأنا مسئول عن مستقبلهم قبل بلوغهم التكليف وتربيتهم طبقا للحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطـرة وابواه يهودانه أو ينصرانه) أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، هذا ماكنت أخشاه فى تلك الفترة ، أما أنا شخصيا فلاتؤثر على هذه الطوارىء العارضة التى لابد لها من نهاية طال امدها أو قصر ٠ (ومن شب على شىء شاب عليه) ولكن الاولاد الصـغار اذا انحرفوا صغارا فرجوعهم كبارا شبه المستحيل ٠ وهم أمانة الله عند والديهم ٠

أنا فى هذا الاضطراب الفكرى نتيجة للاوضـاع المذكورة ٠ اذ وصل الى تونس الأخ (الهادى المشيرقى) فى أواخر سنة ١٩٥٦ م فيما أتذكر عائدا من جولة واسعة فى أنحاء العالم وهو فى طريق عودته الى الوطن ٠ فاتصلت به فى فندق (تونزيان بالاس) بتونس وجلسنا حصة من الوقت فى استعراض حالة الوطن وتصرفات حكومته وكيف تكون طرق معالجتها ٠ (والهادى المشيرقى متلبس بروح وطنية تجرى فى عروقه دون فتور) ٠ وعندما هممت بتوديعه استوقفنى وقال مهلا لى معك كلمة خفيفـة فعدت الى الجلسة واذ هو يمد لى مبلغ سبعين دولارا نقـودا أمريكية قائلا انها بقيت عندى وقد انتهت جولتى وأنا عائد للبلاد خذها فأنت أحوج اليها منى ٠

واقول الحق فلقد أكبرت فى الأخ الهادى المشيرقى تفكيره نحـوى بدون طلب منى ولا حتى فى كلامى مايفهم منه احتياجى ٠ واكبارى هذا ليس للمبلغ اذ المبلغ ليس بالشىء الكبير ٠ وانما اكبارى للشعور الذى تدفعه روح وطنية صـادقة نحـو واجب اجتماعى ٠ ولقد زاد الاخ الهادى تكرما فقال لى : اذا احتجت فى المسـتقبل فحول على بأى طريقة تجدها ٠

وبناء على ذلك ففى أول نوفمبر فيما أتذكر من سنة ١٩٥٦م سلمت ورقة لأحـد الاخوان المواطنين من زواره هو (٠ ٠ ٠) كان يتردد عـلى تونس كثيرا فى مصـالحه الخاصة طلبت فيها من الأخ الهادى المشيرقى أن يرسـل لى عن طريق هذا المواطن نفسه تسعين جنيها ليبيا ، ولقد سلم الأخ الهادى مشكورا للأخ المواطن المبلغ فعلا ٠ ولكن هذا الأخ أصلح الله شأنه سمح له وجدانه بأن يشاركنى المبلـغ بل كان نصـيبه اكثر

منى ، وعبثا كتبت اليه عدة رسائل ليوافينى بالبقية فلم يجيبنى وآخر رسالة منى اليه كانت مسجلة وبعلم الوصول بتاريخ ١٩٥٧/١٢/٥م ولم يجب عليها ثم اتصلت به رأسا فى منزله عند عودتى للوطن ولكن ٠٠٠ وأخيرا فوضت أمرى الى الله ٠ وبعد أيام من ارسال هذا المبلغ وصلتنى رسالة من الأخ الهادى المشيرقى يطلب منى فيها عدم اعادة الطلب منه ولا أعرف السبب فى ذلك ٠

وفى تاريخ لاأتذكره ولكنه فىهذه الاثناء تقريبا ان لم تخوننى الذاكرة وصل الى تونس الاخ أحمد القرقورى وهو فار من ليبيا لاتهامه من طرف السلطة بالمشاركة فى حادث اغتيال الشلحى الذى وقع فى بنغازى جاءنى الى منزلى فى الكرم ولقد كان من محاسن نجدة الأخ الهادى المشيرقى أن مكننى من نجدة الاخ (احمد القرقورى)المذكور بما أمكننى عملا بالمثل القائل : جادوا علينا الجيدون بمالهم) واحنا بمال الجيدين أجـواد) ٠

وفى تاريخ لاأتذكره وأنا فى دوامة أفكر فى موضوع أولادى ومستقبلهم تشاء حسن الصدف أن يصل الى تونس الاخ (سالم المريض) وهو احد عناصر المؤتمر القوية ومن الذين حافظوا على المبدأ ٠ وفى جولة فى مدينة تونس جلسنا فى بيت من بيوت الله (بنهج الحلفا) وهناك تحدثنا فى امور بلادنا والاوضاع السائدة بها ٠ ثم أوضحت له الحالة فى تونس وبينت له خوفى على مستقبل أولادى اذا طال بقائى فى تونس ٠ وأشرت له ان ابنى الكبير قد انهى تعليمه الابتدائى واود لو وجدت كيف أرسل به الى طرابلس ٠

ودون ماتردد قال لى ارسله الى وأنا أتولى أمره وكن مطمئنا عليه ٠ (وقد كان الأخ سالم اذ ذاك متصرفا فى الزاويه) ، وهنا قلت له ربما أتسبب لك فى احراج وتشويش أنت فى غنى عن ذلك لاننى أعرف انه مقاوم من طرف العناصر المضاده وهم حكام ذلك العهد وأصحاب النفوذ فيه ٠ كما أعلم ان بعضهم بصورة أشد يترصد له أى هفوة ولو كانت على حسن نية وهو (٠٠٠) ٠ هذا هو الجو الذى كان يعيش فيه الأخ سالم ٠ ولكن مع ذلك فقد قال لى ارسل ابنك وأنا المسئول وحكام العهد ليس بينى وبينهم الا هذه الوظيفة (التى فرضتها ظروف الحياة) فأنا أتركها لهم اذا وجب ذلك وغير هذا ليس لهم على من سلطان ٠

ولقد أرسلت ابنى فعلا واستقبله الأخ سالم وأدخله فى المدرسة الثانوية فى الزواية وعلمت ان أحد العناصر المضادة من حكام ذلك العهد او من ذيولهم (سامحه الله) تكلم أمام بعض المسئولين معرضا بالاخ سالم قائلا : ان المريض يربى لنا ابن زارم ٠ ولكن من حسن الحظ لم يكن لهذا التعريض من قيمة ولا تأثير فى الاوساط المسئولة ٠ كما لم يهتم الاخ المريض بذلك ٠ وصاحب هذا التعريض هو (٠٠٠) سامحه

الله وهكذا ادخل ابني المدرسة وانهى تعليمه الاعدادى والثانوى والتحق بالجامعة وتخرج منها • وهو اليوم يدرس فيما وراء ذلك ، وكل هذا يرجع الفضل فيه الى شجاعة ووفاء الاخ سالم المريض بعد عناية الله • أرجو الله العلى القدير أن يجازيه عنا خير الجزاء فى الدنيا والآخرة فهو أقدر على جزائيه • كما أرجو من أولادى أن لاينسوا ذلك ومن ابنى الكبير خاصة أن يواصل الصلة مع من أحسن اليه وأفاده ومع أبنائه من بعدنا « ولا يعرف الفضل الا ذووه » •

وفى شهر يوليه ١٩٥٧م جاء الى تونس أحد المواطنين كان سابقا من منتسبى المؤتمر - ومن العناصر المتحركة نوعا ما ومن المتظاهرين بالوطنية • ولقد اتصل بى هذا الاخ فى منطقة سكنائى وكنت أظنه لايزال محافظ على المبدأ خصوصا وقد جاء لزيارتى فاعتبرتها زيارة من قبيل الوفاء • فسررت بمقدمه واتصاله بى عن قصد • ولقد انتحينا ناحية وبعد أن سألته عن بعض مايهمنى • قال لى : هل تريد العودة الى الوطن ؟ قلت أجل • فقال لى اذن أنا لى اقتراح عليك أود أن أبديه لك فاذا قمت به فأنا أضمن لك العودة بكل تأكيد • قلت : أنا مستعد لأى اقتراح تبديه اذا كان لايخل بالشرف ، فقال : أكتب ثلاثة مقالات فى الجرائد التونسية اشكر فيها الامريكان فاذا انت فعلت ذلك صحت عودتك وأنا أضمن لك ذلك وهذا الأخ لايزال حيا يرزق وموجودا فى طرابلس وهو : (•••)

وكم كانت دهشتى شديدة حينما سمعت هذا الاقتراح • أجل دهشت ورب الكعبة • وسبب دهشتى فى الواقع لم تكن بسبب شخص انحرف فالمنحرفون كثيرون• ولكن دهشتى كانت بسبب صدمة نفسية أصابت حسن ظنى بهذا المواطن الذى كان يتظاهر بالوطنية والاخلاص عندما كان هو وكثير من أمثاله يظنون أن المؤتمر هدفه الوصول الى الحكم ولا يهمه الشكل ولا الوضع وهكذا فقد كانت مفاجأة مؤسفة •

ثم تمالكت نفسى وأجبته بهدوء : ياأخى لو كنت مستعدا لمثل هذا لما خرجت من البلاد ، ولكنت اليوم فى طليعة الموجودين بها • وأن وساطات كثيرة من هذا النوع واغراءات أدعى للانهيار بذلت من قبل ولكننى رفضتها باصرار وتصميم • وأنا اذ ذاك فى ضيق اكثر مما انا عليه اليوم • والحقاقول يبدو على الاخ انه قد اقتنع بكلامى • اذ لم يزدنى الحاحا ولم يعد الكرة بعد ذلك والى هنا افترقنا ولم نلتق بعد ذلك الا فى طرابلس بعد عودتى • ولقد عرفت من ذلك اليوم ان الاخ المشار اليه قد انحرف وأصبح لكل منا وجهته ونتيجة سعيه • (وأن ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى) صدق الله العظيم •

المذكـرة وتطـوراتها

وفى يوليه ١٩٥٧م وصل الأخ الحاج محمد الـــكريكشى الى تونس على عادته السنوية للاستشفاء بالمياه المعدنية من داء (الروماتيزم : البرد المزمن) وصادف أن ذهبنا جميعا مع البعض من أفاضل الاخوان التونسيين الى أحد منابع هـذه الميـاه فى منطقة تدعى (اجبيلات الوسط) فى يوم ١٠ أغسطس · وهناك وفى حديث طـويل أظهرت للاخوان مبلغ قلقى مما أشرت اليه سابقا وبعد تبادل الكلام فى الموضوع أشار على الاخ الحاج محمد يونس الكريكشى بأن أكتب مذكرة للملك ادريس (السـابق) أطلب فيها رفع الابعاد والعودة الى الوطن نظرا لزوال الاسباب التى دعت الى هـــذا الابعـــاد ·

والواقع أننى قد استنكفت عن ذلك وترددت كثيرا لاعتقادى أن الاسباب لاتزال قائمة وأكثر من قبل ولذلك فان حجة زوالها غير مقبولة ولا هى مقنعة · كما أن اتخاذ المبررات الواهيــة والطـرق الملتوية للرجـوع الى وضع منحرف متخاذل ومهادنته هى أثقل على النفس من جبل · وبعد الحاح طـويل من الاخوان أخذت قلما وورقة وبدأت الكتابة وبعد سطور معدودة وقف القلم · فلقد راح منى التفكير · ونضب عندى معين التعبير · فلم أجد مأقول · فطـرحت مابيـدى جانبا وقلت اننى سأترك أمرى الى الله فهو أعلم بى وبقيرى · وعندئذ تقدم أحد الاخوان التونســيين وهو من ذوى العـلم والقدرة · وهو الاستاذ (محمد الحبيب) وأخذ القلم والورقة وأكمل المسودة · ولما عدت الى بيتى كتبتها فى صـورتها النهائية وأرسلتها بالبريد المسجل مؤرخة فى ١٦ أغسطس ١٩٥٧م وبقيت فى انتظار الجواب عليها ·

وفى مارس سنة ١٩٥٨ جاء الى تونس السيد عبد السلام البصيرى وهو رئيس الديوان الملكى اذ ذاك موفدا فى مهمة رســمية من قبل (الملك ادريس) الى الرئيس (بورقيبه) ولقد علمت بوجوده فاتصلت به فى فندق (تونزيان بالاس) وصادف أن وجدت معه الاخ محمود الرخصى · وبعد التحية ومقدمة الحديث فاتحتـــه فى شأن المذكرة التى أرسلتها منذ ستةأشهر ولم أتلق ردا عليها لا بالسلب ولا بالايجاب فطلب منى تاريخ ارسالها فسلمته اياه · وبعد عودته الى ليبيـا بزهاء عشرين يوما تقريبـا أعلمتنى السفارة الليبية فى تونس بأن مشكلتى قد حلت من طرف الملك وفى مـــدة قصيرة سيأتى أمر العودة ·

ولقد أخذت القضية طريقها بين الجهات المختصة حتى انتهت الى وزارة الخارجية ولقد كانت هذه الوزارة اذ ذاك يتولاها رئيس الوزراء بنفسه وهو (···) ولأسباب حزبية وشخصية فقد أمر هذا (الرئيس والوزير) فى آن واحـــد فيما يبدو بحفـظ هذا الملف ·

ومن المعلوم أن هناك سببان اثنان فيما اعتقد يبـــدو أن لهما فى نفس رئيس الوزراء ووزير الخارجيـــة وجدا عـلى فالسبب الاول هو أن رئيس الوزراء هذا من العناصر المعتبرة فى حزب الاســتقلال المعــاكس « للمؤتمــر الوطنى العام » ولم يكن هذا الاعتبارنتيجة لعلمه • أو ماضيه كشخص • أو لثروة عنده • كلا فهذه الثلاثة هو خال منها وانما اعتباره هــذا يعود الى اعتبارات عائلية • حيث انه ينحــدر من عائلة عريقة • أما السببالشخصى هو انه حينما قرب موعداجــراء الانتخابات لأول مجلس نواب رأيت كواجب على كمواطن يهمه أمر بلاده ومستقبلها أن ألفت انتباه المسئولين الى مايجب فلقد كتبت مقالا فى جريدتى اذ ذاك (شعلة الحرية) وهى لسان حال المؤتمر الوطنى طالبت فيه الجهات المختصة بأن تتحرى جيدا فى ماضى المرشحين ولايقبل الا من تبتت نزاهته ونظافة ماضيه ليمثل شعب فى أول طريق من حياته الجديدة فهى فترة تحتاج الى الكثير جدا من الجهد والنزاهة والاخلاص •

فلهذين السببين فيما فهمت أوجد على فى نفسه اذ اعتبر كلامى ذلك تعــريض به ، وأنا يعلم الله وهو حسبى اننى لاأقصد شخصا معينا لذاته ولكننى أقصد الجميع • وفى صالح الجميع • وهكذا ولهذا كتب على ظاهر ملفى بالقلم الأحمر وبخط بارز جدا عبارة (يحفظ) وأودع فى احدى رفوف وزارة الخارجيـــة وهنـــاك وبقــدرة قادر ذى ضـــغينة نام ملفى نومة أصحاب الكهف ، ولقد كتبت الى رئيس الوزراء هــذا بصــفة كونه وزيرا للخارجية ثلاثة رسائل ولم أتلق الجواب على أى منها ففوضت أمرى الى الله فى انتظار ماسيجرى به الاقدار التى لايغيرها اى مخلوق •

وفى أواخر سنة ١٩٦٠م وبسبب ماوقع من تلاعب فى طـــريق فزان بين هذه الوزارة والمتعهــد (عبــدا لله عابد) تلاعب انتبه له مجلس النواب ووقف وقفتــه التاريخية • موقفا سداه الحكمة ولحمتــه السرية المطلقة • وعلى حين غفلة وفى غير انتظار فوجىء رئيس الوزراء ووزير الخارجية هذا باعــلان المجلس ســحب الثقــة • فاهتز الكرسى من تحته اهتزازا عنيفا وتهاوى صـــاحبه والى الأبد ، وبذلك انهــارت الوزارة كلها ، وبانهيارها انتبه ملفى من نومته الطويلة فى رفوف الخارجية ونفض عنه غبار الاعوام الاربعة الا قليلا وهكذا (مصائب قوم عند قوم فوائد)

وبعد سقوط هذه الوزارة بأيام جاء الى تونس أحد المواطنين الطيبين هــو الأخ محمود نافع الغدامسى فى مصلحة له وقد التقينا صدفة فى احدى مقاهى مدينة تونس ، وبعد السلام والسؤالات عن البلاد والاخوان اقترح على ان اكتب رسالة وأسلمها له ليوصلها

الى الرئيس الجديد لينهى موضوعى والحقيقة اننى ماكنت أظن فى ذلك فائدة لعوامل كثيرة ٠ ولذلك أجبت الاخ محمود على عدم الكتابة فى الموضوع حتى يحلها الله ٠ ولكنه ألح على كثيرا فأجبته وكتبت له الرسالة فى نفس المقهى وسلمتها له ٠

وبعد مدة قصيرة لاتتجاوز خمسة عشر يوما فيما أتذكر وصلتنى رسالة من رئيس الحكومة الجديد (محمد عثمان الصيد) يقول فيها وصلتنى رسالتك وكلفت جهات الاختصاص بالموضوع وعندما تتجمع لدى المعلومات سوف أنهى موضوعك باذن الله ٠ والحقيقة لم تطل المدة أكثر من شهر تقريبا حتى طلبت منى السفارة الاستعداد للعودة ٠ على ان نعين لها يوم السفر والواسطة التى أريد السفر عليها ٠ والسفارة ستقوم بجميع اجراءات السفر ونفقاته ٠ وعبثا حاولت أن يسمحوا لى بأن أسافر حرا متى أريد وأخيرا قبلت وعينت لهما موعد السفر والواسطة ٠

العـــودة الى طرابلس

وفى اليوم الاول من الشهر الاول من سنة ١٩٦١م ركبت الطائرة من تونس فى طريق العودة الى ليبيا ، وصلت ليلا الى مطار طرابلس الدولى (مطار ادريس اذ ذاك) وكنت قد أبرقت للأخ محمد يونس الكريكشى بموعد وصولى ، فوجـدت ابنه محمود فى انتظارى بسيارته قصدت بيت الحاج محمد • وفى صباح غد ذلك اليوم انحدرت مع شارع عمر المختار فى اتجاه ميدان الشهداء • وكم كان ظهورى فى البلاد مفاجأة لـكل من التقيت به فى الطريق • ذلك لأن أمر رجوعى كان مجهولا عنـد الجميع • الا بعض المسئولين • وهكذا فقد كان فى كل بضـع خطوات (وقوف وتجمعات • وسـلامات وسؤالات)

وفى يوم من تلك الايام الاولى لعـودتى كنت سـائرا اذ قابلنى شـخص أعرفه ويعرفنى ولكننى نسيته الآن من هو ، وبعد أن سلم سلاما حارا حتى لقد غلب عليـه التأثر • وبعد ان تنفس قليلا هتف بصـوت عال : (انفرجت • انفرجت) فأجبتـه بقولى (فرجها الكريم تهنوا)ولما عدت ليلا واضطجعت على الفراش أخذ شريط الماضى يدور أمام مخيلتى بخيره وشره وحلوه ومره • حتى جاء موقف ذلك الأخ الذى هتف بقوله : انفرجت • وعندها جرت على لسانى أبيات من الشعر الشعبى • وقد نسجتها على ماهتف به ذلك الاخ ولعلى فى متن هذه الابيات مايفيد الدارسين والبـاحثين فى التاريخ من الاجيـال المقبلة قريبهـا وبعيـدها • لذلك رأيت أن أثبتها هنا • وفيما يلى نصها :

انفرجت وفرجهـا الـكريم تهنـــوا   فتـح باب بعد انسـكروه اظنـوا

•

فـــتح بـاب بعـــد السـكر   مـكرو مكـر عنهـم الحال تعـكر
انفضـحوا عمالهم فى السجل امسطر   لايرفـدوا بالنـوم لايتهـنوا
اقلوب واجـل من الخوف بتنفطـر   اجى يوم يبـدوا فى الهنا يتمنـوا

•

فتـــح بـاب مـن بيبـــانه   قادر اكافى كـل حـد سـبحانه
قـد من غـدر الوطـن رب هـانه   وكل من ختـل الشـعب يخلص منو
بين دجلهـم وضـميرنا شـــتانه   مناكيـد فى يوم البـلا يسـتنوا

•

يوم البـلا اليـــا جـاهـم   اعم ناسهـم وأولادهـم وانسـاهم

ناس ياسر تبغي الحساب امعاهم احساب مرفوق المر آن يوجنوا
امنين خوبروا أشيطان الرجيم غواهم لا كابروا لا حسبوا لا حنوا

●

يوم البلا حصتهم عدالت المولى ماتقول نستهم
ناس ناصروا استعمار ضد اخوتهم هو سيدهم هم عناصر منو
تقصر أيامه وبعد يابكيتهم أما عذاب لاخرا الهناس ياما منو

●

عذاب الهانا عذاب ان اخلى الطار بين أحزانا
عذاب من تخاذل خان باع أوطانه بفلوس شعبنا استعمار موشى منو
الطماع ديم حالت نبسان لاه ماريتوش عبد الله اتعضتوا منوا

قلت آنفا كان وقوف وتجمعات وسلام . وفى نفس الوقت كان العائدون من الخارج فى تلك الايام أيضا كثيرون ففى كل يوم تحمل السيارة العمومية وغيرها أفواجا منهم ، وقد كنت بالطبع ألتقى ببعضهم وجل هؤلاء لاأعرفهم ، ومن لم أعرفه فهو يعرفنى . وقد التجأ الى بعضهم يشكو الاحتياج فمن قائل انه ترك عائلته قرب الحدود ولم يترك لها شيئا ، وليس لديه مايمكنه من العودة اليها . وآخر أولاده بدون أكل من يومين ، وثالثا لم يجد عملا بطرابلس يريد الذهاب الى (بنى غازى) ويده فارغه ، فكان لزاما على أن أمد يد المساعدة بما كتبه الله لهم على .

فقد كانت حالتى متيسرة ، اذ كان لدى مبلغ من المال لاباس به . فعندما عدت كان معى بعض النقود ، وحينما وصلت الى طرابلس اجتمع اخوانى الرجيبات فى طرابلس وبعد أن جمعوا مبلغا محترما دعونى وسلموه لى وفى نفس الوقت أرسل الاخ الهادى المشيرقى سبعين جنيها . اذا فلا أستطيع والحالة هذه أن أصد من استنجد بى وأنا أملك وسيلة النجدة . كما واننى الرجل الذى عاش جميع الظروف وتذوق حلوها ومرها . فأى عذر لى أمام ضميرى وأمام الله والناس اذا بخلت .

أرجو المعذرة عن التصريح بهذا الكلام فاننى حينما أذكره لم يكن هو المقصود بالذكر . بل ماكان ينبغى لى ان أذكره لو لم يفرض نفسه بتداخله فىالموضوع كسبب مباشر لما يلى :

وقعت هذه الامور فعلا ولكننى ماكنت أظن أننى بذلك أرتكب محذورا ، ولا دار بخلدى أن الجهات المسئولة فى ذلك الوقت قد كلفت « بوليسا سريا » يتتبع حركاتى ويحصى تصرفاتى . ماكنت أظن ذلك لاننى عدت الى الوطن بطلب ولا بد اذا من البرهنة على الهدوء ولو لفترة . ثانيا عشرة أعوام بعيدا عن هذا المجتمع . ففيه من

انحرف • وفيه من أيأس فى خلال هذه المدة وو ••• ولا بد من وقت كاف لمعرفة الاوضاع الجديدة فى المجتمع • وعلى كل فبعد زهاء عشرة أيام تقريبا استدعيت من طرف مسئول كبير هو (•••) ولما تواجدت أمامه قال لى : « شنو تفتح فى تيزدانك وتفرق الفلوس)

وبعد أخذ ورد قال لى : تمشى تقعد فى غريان • وسلم لى رسالة وأمرنى بالذهاب الى الحراسة العامة • وهناك وجدت شابا كنت اعرفه من قبل وهو على مقدرة ثقافية عربية وايطالية وانجليزية وصاحب نزاهة وضمير فيما عرفت هو الاخ عبد الرحمن سالم العجيلى ، وطبقا لأمر المسئول فقد كتب لى هذا الشاب عقدا للعمل فى (مؤسسة ببغ تغرنه) بغريان • عقدا باعتبارى اجنبيا كأى أجنبى ولعل هذا الوضع الذى اختير لى قصدا يمثل طريقة تهديدية حتى اذا مابدرت منى أى حركة عملية كانت أو كلامية يعودون الى اخراجى من البلاد وعذرهم فى ذلك مقاومة التشويش • وحجتهم القانونية انه شخص أجنبى غير مرغوب فيه •

ثم ان هناك سببا آخر لعله كان من المضاعفات فى هذه الاحتياطات التى اتخذوها نحوى • وهذا السبب هو اننى حينما عدت الى الوطن لم أقم بما يعتبرونه واجبا أدبيا معتادا • وهو زيارة المسئولين كل فى مكانه لأشكرهم على التساهل فى عودتى • وأنا فى الواقع لم أفعل ذلك لأسباب عدة • منها : أن الوقوف طويلا أمام أبواب المسئولين هو أمر ثقيل على النفس جدا • وانا أكرهه تماما ولم أتعوده •

ومنها أيضا أن رجوعى لم يكن تكرما من المسئولين او بسعى منهم • ولكنه كان بطلب منى • وبأمر من (الملك) سابقا • ومع ذلك فقد لاقى عراقيل كثيرة حتى لقد انتظرت ثلاثة سنوات الا ربعا رغم الأمر الملكى حتى جاء دور القدر فحطم الحواجز وهزم الضاغن الماكر وأزال المعوق • وفتحت لى الباب يد القدر فلها ألف حمد وشكر • ثم اننى أعتقد بأننى قد أخرجت من البلاد ظلما وعدوانا فأعود اليها حق طبيعى لى وقانونى أيضا ، فلهذه الأسباب والاعتبارات مجتمعة لم أقم باتصالات الشكر المعتادة • ولعلنى مخطىء فى نظر غيرى فى هذا التفكير ، ولكن هذا ماحصل فعلا •



صالح بويصير فى عهد الثورة

أول وزيرا للوحدة والخارجية

ثم أول وزيرا للأعلام

ثم عضوا فى مجلس الأمة الاتحادى

حينما كنت أنشر حلقات متوالية من ذكرياتى هذه فى جريدة (الشعب) لصاحبها الاستاذ على مصطفى المصراتى أرسل لى الاخ الشهيد صالح مسعود بويصير رحمه الله رسالة تشجيعية على اظهار جانب من نضال الليبيين فى المهجر ضد الاستعمار الايطالى الفاشى فى بلادنا ليبيا ٠

ولقد كنت أود الاحتفاظ بهذه الرسالة لضمها الى ماسوف يكتب عن ذكرياتى هذه من مختلف الاقلام والافهام لتنشر فى هذه الذكريات عند اعادة طبعها مستقبلا باذن الله بعد التفتيش والحصول على بعض الوثائق عند الاخوان الذين كانوا فى المهجر سواء ذلك فى الغرب أو فى الشرق ٠

ولكن لما حم القدر ٠ وشاء هذا القدر أن تنفذ يد الخيانة والغدر جريمتها النكراء واستشهد المرحوم صالح فى حادثة طائرة (البوينج) العربية الليبية المدنية التى أسقطتها الطائرات الحربية للعدو الحقير (اسرائيل) يوم الاربعاء فى ٨ محرم ١٣٩٣هـ الموافق ٢١ فبراير ١٩٧٣م ٠

لما وقع هذا رأيت أن أنشرها مع صورته تخليدا لذكراه ، ولذكرى هذه الحادثة الأليمة التى سوف تحاسب عليها (اسرائيل) طال الزمان أو قصر بعون الله وتوفيقه تقبل الله الأستاذ بويصير ورفقه بوافر رحمته وأسكنهم فسيح جنته ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العربية الليبية
وزارة الوحدة والخارجية
الادارة السياسية
قسم الاعلام

طرابلس فى ٩/٦/٩٠ هـ .
الموافق ١١/٨/١٩٧٠ م .

الرقم الاشارى ١-٥-٢/٨٢/١ ١٩٨٩٩

المرفقات ....

الاخ احمد زارم
جريدة الشعب / طرابلس
===================

بعد التحية ،،،

يسرنى افادتكم اننى اتابع واقرأ باهتمام مقالاتكم التى تنشر تباعا فى جريدة الشعب تحت عنوان " مذكرات احمد زارم - اربعون عاما من النضال السياسى " .

واننى اذ اهنئكم على ماتضمنته هذه المذكرات من بحوث قيمة تناولت حقبة هامة من تاريخ نضال الشعب الليبى ضد الاستعمار الايطالى الفاشى لارجو لكم مزيدا من النجاح والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

((صالح مسعود ابويصير))
وزير الوحدة والخارجية



المرحوم عمر ضيا المدفعي

كان ضابط المدفعية أيام الجهاد الوطني من المخلصين الصادقين اتصلت بأبنائه فأعطوني صورته هذه ووعدوني بن يسلموا لي بعض رسائله وبعض نقط سجلها هو بنفسه لأنشرها تخليدا لذكراه ، وقد كان من المهاجرين في القطر التونسي ، ولقد بذلت له الوعود من طرف ايطاليا للعودة ولكنه رفض ذلك ٠

وأذكر انني في يوم من الايام التقيت به في (منزل تميم) في القطر التونسي سنة ١٩٣٧ م فيما أتذكر ٠ وأردت ان أجس فكره فقلت له : بلغني ان ايطاليا دعتك للعودة فلماذا لاتعود ٠ فنظر الى نظرة فيها شيء من اللوم وقال : (أتريد مني أن أصوم دهرا وأفطر على جرادة يافلان) رحمه الله تعالى

الخاتمـــة

والى هنا أقف عن مواصلة الذكريات عند هذا الحد الفاصل بين فترتين زمنيتين . فترتان تتفقان فى الهدف والجوهر الا أن ظروف كل من هاتين الفترتين تختلف اختلافا عمليا احداهما عن الاخرى ، فلذلك كانت طريقة العمل للوصول الى الغاية المنشودة من الجانبين مختلفة تماما . فتلك فترة تتخذ فى تحركاتها طرق المقاومة الفكرية والمواقف السلبية تجاه العدو وتتصف باللين وتعتمد على الاكثر فى ظروف كفاحها على اللف والدوران .

وهذه فترة ثورية منفعلة تعتمد أساسا على السرية المطلقة والاستعداد المدروس. ثم تزحف بعد ذلك بقوة وصراحة واندفاع . وكلاهما كما أسلفنا القول يرميان الى غاية واحدة لا خلاف فيها ولاجدال عليها ، ولكن لكل منهما ظروفها الخاصة وامكانياتها وهذه هى أسباب اختلاف طرق الكفاح بين الفترتين .

وعلى كل فليس هاتين الفترتين هما البداية ولا هما النهاية . ولكنهما ليس الا حلقتان من النضال الوطنى فى سلسلة متصلة الحلقات من الفترات الكفاحية تتصل بالماضى السحيق أى من أوائل القرن الاول للهجرة بالنسبة لنا . وستمتد مع امتداد عمر الامة التى لايعلم نهايته الا الله سبحانه وتعالى ، وكلها متأثرة من بعضها . فهذه من تلك وهلم جر .

أجل رأيت ان أقف فى هذا المنعطف ، لأقدم للشعب هذه الذكريات قبل أن يبتلعها ظلام التاريخ كما ابتلع الكثير غيرها . ليطلع على جانب من تاريخ كفاحه الوطنى الذى بقى فى عالم المجهول حتى الآن ولننتظر تفاصيل ماحدث خلال السنوات التى تلت هذا المنعطف وما ستأتى به سنوات أخرى آتية من بعدها فى كتاب آخر سوف يتضمن ماحدث وما سيحدث من تطورات فى الواقع المعاش وفى الفكر والعمل والنتائج حينما يحل وقته . اذ لابد لكل عمل من وقت مناسب له والا فسنقع فيما يقول المثل : (من طلب شيئا فى غير أوانه عوقب بحرمانه) . أما هذه الذكريات فقد وقفت أحداثها فى شهر يناير من سنة ١٩٦١م وانهيت كتابتها فى شهر رجب سنة ١٣٩٢هـ . الموافق لشهر أغسطس من سنة ١٩٧٢م . ؟

« وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

ملاحظـات هامـة

هذه الذكريات تتركز محتوياتها على حركة المهاجرين الليبيين فى منطقة المغرب العربى ضد الاستعمار الايطالى فى بحر اثنين وعشرين عاما ولا تشـمل فترة الادار البريطانية فى ليبيا الا لمحات خاطفة اقتضتها ظروف صرد الذكريات ٠

الحركة الوطنية داخل البلاد من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥٢م لها كتاب خاص ضبط حوادثها يوما بيوم ولقد كان فى الحسبان أن يكون الكتاب بين أيدى القــراء اليوم ولكنه تأخر ٠٠ وسيصدر باذن الله وتوفيقه

لم يكن ماجاء فى هذه الذكريات هو كل أعمال وتطورات الحركة الوطنية الليبية فى منطقة المغرب العربى ٠ بل هذا قليل من كثير جدا وهو ماحفظته الذاكرة وبعض وثائق نشرت (بالزينكوغراف) فى جريدة (الشعب) وكان بودى نشرها بنفـس الطريقة فى هذا الكتاب ٠ ولكن ٠٠٠ سامح الله الأستاذ على مصطفى المسراتى

أسرعت بطبع هـذه الذكريات على ماهى عليه حتى لاتضــيع كما ضاع الكثير غيرها من تاريخ هذه البلاد الغنية بالامجاد والمفاخر التاريخية المجهولة وعلى ـ كل فانا فى بحث متواصل عن أثار هذه الحركة وعسى أن أتمكن من العثور على بعض منها عند بعض الاخوان فيعاد طبعها بصورة أوفى وأكمل ٠

النقاط الموضوعة بين قوسين تشير الى أسـماء معينة كما هو واضـح لم يحن الوقت للكشف عنها وعلى كل فهى محفـوظة لوقتها فى قائمـة خاصـة الى أن يحين الوقت المناسب ٠

الفهرست

تابع الفهرست

دار الحرية للطباعة
هاتف : ٣٢٩٢٩
طرابلس ـ ج٠ع٠ل

• المؤلف
• فى سطور

الأستاذ احمد زارم صاحب هذه الذكريات هو واحد من ذلك الجيل .. الجيل المؤمن المجاهد الصلب الذى رفض المساومة والانحناء ويؤمن بالوطن كايمانه بالله تعالى .

ولد حوالى سنة ١٩٠٦م تقريبا ببلدة الرحيبات ودرس القرآن وبعض مبادىء علوم الدين فى احد مساجدها .

□ هاجرت أسرته مع قوافل المهاجرين التى رفضت أن تعيش فى ظل الحكم الايطالى الرهيب حيث أستقر به المقام فى بلدة (الكرم) بحلق الواد : تونس .

□ في عام ١٩٢٦ م بدأ جهاده في التشنيع بأعمال ايطاليا وجرائمها فى بلادنا وذلك بالكتابة فى صحف كثيرة بينها التونسية والمصرية والجزائرية والفرنسية وغيرها .

□ وفى عام ١٩٢٨م تعرف بالمجاهد الكبير المغفور له (بشير بك السعداوى) الذى كان قد أسس فى الشام (اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية) حيث افتتح لها فرعا فى تونس .

□ اصبح أحمد زارم سكرتيرا لهذا الفرع وواصل عمله النضالى مع تطور هذه اللجنة بمختلف أسمائها طول مدة هجرته .

□ ساومته السفارة الايطالية فى تونس بعودته الى الوطن وتعيينه فى وظيفة هامة مقابل سكوته والكف عن القيام بأى نشاط معاد لايطاليا ولكنه رفض المساومة واستمر فى جهاده حتى النهاية .

حاولت السفارة الايطالية القبض عليه واغتياله ولكنه نجا من الموت بأعجوبة .

□ فى الحرب العالمية الثانية اتصل هو واخوانه محمد عباس - محمد بن خليفة - محمد شكرى وغيرهم واتفقوا مع الحلفاء عن طريق فرنسا على القيام بثورة ضد ايطاليا داخل البلاد .

□ عاد الى ارض الوطن فى يناير ١٩٤٨م ليصبح سكرتيرا لحزب المؤتمر الوطنى العام) الذى اسسه المرحوم(بشير السعداوى) والذى كان يلتف حوله الشعب الليبى عن بكرة أبيه .

أنشأ جريدة « شعلة الحرية » التى كانت لسان الشعب فى المطالبة (بالاستقلال والوحدة والانضمام للجامعة العربية)، والتى كانت تقود العصيان المدنى ضد تآمر سلطات الادارة العسكرية البريطانية عندما زورت حكومة المنتصر أول انتخابات برلمانية فى ليبيا قبض على احمد زارم ونفى من جديد الى تونس وبذلك استحق لقب ذو الهجرتين .

عاد الى الوطن من جديد فى عام ١٩٦١م وبقى ثابتا على مبدأه مناويا لحكومات العهد المباد الى ان سقط ذلك العهد وانتهى فى فجر الفاتح م ن سبتمبر الخالد .

□ أحمد زارم مناضل ذاق مرارة السجن والمحاكمات وقسوة الغربة والتشرد سنوات طويلة وهو فى هذه المذكرات يؤرخ لفترة هامة ومضطربة من فترات نضالنا الوطنى فشكرا له وجزاه الله خيرا على جهاده ونضاله والله تعالى يجزى الصابرين المؤمنين .

طرابلس فى رمضان سنة ١٣٩٢ هـ
الموافق اكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٢م

حسن على خيشم

■ الثمن ٨٠٠ درهم ■
■ ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ■

دار الحرية للطباعة - ج.ع.ل